الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قسنطينة-الجزائر

المصلح المربي الفقيه
الشيخ سيدي محمد بن لكبير

بمناسبة تخرج الدفعة الثانية والثلاثين (32)

06 ذو القعدة 1440هـ -09 جويلية 2019م

معلومات الاتصال بالجامعة

عنوان الجامعة:

ص.ب 137 نهج قدور بومدوس– قسنطينة - الجزائر

الهاتف / الفاكس:

031.92.21.79 / 031.92.21.41

العنوان الإلكتروني:

pedagogie@univ-emir.dz

موقع الجامعة في شبكة الانترنيت:

www.univ-emir.dz

تم التصميم والطباعة من طرف:

مؤسسة دار الموعظة للطباعة والنشر والتوزيع

قسنطينة الجزائر

TEL 0559602368/0794187826

MAIL adoudconstantine318@gmail.com

الدفعة الثانية والثلاثون (32)

المصلح المربي الفقيه

الشيخ سيدي محمد بن لكبير

المشرف العام: السيد مدير الجامعة أ.د/ السعيد دراجي.

رئيس **لجنة القراءة والتحكيم:** السيد نائب مدير الجامعة للبيداغوجيا، الأستاذ: عزيز حداد.

لجنة القراءة والتحكيم:

أ.د. نور الدين ســـكحال　　أ.د. عـــــلاوة عمـــارة

أ.د. فـــــاتح حـليـمـي　　أ.د. زين الدين بن موسى

د. عيـــسى بـــوعافيـــة　　أ.د. حـــــاتم بـــاي

د. رياض بن الشيخ الحسين

الإشراف الإداري والتقني:

السيد: عادل صال / متصرف مستشار ورئيس مصلحة

السيد: دريد مرمول / منشط جامعي من المستوى الأول

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا
عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ
وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾

الأحزاب:23

صدق الله العظيم.

كلمة السيد مدير الجامعة

أ.د. السعيد دراجي

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تتشرف جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بتسمية الدفعة المتخرجة في السنة الجامعية 2019/2018 ، الثانية والثلاثين (32) باسم **العلامة محمد بن لكبير** ، وهو أحد علماء الجزائر الذين خلدوا أسماءهم من ذهب في حقل العلم والتراث الإسلامي، وبالتالي فهو بحق يستحق هذه المكانة التي بادرت بها الجامعة.

فالجامعة دأبت على إنجاز كتاب كل نهاية سنة جامعية تكريما لدفعة الطلبة المتخرجين في مختلف تخصصاتها وتهديه للشخصية التي تحمل اسم الدفعة، وهي سنة حميدة أقرتها الجامعة منذ سنوات بتسمية الدفعات المتخرجة برموز وطنية وعلمية بارزة وتدوينها في كتاب خاص بالدفعة تكريما لها.

وعليه فإن كتاب هذه السنة الخاص بالعلامة **محمد بن لكبير** ساهمت فيه نخبة من الأساتذة، وهو لفتة اعتراف وتقدير وتمجيد له، فكل الشكر والتقدير للذين أسهموا في إنجاز هذا الكتاب من أساتذة ومشرفين ومنظمين.

قسنطينة في: 2019/07/09

تقديم الأستاذ عزيز حداد

نائب مدير الجامعة للتكوين العالي في الطورين الأول والثاني والتكوين المتواصل والشهادات وكذا التكوين العالي في التدرج

لقد سلكت جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية سنة حميدة بوفائها لعهدها، بمناسبة حفل تخرج طلبتها وتكريم الأوائل منهم في نهاية كل سنة جامعية، وذلك بتسمية كل دفعة متخرجة بعنوان كتاب يبرز شخصية وطنية لها صيت ومساهمة في مجالات مختلفة، من رجال ومفكرين وعلماء وسياسيين في هذا الوطن الحبيب عبر التاريخ، حيث كان عنوان كتاب دفعة التخرج الثانية والثلاثين (32) للسنة الجامعية 2018-2019 موسوما بـ : **" المصلح المربي الفقيه الشيخ سيدي محمد بن لكبير"** -رحمه الله-، الذي كان لنا شرف لقائه وزيارة مسجده وزاويته ومكتبته بأدرار سنة 1994 رفقة وفد من مسؤولي وأساتذة جامعتنا، بمناسبة اجتماع لدراسة ومراجعة برامج العلوم الإسلامية الذي احتضنه المعهد العالي للعلوم الإسلامية بأدرار آنذاك.

ويعد هذا الكتاب إضافة جديدة لعناوين كتب تخرج الدفعات السابقة، التي حملت أسماء قامات علمية وشخصيات وطنية عالمية بارزة، نذكرها حسب ترتيب سنة إصدارها:

-الانتفاضة الفلسطينية (2001م)- الشيخ أحمد حماني(2002م) - الشيخ الفضيل الورتلاني (2003م)– الرئيس الراحل هواري بومدين(2004م) – الأستاذ مالك بن نبي(2006م) - الأستاذ مولود قاسم نايت بلقاسم(2007م) – الأستاذ يحي بوعزيز(2008م) - الشيخ محمد البشير الإبراهيمي(2009م) – الشيخ أحمد بن يوسف أطفيش قطب الأئمة(2010م)- الشيخ عبد الرحمن الجيلالي(2011م)- الشيخ الشهيد العربي التبسي (2012م)- الرئيس الشاذلي بن جديد المجاهد المناضل(2013م)- الأستاذ عبد الرحمن شيبان المجاهد المربي المصلح الأديب (2014م) - الدكتور أحمد عروة المجاهد الحكيم المفكر الأديب (2015م).-من أعلام قسنطينة في إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية (2016م) – المجاهد بوعلام باقي من معركة التحرير إلى البناء والتشييد – تضحية وعطاء(2017م)-" المجاهد المصلح الشيخ نعيم النعيمي، عطاء متنوع متميز"(2018م)-.

ومن باب الاعتراف بفضل هؤلاء الأعلام والقامات والرموز الذين خلدوا أسماءهم في سجلات بأحرف من ذهب وتركوا بصماتهم وثمار نتاجهم عبر العصور، فقد ابر قلم واجتهد مجموعة من الأساتذة الأفاضل بالكتابة عن عالم من أعلام إقليم توات بأدرار: المصلح والمربي والفقيه المتصوف والمساهم بعمله وفكره في تعليم الطلبة وتربية وإصلاح المجتمع وتكوين الإطارات والأئمة، **الشيخ سيدي محمد بن لكبير**-رحمه الله-، والذي لا يمكن الإلمام بجميع جوانب حياته وأعماله ومواقفه العملية والفكرية، وإنما يفتح المجال للباحثين والمهتمين للتعمق والإثراء أكثر بالإضافة إلى ما كتب. وهذا أقل ما يقدم له اعترافا بجهوده في خدمة كتاب الله تحفيظا وتفسيرا، ونشر العلم وتوعية المجتمع وخدمة الوطن والأمة.

وكما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: " **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا من ثلاث، صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له** "، فنحسبه -رحمه الله-من الذين لم ينقطع علمهم وعملهم.

في الأخير ومصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" فإننا نشكر كل من أسهم في انجاز هذا الكتاب من أساتذة ودكاترة وباحثين وإداريين وتقنيين، فجزاهم الله خيرا.

كما نهنئ طلبة الدفعة الثانية والثلاثين على تخرجهم وخاصة المتفوقين منهم على تميزهم ومثابرتهم، ونهنئ أولياءهم وجميع الفاعلين شاكرين سعيهم وجهدهم، راجين من طلبتنا أن يكونوا في مستوى رسالة الجامعة وأهدافها، وآمال الذين ضحوا بالنفس والنفيس خدمة لهذا الوطن العزيز وقيمه، وأن يكونوا خير خلف لخير سلف، خاصة ونحن في غمرة الاحتفال بالذكرى الـ 57 لعيدي الاستقلال والشباب، 5 جويلية 1962- 5 جويلية 2019.

وفق الله الجميع وسدد خطانا في خدمة البلاد والعباد، وأعيادكم وأفراحكم سعيدة.

قسنطينة في: 2019/07/09

حیاته

وشخصیته

وآثاره

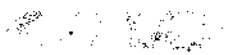

الشيخُ الإمامُ سيدي محمد بن لكبير

-الفَقيهُ الوَرِع والمعلِم المربـّي -

أ.د. كمـــــال لـــــدرع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

التعريف بالشيخ بن لكبير:

هو الشيخ محمد بن لكبير بن محمد عبد الله بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الله، ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين. ولد سنة 1330 للهجرة الموافق لـ 1911م في "بودة"[1]، وتوفي صبيحة يوم الجمعة 16 جمادي الثاني سنة 1421هـ الموافق 15 سبتمبر 2000م، حضر جنازته الآلاف من الأشخاص ومن تلامذته ورجال الدولة.

أبوه هو السيد عبد الله بن محمد، وأمّه السيدة أمباركة رحموني رحمها الله بقصر من قصور بودة، إحدى قرى الغمارة التي تقع في الجنوب الغربي على بعد 25 كلم من مدينة أدرار في الصحراء الجزائرية الكبرى.

---

[1] – بودة بلدية من بلديات دائرة أدرار بولاية أدرار الجزائرية؛ حيث تقع في الجهة الغربية لولاية أدرار يحدها شمالا بلدية السبع وجنوبا بلدية تيمي (أولاد أحمد)؛ ومن الشرق بلدية ادرار ومن الغرب بلدية تبلبلة (بشار). وتبعد المنطقة عن مقر الولاية بـ 25كلم، تتربع البلدية على مساحة تقدر بـ 4140كلم2. وأصل الكلمة من اللهجة المحلية القديمة وهي كلمة من جزأين "بو": وتعني الماء، و "دا": تعني هنا.

[2] – الشيخ محمد باي بلعالم: الرحلة العلمية إلى منطقة توات-لمذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات-، ص:343 – زهير قزان، حاضرة توات، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار.

ماتت أمه وسنه لم تتجاوز ثلاث سنوات. وتركته مع بقية إخوته: عبد القادر وأحمد وعبد الرحمن وأحمد، حيث تولى أبوهم رعايتهم وتربيتهم. ثم إن إخوته أحمد وعبد الرحمن وأحمد ماتوا صغارا[1].

نشأته وتكوينه العلمي ورحلته في طلب العلم:

نشأ الشيخ مقبلا على طلب العلم وتحصيله، فتلقى مبادئ العلوم بمسجد القرية بالغمرة، وهو لا يتجاوز سن الخامسة من عمره؛ حيث تعلم على يد إمام المسجد آنذاك الشيخ محمد بن عبد الرحمان. ومما ساعده في تحصيله العلمي وسطُ أسرته العلمي المحافظة. فكان أبوه عبد الله من حملة كتاب الله، وكان عمه أيضا إماما ومعلما بمسجد القرية، بينما كان خاله المهدي فقيها وصوفيا من أعيان عصره بقصر بني "اللو" ببودة، كما تلقى في هذه الفترة بعض متون الفقه والنحو والتوحيد كالرسالة والألفية. وكل ذلك أثر في نشأته المتميزة وتربيته السليمة، والمثابرة في طلب العلم، والسفر من أجله[2].

وكانت للشيخ سيدي محمد بن لكبير رحلات علمية أخذ فيها عن كثير من شيوخ العلم فتوسعت بذلك مداركه ومشاربه العلمية، كما كانت له مراسلات واتصالات بعلماء عصره[3].

فلم يكتف بما تلقاه من العلوم من مشايخ بلدته، فقد سافر إلى بعض المدن والحواضر العلمية للاستزادة من العلم، ومجالسة العلماء والتعرف عليهم والأخذ عنهم مباشرة[4].

1- الشيخ مولاي التهامي: ترجمة العلامة محمد بن لكبير الجزائري، http://shamela-dz.net/

2- المرجع نفسه – تهامي غيتاوي، الإشراق الكبير في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشيخ سيدي محمد بن لكبير، منشورات المؤسسة الوطنية للإشهار، ط1، سنة 2002م – زمير قرن، حاضرة توات، ص:102.

3- بلواق عبد الرحمن، الرحلات العلمية عند السلف وسبل إعادة بعثها، "سيدي محمد بن لكبير نموذجا من السلف"، https://www.altahrironline.com

4- الشيخ مولاي التهامي: ترجمة العلامة محمد بن لكبير الجزائري، مرجع سابق.

فتنقل إلى "تمنطيط"[1] التي لا تزال آنذاك حاضرة علمية، حيث أرسله إليه أبوه رفقة خاله محمد بن المهدي إليها، فأخذ عن علمها الرباني الذي انتهت إليه رئاسة الفقه الشيخ أحمد ديدي[2] بالزاوية البكرية. وكان الشيخ أحمد يحبّه، ويجلسه بجواره أثناء التدريس. فتلقى عنه مختصر خليل في ثلاث سنوات حفظا ودراسة، إضافة إلى علوم أخرى، من توحيد وفقه وحديث وتصوف وتفسير وآداب ونحو ولغة وصرف مدة ثلاث سنوات، فدرس الفقه المالكي من أمهات مصادره، والتوحيد بالأدلة والبراهين، وعلوم اللغة، مع سرد وشرح صحيح البخاري. وللشيخ رحمه الله إجازات وسند في الفقه المالكي والقراءات القرآنية وفي رواية صحيح البخاري[3].

---

1 – تمنطيط مدينة تاريخية قديمة يرجع تاريخها إلى ما قبل الإسلام بعدة قرون، هي من أهم وأقدم المدن التجارية بالصحراء الجزائرية الكبرى، وقد أهلها لذلك موقعها الجغرافي الهام، وكانت إلى وقت قريب تتوسط مجموع طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء. وتقع مدينة تمنطيط وسط إقليم توات الذي يمتد في حدوده القديمة من حدود واد الساورة إلى حدود صحراء تنزروفت، وهي حاليا تابعة لولاية أدرار التي تبعد عنها بعشر كلومترات تقريبا. و"تمنطيط" لفظ أعجمي مركب من اسمين أعجميين وهما (أتما) و(تيط)، ومعنى(أتما) النهاية، و(تيط) معناها العين، وبعد التركيب وحذف ألف (أتما) الأخيرة وإبدال ألف (اتط) الأولى نونا، صار الإسم على تركيب (أتْمَنْتِيط)، ثم أسقطت الألف الأولى للتخفيف، وأبدلت التاء الثانية طاء، فأصبح الاسم على صورة نطقه الحالية (تمنطيط). وقيل بأن اللفظ مركب من كلمتي (أمان) وتعني (الماء) و(تيت) وتعني (العين) أي بمعنى عين الماء. انظر الدكتور أحمد جعفري، مدينة تمنطيط ودورها التجاري وسط الصحراء، http://taouat.net

2 – الشيخ أحمد بن محمد العالم بن محمد الجزولي البكري، ولد سنة 1299هـ/1881م، حفظ القرآن على يد الشيخ محمد بن عبد الواحد، وأخذ مبادئ العلوم على يد أخيه الشيخ البكري بن محمد العالم، ثم عن الشيخ عبد الله البلبالي الذي أجازه، ثم عن العارف بالله الشيخ محمد بن عبد الرحمن الشهير بالغوث. اشتغل بالتدريس، وصارت مدرسته قبلة للطلبة. توفي في 16 شوال 1370هـ/1950م. زهير قران، حاضرة توات، ص:101.

3 – الشيخ مولاي التهامي، ترجمة العلامة محمد بلكبير الجزائري، مرجع سابق.

كما كانت له في هذه الفترة اتصالات متعددة بعلماء وقضاة المنطقة مثل: عبد الكريم بنيه البلباني (بني ثامر)، والشيخ بوعلام (ملوكة) والشيخ القاضي (محمد بن عبد الكريم بكري ابن عم الشيخ أحمد ديدي)، وغيرهم من علماء الإقليم، فوسع من معارفه، والاطلاع من خلالهم على النوازل وفتاوى إقليم توات. ثم استأذن والده في الذهاب إلى فاس لبقية دراسته في جامع القرويين، فلم يأذن له، ولكنه أذن له في الذهاب إلى تلمسان للأخذ من الشيخ العالم الزاهد الورع عبد الرحمان بن بوفلجة[1]. فكانت له اتصالات بعلماء تلمسان. كما كانت له رحلة إلى المغرب الأقصى، زار فيها جامع القرويين بفاس، ولقاء بعض العلماء بها[2].

ونظرا لذكاء الشيخ بلكبير وتمكنه من كثير من العلوم فقد اشتهر أمره في سن مبكرة. كما أن نبوغه جعل شيخه بوفلجة ينصحه بتعليم القرآن الكريم وتدريس العلوم الدينية بمعيشة ثم بالمشرية مدة خمس سنوات، تزوج خلالها، فتخرج على يديه في تلك الفترة أئمة وفقهاء ومعلمون[3].

ثم دعاه والده فعاد الشيخ من تلمسان إلى مسقط رأسه "بودة". وطلبه أعيان مدينة تيمون[4] ليكون معلما عندهم للقرآن والفقه والعلوم الشرعية، وذلك سنة 1943م. ففي الصباح يلقي الدرس لأعيان المنطقة، ثم بعدها يلقي درسا آخر للصغار. وكان يركز أولا على تحفيظ القرآن من الألواح، ثم ترسيخه عن طريق قراءته جماعة بعد صلاة المغرب ما يسمى بالحزب الراتب. ثم تدريس علوم التجويد والضبط والتفسير، وإلقاء دروس في

---

1 - المرجع نفسه.

2 - حامي غيناوي، الإشراق الكبير في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشيخ سيدي محمد بن لكبير، مرجع سابق– زهير قزال، حاضرة توات، ص:102.

3 - الشيخ مولاي التهامي، ترجمة العلامة محمد بن لكبير الجزائري، مرجع سابق.

4 - مدينة تيمسون وتلقب بـ "الواحة الحمراء"، تقع في الجنوب الجزائري في منطقة قورارة ثاني بلدية بولاية أدرار، فتقع تيمسون بجهتها الشمالية؛ وتبعد عن مقر الولاية بـ 210 كلم. كما تقع غرب مدينة تنمايت. وتحتوي على بناءات هي عبارة عن قصور عتيقة مشيدة بالتراب والطين الأحمر غير مرتفع. تحيط بها مجموعة من الواحات والأشجار.

السيرة النبوية، وقراءة المتون في الألواح وجمعة يوم الأربعاء، والقاه درس الفقه لعامة والطلبة الصغار الداخليين[1].

صفاته وملامح الشخصية[2]:

كان الشيخ سيدي محمد بن لكبير رحمه الله نطاق من العلماء الذين أنجبتهم منطقة في القرن الماضي، زاهدا عفيفا شهما، قانعا عزيزة وشكيمة، محترما بين الناس، رحب الصدر بشوشا، منصرفا عن الدنيا، أوتي الحكمة في القول والعمل[3]. فكان ممن جمع بين صدق العبادة وسمت العلماء، آية في الحفظ والأخذ عن المشايخ، فتح الله عليه أبواب المعرفة وحقائق العلم[4]، أوتي مهابة العلماء، ووقار الزهاد، وعفة الصالحين، كان مولعا بحب العلم وأهله وطلبته[5]. كان يعنى بمظهره وملابسه، حسن المنظر، عذب الكلام، سريع البديهة، هادئ الطبع، قوي في قول الحق لا يخاف في الله لومة لائم[6].

عُرف بين الناس بحسن خلقه، وعفوه عمن يسيء إليه، ولم يرده عطاء إلا تواضعا فعرف بسخائه وجوده وسعة كرمه وكثرة إنفاقه دون أن يحسب لذلك حسابا، فكان كثير الإحسان إلى الضعفاء والفقراء والمحتاجين من الناس وبخاصة طلبته. وكانت له مواقف عديدة تبرز خصال جوده وسخائه، ومما يُروى عنه أن رجلا أهدى للشيخ 120 ألف دينار، أي 12 مليون سنتيم في ظرف مغلق، فتناول الشيخ الظرف بيده اليمنى وسلمه باليد اليسرى لأحد جلسائه ممن تبدو عليه سمات الفقر والاحتياج، فصاح صاحب الظرف يا سيدي الشيخ إنها 12 مليون، فابتسم رحمه الله، وقال: "المال مال الله، وما

---

1 = الشيخ مولاي التهامي، ترجمة العلامة محمد بن لكبير الجزائري، مرجع سابق.

2 = المرجع نفسه.

3 = المرجع نفسه.

4 = المرجع نفسه.

5 = المرجع نفسه.

6 = المرجع نفسه.

أنا إلا كموزع البريد، آخذه من ذا وأعطيه لذاك"، وكان المبلغ المالي 12 مليون سنتيم سنة 1984 ذا قيمة كبيرة.

فلم تكن الدنيا لتغري الشيخ، فكان ما يمتلك من عقارات في مدينة تاوريرت مخصصة لإيواء الطلبة والإنفاق عليهم، وكان بإمكانه أن يكون من أثرياء البلدة، ويعيش حياة الترف، لكنه آثر أن يعيش حياة بسيطة، وأن يسخّر نفسه وماله في خدمة العلم وأهله وتربية النشء. فكان رجلا ربّانيّا، تعلق بحبّ الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وبخدمة الدين ونصرة الشريعة ونشر العلم وتعليم كتاب الله عز وجلّ، يتجافى جنبه عن مضجعه، حتى إذا أذّن المؤذن لصلاة الفجر يخرج من بيته قاصدا المسجد، وفي طريقه يجد ذوي الحاجات وقد اصطفوا في انتظار ما تجود به يده الكريمة، فكان يُعطي جميع السائلين، بل كان يتصدق على كل مَن يُصادفه من السائلين بما يدخل السرور إلى قلوبهم. وكان في كل يوم يؤم المصلين في صلاة الصبح، ولمّا تنقضي الصلاة يبقى لله ذاكرا شاكرا تاليا لكتاب الله إلى أن ترتفع الشمس قليلاً فيصلي ركعتين في مصلاه ويعود إلى بيته فيمكث فيه قرابة ساعة أو أقل، ثم يتجه إلى غرفة الضيوف فيتناول فطور الصباح مع زائريه القادمين من مختلف الأنحاء، فيجالسهم ويحادثهم[1].

وقد اتفق كلّ من صاحب الشيخ وجالسه وأخذ عنه أنه كان قدوة حسنة في الأخلاق، شديدة الأسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو ما أكده الشيخ أحمد حفاري بقوله: "إن أخلاق الشيخ كانت مستمدة من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، من حلم

[1] – محمد رميلات، الشيخ العالم العلاّمة سيدي محمد بن لكبير، http://saidalhistoire
-الشيخ الحاج سالم بن ابراهيم، مناقب الشيخ سيدي محمد بن الكبير وجهوده في نشر المذهب المالكي. http://www.taouat.net

وكرم وعلم وعمل ووقار وخشية لله عز وجل وزهد"[1]، ويقول الشيخ الحاج المهدي رابح: "كان الشيخ محمد بلكبير متخلقا بخلق القرآن والسنة"[2].

كما عُرف الشيخ بلكبير رحمه الله تعالى بحسن تدينه وكثرة عبادته لله تعالى؛ فرغم كثرة انشغالاته، وكثافة دروسه، واستقباله لزواره، لم يكن ليفرط في شيء من أوراده وعباداته. فكان يؤم المصلين في مسجده العامر بوسط مدينة أدرار، فيؤمهم في صلاة الصبح، ولمّا تنقضي الصلاة يبقى في مصلاه يذكر الله تعالى ويسبح بأنواع الأذكار والأوراد، ويتلو شيئا من كتاب الله تعالى، إلى أن ترتفع الشمس قليلاً، فيصلي ركعتين في مصلاه ويعود إلى بيته ويتناول فطور الصباح مع من حضر من الضيوف والزائرين.

وبعد الزوال وتناول الغذاء يتجه الشيخ إلى بيته ليأخذ نصيبه من الراحة والقيلولة، ثم يؤم الشيخ المصلين لصلاة الظهر ولا يغادر محرابه حتى يُصلي العصر، ثم يشرع بعد صلاة العصر مباشرة في ورده اليومي فيذكر الله تعالى ويسبّحه ما يقارب الساعتين، ثم يغادر إلى بيته فلا يخرج منه إلا قبيل المغرب بدقائق معدودات، ليؤم الناس لصلاة المغرب فإذا انفلت من الصلاة أدى ورده ثم ينتقل من محرابه إلى مكان في وسط المسجد ليلقي درسه المعتاد بين العشاءين[3]. وكان هذا حاله طيلة أيام السنة.

مكانة الشيخ الفقهية والعلمية[4]:

بعد وفاة شيخه أحمد ديدي رحمه الله، انتهت إلى الشيخ محمد بلكبير رياسة العلم في إقليم توات، فظهر تفوقه على أقرانه في علوم الشريعة من فقه وتفسير وحديث، وعلوم اللغة والأدب العربي. فقد تميّز رحمه الله بملكاته العلمية المتنوعة وسعة اطلاعه وغزارة

---

[1] – الشيخ مولاي التهامي، ترجمة العلامة محمد بلكبير الجزائري، مرجع سابق

[2] – المرجع نفسه.

[3] – محمد رمبلات، الشيخ العالم العلاّمة سيدي محمد بلكبير، مرجع سابق

[4] – الشيخ مولاي التهامي، ترجمة العلامة محمد بلكبير الجزائري، مرجع سابق

علمه. فكان يلقي دروسه باسترسال ودون تلعثم من حافظته. وحتى بعد كبر سنه وتقدمه في العمر لم يؤثر ذلك على ذهنه، فكان يجيب عن أسئلة المفتين في إجابات شافية كافية، ويذاكر مع أهل العلم في المسائل الدقيقة[1].

تحلى الشيخ رحمه الله بأخلاق العلماء وآداب الفقهاء، وفضائل أصحاب السلوك، وانتشرت أخباره وخصاله بين الناس، فازدادوا احتراما وتقديرا له. فكان في مناقشاته العلمية ومناظراته الفقهية حسن الجدال، لا يتعصب لرأيه، لا يماري ولا يخاصم، ولم يكن همه التفوق على مخالفه بقدر ما كان هدفه الوصول إلى الحق ومعرفة الصواب. وقد عُرف بين أقرانه بذكائه ورسوخ العلم وسرعة البديهة وقوة الحجة والإقناع والإفحام؛ سأله يوما أحد الأساتذة المصريين عن الأذان الثلاث يوم الجمعة، فسأله الشيخ: هل هو جائز أم لا؟ فسكت الأستاذ المصري، إن قال نعم فلا حاجة لسؤاله، وإن قال لا يطلب منه الشيخ دليل المنع، فالأذان ذكر وما الذي يمنع من تعدد الذكر إن لم يوجد نص واضح بين[2].

ومما يدل على ذكائه وسعة اطلاعه أنه لما ذهب إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج سنة 1953م مرّ على مصر ومكث فيها أسبوعا وزار الأزهر الشريف، فالتقى فيه بعلماء وطلبة الذين التفوا حوله، وطلبوا منه إلقاء درس وألحوا على أن يكون في شرح (الاختيار بالذي والألف واللام من ألفية ابن مالك)، وهذا الباب معروف بباب امتحان الطالب لصعوبته، إلا أن الشيخ أفاض فيه وأجاد، فازداد احترام مشايخ الأزهر له[3].

وكان الشيخ مناظرا بارعا مناصرا لفقه إمام دار الهجرة، بعيدا عن التشدد والتعصب لمذهبه، ومما حدث له بمصر أن أحد أساتذة الأزهر الشريف سأله عن كتب الفقه، فقال له: "كتب الفقه كخليل والرسالة التي تدرسونها في بلاد المغرب كلها باطلة ومضيعة للوقت، وإنما العلم يؤخذ من الكتاب والسنة النبوية. فقال الشيخ بلكبير رحمه الله: "إن أعطيتني مسألة واحدة من القرآن والحديث الشريف فقط، أو قال له الشيخ أعطيني أحكام قوله تعالى: "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة" من دون الرجوع إلى حافظتك،

---

[1] – المرجع نفسه.

[2] – المرجع نفسه.

[3] – المرجع نفسه.

وإلى كلام الفقهاء، سلمت لك فيما تقول، وأعرضتُ عن تدريس كتب الفقه هذه وعُدتُ إلى الأخذ من القرآن والحديث النبوي الشريف فقط، فسكت الأستاذ ولم يرد عليه بكلمة واحدة"[1].

فكانت إجاباته ومناظراته فيها براعة وتسامح بعيدة كل البعد عن الغلو والتشدد والغرور بالنفس، كما شهد بذلك طلبته الملازمون له، كالشيخ الفاضل الحاج سالم بن براهيم، والشيخ الفاضل الحاج عبد الله عزيزي والشيخ الفاضل سيدي الحاج عبد الكريم مخلوفي[2].

وكان الشيخ عبد الحميد كشك يسأل كل من زاره من الجزائر عن الشيخ محمد بلكبير وعن طلبته، حتى إنه أي الشيخ عبد الحميد كشك قد رد بعض الطلبة من مدينة المنيعة ممن قصدوه للدراسة وأمرهم بالرجوع إلى الشيخ محمد بلكبير للأخذ عنه[3].

بلغ الشيخ بلكبير مرتبة العلماء في هذا العصر، تفخر به بلاده الجزائر، وذاع صيته خارج بلده، حتى وإن لم يلق اهتماما كبيرا من بعض أفراد وطنه، أو من وسائل الإعلام كحال بقية علماء بلده، وهي عادة المغاربة عموما في عدم اهتمامهم بعلمائهم وتعظيمهم للعلماء من خارج بلدهم، حتى أننا لاحظنا أن الناس يرحبون بمن يَفِدُ إليهم من خارج بلدهم ويحتشدون لسماعه، وبعض الباحثين وطلبة الدكتوراه يبحثون عن دراسات سابقة من بلاد المشرق العربي ويغفلون عن دراسات وبحوث أكاديمية أنتجها الجامعة الجزائرية التي - أي الدراسات - قد تفوق مثيلاتها من حيث عمق البحث والأصالة والجدة. إلا أن الفضل

---

1 - المرجع نفسه.

2 - المرجع نفسه.

3 - الشيخ مولاي التهامي، ترجمة العلامة محمد بلكبير الجزائري، http://shamela-dz.net/

بعد الله تعالى يعود إلى طلبته المنتشرين في الآفاق الذين أحسنوا نقل سيرة الشيخ وعلمه. فذكروا من أخلاقه وعلمه وفضله الشيء الكثير[1].

اهتمامه البالغ بتدريس العلوم الشرعية واللغوية:

تنوعت دروس الشيخ العلمية، وكان محافظا على توقيتها وترتيبها، دون أن يقصّر في شيء من أذكاره وورده اليومي، فيبدأ دروسه في الصباح، حيث خصّص لذلك قاعة واسعة في الطابق الأول من مدرسته، تُسمى "المجلس"، فيشرع في إلقاء دروسه العلمية المختلفة، لكبار التلامذة ممن بلغوا في العلم منزلة متقدمة، فينوع لهم في المواد بين علوم الشريعة واللغة والسلوك، إلى غاية الزوال قليلاً، بعدها يذهب لاستقبال الضيوف والزائرين الكثيرين فيتناول طعام الغداء مع مَن حَضر منهم.

كما كان للعامة حظ من دروس الشيخ وتوجيهاته، فبعد أن يؤم الناس في صلاة المغرب، وأدائه لورده اليومي من الذكر وتلاوة القرآن، يبدأ في إلقاء مجموعة من الدروس المتنوعة بين صلاة المغرب وصلاة العشاء، حيث كان الناس حريصين على حضورها والاستماع إلى الشيخ، وهي دروس تراعي مستوى الناس، وتلمسُ واقعهم المعيش، تجمع بين العلم والنصائح والرقائق والتذكير، تختلف عن الدروس الخاصة التي يلقيها على طلبته ممن بلغوا مستوى متقدم من العلم[2].

وكان الشيخ يؤمن بأن العلم يُؤخذ من أفواه الرجال، ويُتلقى من حلقات العلم، وتمكن منه طالبُ العلم بالجلوس إلى الشيوخ وملازمة العلماء، وكان يقول كما نقل عنه بعض تلامذته: (إن للكُتب آفات تفرقها: فالنار تحرقها، واللص يسرقها، والفأر يُخرقها، والماء يغرقها)، كما يردد قول الشاعر:

---

[1] – محمد رميلات، الشيخ العالم العلاّمة سيدي محمد بلكبير، مرجع سابق

[2] – المرجع نفسه.

مَن يأخذ العلم من شيخ مشافهة *** يكن من الزيغ والتحريف في حرم
ومَن يأخذ العـــلم من صحف *** فعلمه عند أهل العلم كالعدم

كان الشيخ واسع المعرفة، قد أخذ من كل فن وعلم بطرف، مع تعمقه في علم الفقه عامة، وفي المذهب المالكي بصفة خاصة، متابعا لواقعه وظروف مجتمعه، وكانت دروسه العلمية سواء أكانت التي هي موجهة للطلبة أو للعوام غزيرة الفوائد والنكت واللطائف، وكان تلاميذُه يتسابقون في تقييد تلك الفوائد، ويسأل بعضُهم بعضًا إذا فاتت أحدَهم فائدة، فينقلها عن زميله، سواء ما تعلقت منها بتفسير القرآن الكريم، أو بشرح الحديث النبوي الشريف، أو ما تعلق منها بمسائل العقيدة والفقه[1].

وكان رحمه الله يصغي ويغربل لطلبته ما ينقله عن العلماء والفقهاء من الأقوال والآراء، وينتقي لهم ما ورد في بطون كتب الفقه، ولا يشغلهم بكثرة الاختلافات ولا بالأقوال الضعيفة والشاذة.

الشيخ بلكبير فقيهٌ ومفتي مالكي[2]:

عُرف عن أهل المغرب العربي أنهم مالكية المذهب، منذ قرون طويلة، فانتشر في مختلف ربوع بلاد المغرب، وازداد رسوخا بين الفقهاء وعلماء المنطقة وبخاصة بلاد الجزائر، فتولوا خدمته وشرح متونه وتدريس أمهات مصادره وتعليمه للناس، وبناء الفروع على أصوله وتخريج أحكام النوازل على قواعدها، وتحقيق مخطوطاته. فسار الشيخ بلكبير على منوال علماء بلده، فتلقى أصولَه وفروعَه على كبار مشايخ وفقهاء المذهب المالكي آنذاك. ولذلك فالشيخ مالكي المذهب دَرَسَه ودرَّسَه وتعمق فيه وأفتى به، واعتصر منه زبدتَه وأقوالَ علمائه المعتمدة في العلم والفتوى فقدمها سهلة ميسرة لطلبته. لكنه لم يغفل الاطلاع على بقية المذاهب الأخرى، والاستعانة بها في مجال الاجتهاد والفتوى في النوازل والقضايا المستجدة وإيجاد الحلول لمشكلات عصره وزمانه.

---

[1] – المرجع نفسه.

[2] – الشيخ مولاي التهامي، ترجمة العلامة محمد بلكبير الجزائري، مرجع سابق

وإذا كان الشيخ قد أخذ بفقه إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله، متمكنا من أصوله وفروعه، واسع الاطلاع على آراء فقهاء المذهب المالكي حافظا لمتونه ومسائله وقواعده، فإن ذلك لم يجعله حبيس الكتب القديمة بعيدا عن واقعه، بل كان أيضا على علم بنوازل عصره، متابعا لثقافة زمانه، له آراء فيما استجد من قضايا العصر. ونظرا لتمكنه العميق من علوم الشرع واللغة، فقد كان يلقي دروسه من حافظته، فكان العلم يتفجر من لسانه، والحكمة تنبع من صدره، والنكت واللطائف العلمية والآراء الشخصية تتخلل دروسه المختلفة.

إن حياة الشيخ محمد بلكبير سخرّها كلّها للعلم والتعليم والتربية، وما فضل منها فهو للذكر والعبادة وأعمال الخير وبخاصة الإحسان إلى ذوي الحاجات، ثم ما فضل منها شيء فهو لاستقبال الزائرين له. وقد وفد إليه أهلُ العلم من أساتذة الجامعات والباحثين، فأعجبوا بدروسه العلمية، واندهشوا لسعة اطلاعه في فنون العلم المختلفة، وقدّروه حق قدره، وعلموا أنهم أمام عالم جليل ورع زاهد متواضع محب للعلم وأهله[1].

كما تصدى الشيخ بلكبير للفتوى، فكان مفتيا ورعا، ينظر في المآلات، ويراعي روح الشريعة ومقاصدها السمحة، وينحو دائما نحو التيسير والتخفيف عن الناس.

ومن فتاويه أنه سُئِل عن السدل والقبض فقال: "ينبغي ألا ينكر السادل على القابض ولا القابض على السادل، وإذا وجد القابض جماعة يسدلون سدل، وإذا وجد السادل جماعة يقبضون قبض حتى لا يلفت أنظار الناس إليه، ولا توضع له علامة استفهام، ولا ينبغي للمسلمين أن يختلفوا ويتجادلوا في مسألة مثل هذه، ومن العار والفضيحة أن يقتتل المسلمون أو يتقاطعوا أو يتدابروا من أجل سنة أو مندوب؛ فالسنة سنة والمندوب مندوب والفتنة حرام وعواقبها وخيمة..."[2].

---

1 – محمد رميلات، الشيخ العالم العلاّمة سيدي محمد بلكبير، مرجع سابق.

2 – المرجع نفسه.

وأنه سئل عن الحج بالنيابة أي النيابة في الحج، فقال: (إن حج الغير لا يسقط الفرض، واستدل بقول الإمام خليل صاحب المختصر: "ولا يسقط فرض من حج عنه وله أجر النفقة والدعاء")[1].

وذكر الشيخ محمد باي بلعالم أن الشيخ لما حجّ معه سنة 1383هـ/1964م، وأثيرت مسألة الإحرام من جدة، أفتى بجواز تأخير الإحرام إلى البّر، واستدل بعدة أقوال للفقهاء الذين أفتوا بالجواز[2]. ذلك أن الطائرة التي تنطلق من الجزائر إلى جدة لا تمر بالضبط فوق الميقات (الجحفة)، ثم إن الطائرة تسير بسرعة، فلا يكاد الحاج يشرع في القيام بشعائر الإحرام تكون الطائرة ابتعدت كثيرا عن الميقات، فيكون الإهلال بنسكه حجا أو عمرة إلا بعد أميال كثيرة، فيكون تأخير الإحرام إلى ميقات أهل جدة أولى لما فيه من التخفيف ورفق ورفع للمشقة عن الحاج[3].

وقد علّق الشيخ محمد باي بلعالم على فتوى الشيخ بلكبير بأنها مطابقة لليسر، ولقد قال الله في سورة الحج: (**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**) الحج:78، وأنه بحث في هذه القضية فوجد الصواب مع الشيخ بلكبير في جواز تأخير الإحرام إلى البر[4]، ثم قال: فرحم الله الشيخ بلكبير وجزاه الله عنا خيرا[1].

---

1 – الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص:347.

2 – ومن الفقهاء الذين قالوا بالجواز الفقيه المالكي الجزائري الشيخ أحمد حماني رحمه الله وفصّل القول في المسألة في كتابه الذي بعنوان: (الإحرام لقاصدي بيت الله الحرام وقضية الإمام الذي يجتهد في إبطال مذهب الإمام)، من منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، طبع في المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية–الجزائر 1994م.

3 – الشيخ بلعالم، الرحلة العلية، ص:348و349.

4 – قرار المجمع الفقهي الإسلامي التابع لرابطة العالم الإسلامي في سنة 1402 هـ، تحت رقم: (2رقم الدورة: 5، في جلسته الثالثة يوم الخميس الموافق 1402/4/10هـ، والمصادف 1982/2/4م موضوع (حكم الإحرام من جدة، وما يتعرض له الكثير من الوافدين إلى مكة المكرمة للحج والعمرة عن طريق البحر والبحر) إلى وجوب الإحرام من الطائرة. وتعلق

وكان الشيخ بلكبير لا يجيب عما لم يحط به علما، خاصة في بعض النوازل المعاصرة، ويعتذر للسائلين دونما حرج، لأن الفتوى دين، ولا يجوز القول فيها بغير علم، فقد سأله رجل من مدينة "أولف" يقال له عبد القادر بن المختار بورقبة عن حكم البنوك فاعتذر بأنه ليس له معرفة بهذا الموضوع، ثم قال: إن بعثتمونا إلى مصر فإننا نبحث هناك عن الحل لهذه المعاملات[2].

ورغم العلم الذي أوتيه الشيخ بلكبير فقد كان متواضعا، ويسأل غيره ويتعلم منهم، ففي حجته الأخيرة سنة 1974م، وقعت له مشكلة، وهو أنه تأخر في منى مع رفقائه وأهله يوم التعجيل بالنفير حتى غربت عليهم الشمس، وكانوا على متن الحافلة في منى نظرا لكثرة الزحام، وتحرج من ذلك، وقال لهم: ادعوا لي الشيخ باي، فلما جئته طرح علي السؤال وأخبرني بما وقع له من التأخير، وكان قد تخوف من أن يكون وجب عليه دم بسبب هذا التأخير في منى إلى غروب الشمس، فأجابه الشيخ باي بلعالم: بأنه لا دم عليهم حيث إنهم نووا النفير وكانوا جاهزين للخروج من منى قبل الغروب، وإنما الهدي يلزم من كان مختارا قادرا على الخروج ولم يخرج حتى غربت الشمس ولم يزد اليوم الرابع كما هو المطلوب، فهذا الذي يلزمه الهدي لأنه غير متعجّل فقد فاته التعجيل بغروب الشمس في منى؛ ففرح الشيخ بلكبير فرحا شديدا، وقال للشيخ باي: إني كنت مهموما جدا بهذه القضية، فقال له بعض رفقائه: أنت لا تحتاج لفتوى الشيخ باي، وكأن الشيخ بلكبير قد حط من قدره لما سأل غيره، فأجابه: "إن ذكر النخل لا يؤبر نفسه"[3]، أي أن الإنسان مهما أوتي من العلم فهو يحتاج إلى غيره.

الشيخ مصطفى أحمد الزرقاء والشيخ أبو بكر محمود جومي بالنسبة للقادمين من سواكن إلى جدة فقط.

[1] – المرجع نفسه.

[2] – المرجع نفسه، ص:347.

[3] – المرجع نفسه، ص:350.

عناية الشيخ بلكبير بالطلبة والحرص على تكوينهم وتحفيظهم كتاب الله تعالى:

اشتغل الشيخ سيدي محمد بلكبير بتعليم النشء وتخريج العلماء، وصناعة الرجال، حتى أن رجلا سأله عن سبب عزوفه عن تأليف الكتب، فقال رحمه الله: "إننا مشغولون عن تأليف الكتب بتأليف الرجال"[1]، وهو بذلك يقتدي بكثير من علماء الجزائر خاصة في الفترة الاستعمارية الذين انصب جهدهم على التكوين وتخريج طلبة العلم، كالشيخ العلامة عبد الحميد ابن باديس رحمه الله تعالى، الذين انشغل بتخريج الطلبة وإنشاء مدارس العلم في ربوع الوطن الجزائري مع ثلة من علماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

فقد تخرّج في مدرسته الآلاف من الطلبة الحافظين لكتاب الله تعالى، المستوعبين لمتون الفقه والعقيدة واللغة، وكان تلامذته يفدون إليه من مختلف جهات القطر الجزائري، ومن خارجه، كالسودان والمغرب وتونس وليبيا والنيجر وتشاد ومالي، وكان إطعام الطلبة وإيوائهم وتدريسهم على نفقته الخاصة رحمه الله[2].

ونظرا لحب الشيخ الشديد للطلبة فكان يتخوّلهم بالنصيحة من حين إلى آخر، ويدعوهم إلى الجد والاجتهاد والمثابرة في تحصيل العلم، و الإخلاص في طلبه، والتمسك بالدين، ويحذرهم من الانحراف والانسلاخ عن الذات[3]، وكان يوصي من صار منهم إماما في أحد المساجد بإعطاء الإمامة حقها من الالتزام والسلوك، ويقول لهم كما نقل ذلك عنه

---

[1] – هو في ذلك يشبه الكثير من شيوخ وعلماء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين كرسوا حياتهم كلّها في سوادها وبياضها في خدمة العلم وأهله، وتعليم النشء، والتصدي للمخططات الاستعمارية التي استهدفت الهوية والدين واللغة العربية، فانشغلوا بتأليف الرجال عن تأليف الكتب.

[2] – المرجع نفسه.

[3] – المرجع نفسه – محمد رميلات، الشيخ العالم العلاّمة سيدي محمد بلكبير.

أحد تلاميذه: (صونوا وظيفة الإمامة فإن الإمام كالثوب الناصع البياض أدنى دنس يظهر عليه). ونقل عنه أنه كثيرا ما كان يقول: (مَن عمل بما علم ورّثه الله عِلم ما لم يعلم)، وأيضا يردد قول الشاعر:

العلم زيـــن بالعمـل *** لا بالتبـــاهي والأمـل
فمـــن أتى بحقه *** بالفـــعل والقول كمـل
ومن نأى عن فعله *** فهو حمار أو جمـل
يحمل أســـفارًا فـــلا *** يدري لمـــــعنى ما حمل[1]

فكان الطلبة من أحب الخلق إلى الشيخ بلكبير رحمه الله، يدافع عنهم، ولا يأبه لمن يتكلم فيهم بسوء؛ ويعتبرهم مثل أبنائه أو أكثر من ذلك؛ فقد جاءه رجل فقال له: يا سيدي إن الطلبة كثر عددهم، فاتخذ عليهم حراسا يحرسونهم. فقال له الشيخ: هل أحصيت كم عددهم؟ فقال الرجل: نعم. فقال له: كم؟ فأجاب: 400 طالب أو يزيدون، فقال له الشيخ: أيمكن أن يصلح وينجح منهم أربعة؟، قال الرجل: نعم. فقال الشيخ: إن صلح من كل مئة طالب طالب واحد يكفيني ذلك، فسكت الرجل. وجاء غيره إلى الشيخ وقال: يا سيدي إني وجدت بعض الطلبة في مواطن السوء، فكان رد الشيخ بكل حنكة وحكمة بقوله وأنت ماذا كنت تصنع هناك[2].

وكان يكثر الإنفاق على طلبته، ويتكفل بإطعامهم وإيوائهم من ماله الخاص، ويؤثرهم على نفسه، ويروى عن بعض تلاميذه أن شخصا جاء بسيارة فخمة إلى الشيخ بلكبير فقدمها له هدية، وهو يدرس تلامذته، فقال لهم: من يريد منكم سيارة وها هو مفاتيحها، فاستحيا التلاميذ من ذلك، فرفع أحد الأشخاص أصبعه وظن أن الشيخ يمزح معه فقط. فقال له الشيخ محمد بلكبير: خذها فهي لك مباركة طيبة[3].

---

1 – محمد رميلات، المرجع نفسه.

2 – الشيخ مولاي التهامي، ترجمة العلامة محمد بلكبير الجزائري. مرجع سابق

3 – المرجع نفسه.

تأسيس مدرسة للتعليم والتربية وتحفيظ القرآن أكبر إنجاز في حياة الشيخ:

لقد اهتم علماء الجزائر قديما بإنشاء المدارس، سواء أكانت مستقلة، أو تابعة للمسجد والزوايا، حتى في الفترة الاستعمارية، فقد أنشئت عدة مدارس حرة، تُلَقِّن علوم الدين، وتُحَفِّظ القرآن الكريم، وذلك لتفطن العلماء إلى أهمية المدارس في التربية والتوعية والمحافظة على انتشار العلم ومحاربة الجهل.

فسارع الشيخ بلكبير إلى إنشاء مدرسة كانت بمثابة جامعة متكاملة من حيث المرافق وتنوع التعليم بها. فكانت تستقبل عددا كبيرا من الطلبة من مختلف أنحاء الوطن، ومن خارجه، ربما قد فاقوا الألف. وكانوا يتميزون بلباسهم ومظهرهم. فيتلقون على يد الشيخ مختلف العلوم الشرعية واللغوية، فيُدرسهم الشيخ متون العقيدة كالسنوسية، والجوهرة، وإضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة. ومتون الفقه كالمرشد المعين لابن عاشر، والعبقري، وأسهل المسالك، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر الشيخ خليل. ومتون اللغة كالأجرومية، ومُلحة الإعراب، وألفية ابن مالك. ومتون الأخلاق والسلوك كسراج طلاب العلوم، ونصيحة الهلالي، وهدية الألباب، والحكم العطائية، وفي علم الحديث متن البيقونية[1].

كما كان تركيز الشيخ الأكبر على تحفيظ كتاب الله تعالى، واستظهار سوره وأحزابه يوميا امتثالا لما ورد في السنة عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّه عَنْه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهم عَلَيْه وَسَلَّمَ قَالَ: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)[2]، وكان يحث طلبته على تقديم الأهم على المهم في

---

[1] – المرجع نفسه – محمد رميلات، الشيخ العالم العلاّمة سيدي محمد بلكبير، مرجع سابق.

[2] – رواه البخاري في صحيحه.

تعلّم العلوم الشرعية وغيرها، وقد نقل عنه أحد تلامذته[1] أن الشيخ كثيرا ما كان يردد قول القائل:

قـــدّمِ الأهَمَّ فإنَّ العِلمَ جَمْ *** والعُمرُ ضَيفٌ زارَ أو طَيفٌ ألَمْ

كان لمدرسة الشيخ بلكبير رحمه الله تعالى دور بارز في إثراء الحركة العلمية بمنطقة توات خاصة والجزائر عامة. فكانت منارة للعلم، وفضاء ثقافيا رحبا اجتمع فيها طلاب العلم من كل مكان. فكان لها الدور الكبير في تنشئة وتعليم وتربية جيل من الطلبة، وتكوين ثلة من العلماء، وعدد هائل من حفظة كتاب الله تعالى[2].

فاستطاع الشيخ رحمه الله أن يجدّدَ بمدرسته ما اندرس من العلم، وأن يحارب ما انتشر من الجهل، وأن يقضي على ما تفشى من الضلالات والشركيات التي كانت منتشرة في زمانه وبخاصة في منطقة الصحراء. وربما عدّه بعضهم من مجددي هذا العصر خاصة في الأمة الجزائرية[3]، فأحيا الله تعالى به أمة حاول الاستعمار الفرنسي الظالم ما يزيد عن قرن من الزمن طمسَ معالم شخصيتها وهويتها الدينية واللغوية.

فقد تخرج من مدرسته عدد كبير من طلبة العلم وأئمة المساجد وحفظة القرآن الكريم والفقهاء والمربين من الجزائر وخارجها، هؤلاء الذين تولوا نشر علوم الشيخ وتربيته بين الناس في ربوع الوطن وخارجه. بل إن الكثير من أئمة المساجد وشيوخ الزوايا خاصة في منطقة الصحراء هم من خريجي مدرسة الشيخ وممن تلقوا التربية والتعليم على يديه[4].

---

[1] - محمد رميلات، الشيخ العالم العلاّمة سيدي محمد بلكبير، مرجع سابق.

[2] - الشيخ مولاي التهامي غيتاوي، علاقة الشيخ سيدي محمد بلكبير بأعلام عصره، http://www.taouat.net/

المداخلة ألقيت في فعاليات الملتقى الوطني الأول الشيخ سيدي محمد بن الكبير المنعقد بأدرار بتاريخ 11/10 رجب 1431هـ الموافق ل :24/23 جوان 2010م

[3] - الشيخ مولاي التهامي غيتاوي المرجع نفسه.

[4] - المرجع نفسه.

فانتشروا بين الناس ينشرون علم الشيخ وطريقته في التربية والسلوك ويؤمون الناس في بيوت الله تعالى[1].

ومدرسة الشيخ التي أسسها بمدينة أدرار تعتبر هي الأصل وهي الأم، ومنها تفرعت عنها عدة مدارس، منها: مدرسة الضاوية، وشيخها الطالب سالم، ومدرسة الشيخ الكبير في بودة، وشيخها الفقيه العلامة الحاج وهو من أقارب الشيخ، ومدرسة زاوية الدباغ، وشيخها السيد محمد الدباغي، ومدرسة ذومناس، وشيخها العلامة الحاج عبد القادر بكراوي، ومدرسة رقان، وشيخها الحاج عبد الكريم الدباغي، ومدرسة تمي... وشيخها أحمد خليلي، وغيرها من المدارس الكثيرة[2].

علاقة الشيخ بعلماء عصره واتصاله بهم:

أكثر العلماء الذين عاصروا الشيخ سيدي محمد بلكبير كانت بينهم وبينه مراسلات وزيارات، عرفوا قدره ومكانته العلمية. فكانت له علاقة بعلماء زمانه وأعلام عصره، تجري بينهم مناقشات علمية في النوازل والفتاوى الفقهية المعاصرة، يسمع منهم بكل تواضع ويسمعون هم كذلك إلى علمه الغزير، وقد تكون بينهم اختلافات وآراء إلا أن ذلك لا ينقص الشيخ عن سمت العلماء المتواضعين[3].

وممن عاصر الشيخ بلكبير من العلماء والمشايخ وكانت لهم معه علاقة وصلة ورابطة علمية ومناقشات في مسائل علمية ومباحث فقهية[4]: الشيخ عبد الكريم البلباني من بني تامر كان من أعلام المذهب المالكي في المنطقة، والشيخ الطاهر آيت علجت والشيخ محمد الشارف، والشيخ الفاضل محمد بلقايد، والشيخ الحاج عبد القادر بكري بن الشيخ سيدي أحمد ديدي، والشيخ الحاج أحمد البكراوي نومنا...

---

[1] – المرجع نفسه.

[2] – الشيخ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ص:352.

[3] – الشيخ مولاي التهامي غيتاوي، علاقة الشيخ سيدي محمد بلكبير بأعلام عصره، مرجع سابق.

[4] – المرجع نفسه.

والشيخ الفقيه الكرزازي، والشيخ عبد العزيز مهدية، والشيخ عبد القادر بن محمد بوقمونة، والشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي، والشيخ امحمد بن مولاي عبد الرحمان سلني. والشيخ محمد بن سيدي مبارك الرقاني، والشيخ محمد باي بلعالم، والشيخ عبد القادر بن سالم المغيلي، والشيخ عبد العزيز من برينكان، والشيخ محمد ولد الطالب من كوسام، والشيخ بوعلام البلبالي من ملوكة، والشيخ عبد الله بلبالي بن بوعلام، والشيخ الحاج سالم بلبالي بن الضريف، والسيد الحاج محمد بلبالي بن المبحوت، والشيخ الحاج عبد الكريم بن حسان التنلاني، والشيخ محمد بالحاج الجعفري تيلولين، والشيخ القاضي عبد الحق البكراوي، والشيخ القاضي عبد الكبير بكري وهو القاضي الشرعي بالقنيطرة في المغرب الأقصى وهو من تلاميذ الشيخ بلكبير درس عليه في المشرية، والشيخ الحاج محمد بن مالك، والشيخ الفاضل الحاج الزاوي، والشيخ عبد القادر بن مالك تيفر، والشيخ الحاج أحمد الجعفري النحوي وأخوه الحاج أحمدو الجعفري وهو من المترددين عليه والمحبين له والمحبوبين عنده، والشيخ العالم محمد الشريف، والشيخ محمد بن مولاي البكري. وهؤلاء كان معظمهم من أعلام المذهب المالكي في زمانه وغيرهم كثير[1].

وأما من خارج الوطن الذين عاصروه وراسلوه وزاروه، منهم: الشيخ الجليل العالم العلامة محمد بن علوي المكي المالكي، والشيخ إسحاق الشريف المصري المجاور بمكة، وكذلك الشيخ الجليل يسن صاحب دلائل الخيرات[2].

---

[1] الشيخ مولاي التهامي غيتاوي المرجع نفسه.

[2] – المرجع نفسه.

آثاره الإصلاحية:

إن الشيخ محمد بلكبير فقيه ربّاني، اشتغل بنشر العلم وتحفيظ كتاب الله تعالى، تميّز بنشاطه وحيويته، أسهم في بناء المسجد الكبير وإنشاء مدرسة للتربية والتعليم بمدينة أدرار التي تفرعت عنها عدة مدارس بعد ذلك، فاتخذ من المدرسة محضنا لتربية الأجيال وتلقينهم القرآن ولغته، وإشباعهم بالثقافة العربية الإسلامية الجزائرية.

كان له نشاط في فترة الاستعمار الفرنسي رغم الرقابة الشديدة لإدارة المستعمر الظالم، واستمر نشاطه بعد الاستقلال إلى وفاته رحمه الله، وقد اتخذ من العلم والتعليم وسيلة لمحاربة مخططات الاستعمار، وأداة لمحاربة الجهل والمحافظة على الهوية الجزائرية[1].

وكانت للشيخ إصلاحات ملموسة في مجال طرق تدريس علوم الشريعة واللغة، وإبعاد الفقه عن الألغاز والجمود والتعصب المذهبي[2].

كما تجلت آثاره الإصلاحية خاصة في منطقة الصحراء في القضاء على البدع والخرافات والشعوذة -نتيجة الجهل ومخلفات الحقبة الاستعمارية-[3]، عن طريق الدروس العامة، والإرشاد وتعميم التعليم[4]، وعن طريق الأئمة المنتشرين في كثير من المساجد والذين تخرجوا من مدرسة الشيخ رحمه الله.

---

1 - الشيخ مولاي التهامي، ترجمة العلامة محمد بلكبير الجزائري، http://shamela-dz.net/

2 - المرجع نفسه.

3 - المرجع نفسه.

4 - المرجع نفسه.

وكان جل اهتمام الشيخ انصب على نشر العلم والمعرفة وتعليم شرائح المجتمع، وتزويدهم بالقيم والمعارف وتلقينهم الضروري من علوم الدين من خلال مدرسته العامرة، التي عملت على تعليم كل المستويات والفئات الاجتماعية[1].

ومن آثار الشيخ البارزة والمهمة تكوين جيل من الطلبة والكفاءات وحفظ كتاب الله تعالى والأئمة والخطباء والفقهاء[2]، عملوا على نشر ثقافة الوسطية والاعتدال، وبث العلم الشرعي بين الناس في كافة أرجاء القطر الجزائري وخارجه[3].

---

1 - المرجع نفسه.

2 - المرجع نفسه.

3 - المرجع نفسه.

دور المواقع الإلكترونية عبر الأنترنت في التعريف بالشيخ محمد بلكبير

أ.د: زكية منزل غرابة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

عرفت الجزائر على مدار تاريخها الطويل ظهور العديد من الشخصيات الإصلاحية التي أسهمت في إحداث نقلة نوعية على مستوى الوعي المجتمعي الجزائري، ومن هؤلاء العلماء الشيخ محمد بلكبير الذي يعد بحق قامة علمية كبيرة، وهو ما شهد به من عاصره من العلماء والتلاميذ الذين تتلمذوا على يديه.

وقد تعددت قنوات التعريف بالشيخ محمد بلكبير من شهادة معاصريه إلى التغطيات الإعلامية بشأنه إلى المحاضرات التي ألقيت في فعاليات علمية مختلفة، وكذا الأبحاث الأكاديمية التي تناولت شخصية الرجل. ومع التطور التكنولوجي برزت قنوات أخرى تعد علامة فارقة في مجال توثيق المعلومة، شكلتها شبكة الانترنت بوسائطها المختلفة في هذا المجال.

وقد سمحت هذه التقنية الجديدة بتوثيق المعلومات المختلفة، وهو ما حدا بالكثير ممن اهتموا بدراسة حياة الشخصيات إلى التعريف بالشيخ محمد بلكبير عبر المواقع الالكترونية المختلفة، وهو ما من شأنه أن يعطي فرصة سانحة لإيصال كل ما تعلق بالرجل إلى أطر جغرافية أوسع، ويمكن لمرتادي شبكة الانترنت من التعرف عن قرب على حياة هذه القامة العلمية الجزائرية وهو ما تثيره الاشكالية المطروحة وفق هذا التساؤل المحوري: ماهي طبيعة المعلومات التي قدمتها المواقع الالكترونية للتعريف بالشيخ محمد بلكبير ؟

وتتفرع عنه تساؤلات فرعية هي:

-ماهي الموضوعات التي تناولتها المواقع الالكترونية للتعريف بالشيخ محمد بلكبير ؟

-ماهي مضامين الموضوعات التي تعرضت لها المواقع الالكترونية للتعريف بالشيخ محمد بلكبير ؟

-ماهي القيم التي قدمتها المواقع الالكترونية للتعريف بالشيخ محمد بلكبير ؟

المنهج المستخدم: تتموقع هذه الدراسة ضمن الأبحاث الوصفية التي تستهدف "تقويم خصائص ظاهرة معينة، أو موقف تغلب عليه صفة التحديد، وتعتمد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالتها، ونصل عن طريق ذلك إلى إصدار تعليمات بشأن الموقف أو الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها "[1].

وعليه فإن المنهج المناسب لهذه الدراسة هو منهج المسح الوصفي الذي قوم على أساسا على دراسة الظاهرة محل البحث بغية جمع البيانات بشأنها.

أداة التحليل: اعتمدت هذه الدراسة على أسلوب تحليل المحتوى في دراسة الموضوع وهو " أسلوب للبحث العلمي يمكن أن يستخدمه الباحثون في مجالات بحثية شتى وعلى وجه أخص في علوم الإعلام لوصف المحتوى الظاهر للمادة الإعلامية المراد تحليلها من حيث الشكل والمضمون تلبية للاحتياجات البحثية المصاغة في تساؤلات البحث أو فروضها الأساسية"[2]، وستقوم هذه الدراسة بتحليل محتوى المضمون والشكل للمادة الإعلامية المقدمة عبر المواقع الالكترونية.

---

[1]-رشدي طعيمة ، تحليل المحتوى في البحوث الإنسانية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1987 ، ص 24.

[2]-سمير محمد حسين: بحوث الإعلام، الأسس والمبادئ، عالم الكتب، القاهرة: 1976م. ص123.

-النتائج:

أولا: تحليل فئات المضمون (ماذا قيل؟):

1-الموضوعات التي قدمتها المواقع الالكترونية للتعريف بالشيخ محمد بلكبير:

جدول رقم (1) الموضوعات التي قدمتها المواقع الالكترونية للتعريف بالشيخ محمد بلكبير

العينة / الموضوعات	التكرار	النسبة
رحلاته في تحصيل العلم	12	18،46
منهجه في التعليم القرآني	24	36،92
المناصب التي تقلدها	11	16،92
نشاطه الإصلاحي	13	20
علاقته بمجاهدي الثورة	5	7،69
مج	65	100

شكل بياني رقم (1) الموضوعات التي قدمتها المواقع الالكترونية للتعريف بالشيخ محمد بلكبير

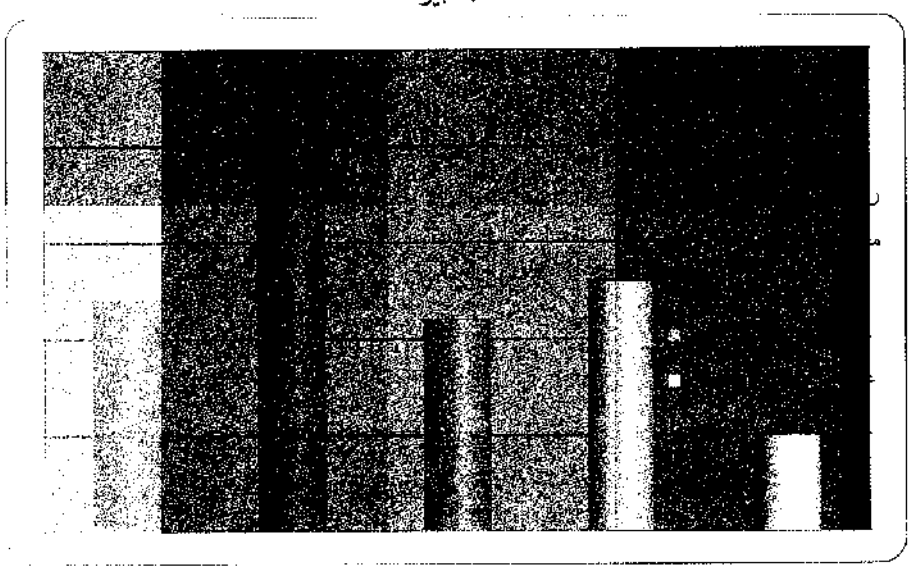

توضح المعلومات المبوبة في الجدول أعلاه الموضوعات التي تناولتها المواقع الالكترونية للتعريف بالشيخ محمد بلكبير، حيث جاء في الترتيب الأول الحديث عن منهجية الشيخ محمد بلكبير في التعليم بنسبة 36،92% يليها نشاطه الإصلاحي بنسبة 20%، يليها رحلاته في تحصيل العلم بنسبة 18،46%، ثم المناصب التي تقلدها بنسبة 16،92% في الترتيب الثالث، وفي الترتيب الأخير علاقته بمجاهدي الثورة بنسبة 7،69 %.

إن مجيء موضع منهجيته في التعليم القرآني في الترتيب الأول أمر منطقي، فمعلوم أن الرجل قد أفنى حياته في تعليم القرآن الكريم وتحفيظه للأجيال المتعاقبة، وأما تعريف المواقع الإلكترونية بنشاط الشيخ الإصلاحي، فذلك لأن الرجل أوقف كل وقته في هذا الشأن مصلحا ومرشدا وموجها إلى ما فيه صلاح الأمة وخيرها، كما أن مجيء رحلاته في تحصيل العلم في المراتب الأولى فلكونها تعد واحدة من المحطات التي أبرزت حياة السيخ بلكبير وكيف تحمل مشاق وعناء التنقل في سبيل تحصيل العلم.

1/1-نوعية الموضوعات الخاصة برحلات الشيخ محمد بلكبير في تحصيل العلم كما أبرزتها المواقع الالكترونية:

جدول رقم (2) نوعية الموضوعات الخاصة برحلات الشيخ محمد بلكبير في تحصيل العلم كما أبرزتها المواقع الالكترونية:

العينة / رحلاته في تحصيل العلم	التكرار	النسبة
تحصيل العلم بالغمارة	1	8،33
تحصيل العلم بتمنطيط	5	41،66
تحصيل العلم بتلمسان	5	41،66
تحصيل العلم المغرب الأقصى	1	8،33
مج	12	100

شكل بياني رقم(2) يبين نوعية الموضوعات الخاصة برحلات الشيخ محمد بلكبير في تحصيل العلم كما أبرزتها المواقع الالكترونية:

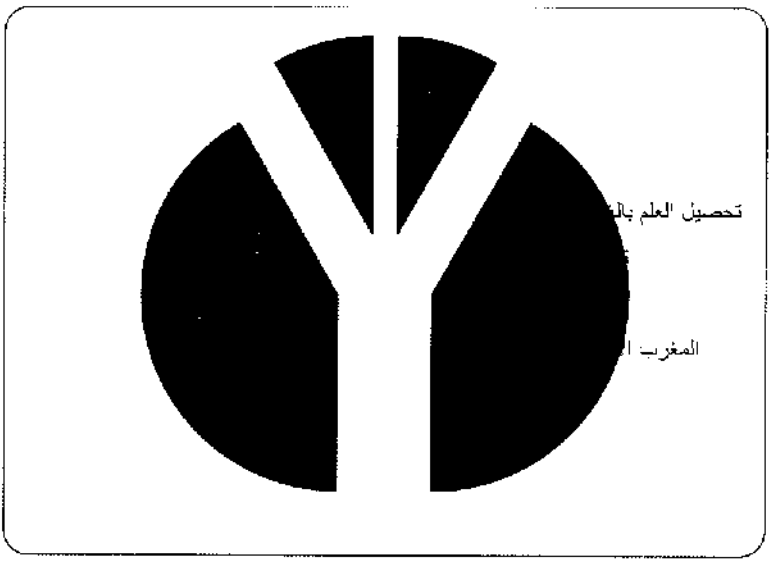

يبين الجدول المبين أعلاه المحطات المختلفة التي مرت على الشيخ محمد في تحصيل العلم، وقد شملت المحطات الآتية حسب النسب المحصل عليها، وهي في رحلته الى تمنطيط، وتلمسان في الترتيب الأول بنسبة 41،66% لكل منهما، يليها تلقيه العلم بكل من الغمارة مسقط رأسه والمغرب الأقصى في الترتيب الثاني بنسبة 8،33 %، وقد أبرزت المواقع الالكترونية رحلتي تمنطيط وتلمسان على اعتبار أنهما الرحلتان اللتان صقلتا الجانب العلمي للشيخ ومن ثم كان الحديث عنهما بشكل موسع.

و تذكر المواقع الالكترونية ما تلقاه الشيخ في تمنطيط و التي تعبر من المحطات البارزة في حياة الشيخ محمد بلكبير "تلقى الشيخ بتمنطيط ما قدر الله له من العلوم الشرعية والعربية، من توحيد وفقه وحديث وتصوف وتفسير وآداب ونحو ولغة وصرف على يد العلامة الشيخ أحمد ديدي عالم وقته ومصباح زمانه، حيث مكث عنده ثلاث سنوات، كانت بأيامها ولياليها ميدانا فسيحا للعمل المتواصل، تقدر حصيلتها بثلاثين سنة – فيما بعد – لأن مواهب الإله لا توزن بمقاييس ولا تقدر بأزمان ؛ حيث انتهى الشيخ في

هذه المدة الوجيزة من دراسة الفقه المالكي بالأمهات، والتوحيد بالأدلة والبراهين، والنحو والصرف، واللغة مع سرد وشرح صحيح البخاري[1].

أما تلمسان فتذكر المواقع الالكترونية إذن والد الشيخ محمد بلكبير له بالذهاب إلى تلمسان "ولكنه "أبى والده أذن له في الذهاب إلى تلمسان للأخذ من الشيخ عبد الرحمان بن يوفلجة ...وقد كان للشيخ محمد بلكبير اتصالات بعلماء تلمسان "[2]. وأخذ عنه الأوراد الخاصة بالطريقة وتدارس معه مسائل في مختصر الشيخ خليل. واتصل حينها بعلماء تلمسان[3].

2/1: نوعية الموضوعات الخاصة بمنهجية الشيخ بلكبير في تعليم القرآن كما أبرزتها المواقع الالكترونية

جدول رقم (3) يبين نوعية الموضوعات الخاصة بمنهجية الشيخ بلكبير في تعليم القرآن كما أبرزتها المواقع الالكترونية

العينة / منهجه في تعليم القرآن	التكرار	النسبة
على مستوى التلقين	12	50
على مستوى المضامين	12	50
مج	24	100

[1]-محمد بسدات ، "الشيخ محمد بلكبير رحمه الله" ،موقع :https://benaceur-php.com، تاريخ الدخول :2019/5/28م

[2]-محمد بسدات المصدر السابق.

[3]-حصون الأشاعرة ، "العلامة الشيخ سيدي محمد بلكبير (رحمه الله)"، موقع: https ://housoneal-achaira.blogspot.com/، تاريخ الدخول :2019/5/28م.

شكل بياني رقم (3) يبين نوعية الموضوعات الخاصة بمنهجية الشيخ بلكبير في تعليم القرآن كما أبرزتها المواقع الالكترونية

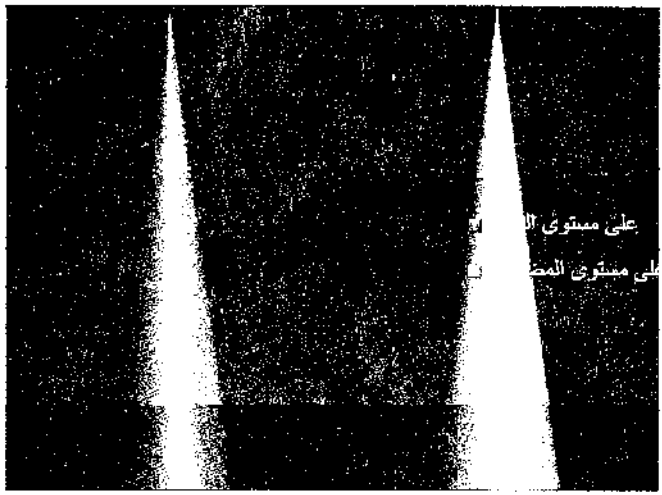

يوضح الجدول أعلاه وكذا الشكل البياني منهجية الشيخ بلكبير في التعليم وقد بدا ذلك في صورتين تذكرهما المواقع الالكترونية [1]:

على مستوى التلقين: وهذه مرتبطة بكيفية التلقين، وهي بحسب المواقع الالكترونية تتمثل في قراءة القرآن في الألواح جماعة، وقراءات فردية وجماعية واستظهار السور والأحزاب، إلى جانب حفظ الراتب اليومي من القرآن لكل تلميذ، وضرورة استظهار القرآن الكريم كاملا وفي يوم واحد لمن أتم حفظ تاب الله وتلقين وتحفيظ المتون المختلفة في التوحيد واللغة والسيرة النبوية والتفسير وعلوم القرآن.

على مستوى المضامين والمستوى: فهي تتوزع على ثلاث مستويات:

---

[1]- محمد رميلات: "الشيخ سيدي محمد بلكبير، المعلم الذي ليس له بين المعلمين نظير"،موقع: https://www.benaceur-php.com/، تاريخ الدخول :2019/5/29م.

- **مستوى المبتدئين:** حفظ بن عاشر، حفظ متن الأجرومية وشرحها في علم النحو، حفظ هدية الألباب في الأخلاق.

- **مستوى متوسطي الثقافة الفقهية:** حفظ رسالة ابي زيد القيرواني وشرحها.

مستوى المتمكن من الطبقة العالية الثقافة في الفقه: حفظ وشرح كتاب مختصر الشيخ خليل بن إسحاق المالكي، حفظ متن ابن عقيل وشرحه، حفظ كتاب الحكم العطائية لابن عطاء السكندري، حفظ مت الأوجلي في العقيدة.

3/1: نوعية المناصب التي تقلدها كما أبرزتها المواقع الالكترونية:

جدول رقم (4) يبين نوعية المناصب التي تقلدها كما أبرزتها المواقع الالكترونية

العينة / المناصب التي تقلدها	التكرار	النسبة
مشيخة المدرسة	2	18،18
إمامة مسجد بلكبير	2	18،18
رئاسة المعهد الإسلامي بأدرار	7	63،63
مج	11	100

شكل بياني رقم (4) يوضح نوعية المناصب التي تقلدها كما أبرزتها المواقع الالكترونية

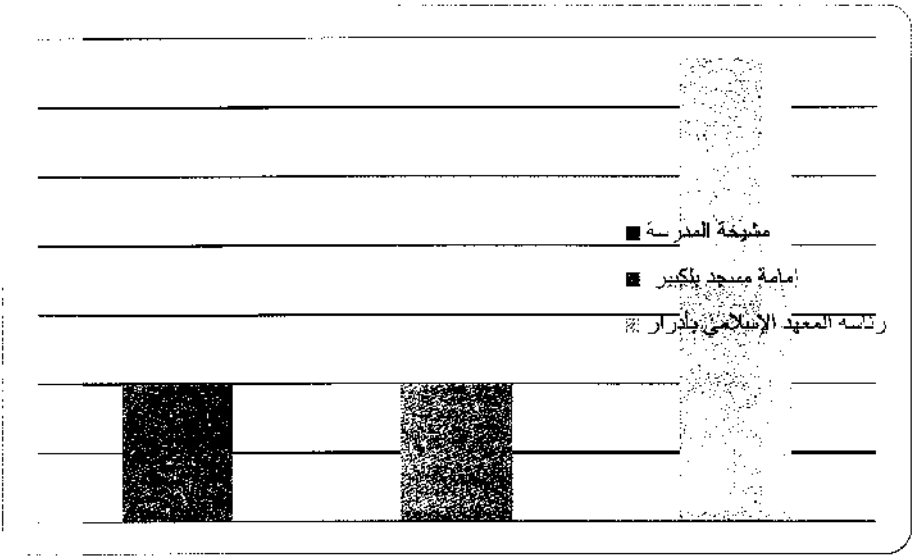

توضح البيانات والشكل المبين أعلاه ،مختلف المناصب التي تقلدها الشيخ بحسب ما أشارت إليه المواقع الالكترونية ،و من ذلك أنه تقلد منصب رئاسة المعهد الإسلامي بأدرار و هو واحد من المعالم الدينية التي ارتأى مفتش وزارة الشؤون الدينية بالأغواط آنذاك أن يقوم على شؤونه الشيخ محمد بلكبير ،بالإضافة إلى توليه إمامة الصلوات بمسجد بلكبير بأدرار ،و أما المنصب الثالث الذي تقلده الشيخ فيرتبط بالمدرسة التي أسسها و قد كانت مدرسة الشيخ بلكبير كما وصفتها المواقع الالكترونية بأنها "جامعة من جامعات العلم التي لا يضاهيها في نشاطها سوى الأزهر الشريف"[2] ،ونحن عندما نتحدث عن مدرسة[3] الشيخ نتحدث عن بيت زاره الرؤساء والأمراء والوزراء، وغيرهم من الحكام وأرباب المال والأعمال، وحتى السياسيون ورؤساء الأحزاب وساسة البلاد، بل وتوافد الناس إليه من كل حدب وصوب لكلٍّ غرضه ونيته فينزل كلاً بمنزلته ومكانته.

---

(1)–محمد بسدات، المصدر السابق.

(2)–محمد رميلات، المصدر السابق.

(3)–محمد بسدات، المصدر السابق.

4/1: نشاط بلكبير الإصلاحي كما أبرزتها المواقع الالكترونية

جدول رقم (5) يوضح نشاط بلكبير الإصلاحي كما أبرزتها المواقع الالكترونية:

العينة / نشاطه الإصلاحي	التكرار	النسبة
على مستوى الإصلاح الديني	4	30،76
على مستوى الإصلاح الاجتماعي	9	69،23
مج	13	100

شكل بياني رقم (5) نشاط بلكبير الإصلاحي كما أبرزتها المواقع الالكترونية

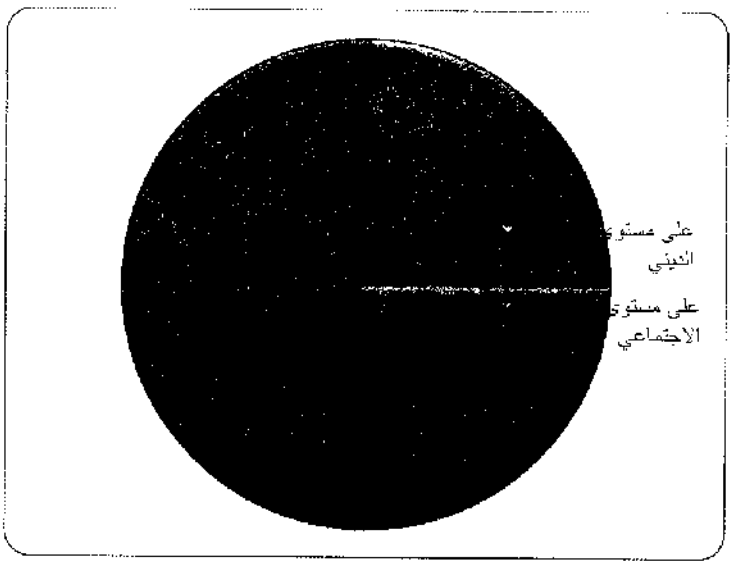

يعتبر الإصلاح ملمحا واضحا لدى علماء الإصلاح في الجزائر، وكذلك كان الشيخ محمد بلكبير: فقد عاش طيلة حياته يصلح ما اندس من معالم الدين في حياة الناس على المستويات المختلفة، وهو ما تشير إليه البيانات الموضحة في الجدول أعلاه، حيث جاء الإصلاح الاجتماعي في الترتيب الأول في تعريف المواقع الالكترونية بما قام به الشيخ

بكبير من إصلاحات بنسبة 69،23%. ومن مظاهر الإصلاح الاجتماعي في المجتمع التواتي على وجه الخصوص:

-**لم شمل القبائل المتنافرة: حيث** كان المجتمع التواتي عبارة عن شتات من القبائل كل واحدة متمسكة بمبادئها ولا تكاد تنفتح على غيرها من القبائل الموجودة حولها. إلا أن الشيخ عمل على جعل هذه القبائل في بوتقة واحدة متعاونين متحابين.

-**محاربة التميز العنصري والتسوية بين المسلمين:** فقد كان من بين المخلفات التي تركها الاستدمار زرع الشقاق بين أفراد المجتمع الواحد عن طريق عدم التسوية بينهم وتفضيل بعضهم على بعض من خلال تفضيل الأبيض عن الأسود، وهنا كان عمل الشيخ ينصب على التسوية بين الناس من خلال التوعية الدينية وتعليم الأجيال وتثقيفهم بتعاليم القرءان الكريم والسنة النبوية.

-**محاربة البدع والخرافات:** التي كانت موصلة بالإنسان إلى الشرك مثل الطلب من الأولياء وتقديسهم وإعطائهم أكثر مما أوجب الله علينا اتجاههم والذبح لهم، حيث كان الناس يذهبون إلى أضرحة الأولياء ويرجون منهم الرزق والصلاح والفلاح أي يجعلونهم واسطة بينهم وبين الله عز وجل.وهنا عمل الشيخ على إرشاد وتوعية المجتمع من خلال تعليمه لعقائد الدين الحنيف وتوجيه المجتمع إلى نبذ تلك الأفكار والمعتقدات الغريبة عن الإسلام والمسلمين.

-**محاربة أشكال الفساد:** مثل شرب الخمر والزنا والسرقة. وهنا عمل الشيخ على التوعية والموعظة والتنبيه بمخاطر هذه الآفات على المجتمع وتبين عواقبها الدنيوية والأخروية، كما عمل على غلق محلات الفساد وبيع الخمور بشتى الوسائل والطرق، حيث لا يزال إقليم توات ومن ورائه ولاية أدرار لا يحوي على محل واحد لبيع الخمور...، وهنا نذكر أن الشيخ قد وقف أمام أحد المشاريع الذي يقضي بإقامة محل لبيع الخمور بقصر "أولاد إبراهيم واستعمل نفوذه في منع ذلك وهو ما تم فعلا.

---

(1)- سحنون بسدات، المصدر السابق ، بتصرف.

- **محاربة الجهل والأمية :** لقد كان المجتمع بعد بزوغ فجر الاستقلال أمي بدرجة كبيرة تنتشر فيه أشكال الجهل والأمية، وذلك نظرا لتلك السياسة التي اتبعها المستعمر الفرنسي في الجزائر والقائمة على ضرورة تجهيل المجتمع الجزائري وطمس شخصيته العربية والإسلامية ،ومن ثمة فقد عمل الشيخ محمد بلكبير على نشر العلم والمعرفة وتعليم شرائح المجتمع بديهيات الكتابة واللغة العربية، بل وتزويدهم بمعارف تعود عليهم بالفائدة في الدنيا والآخرة، وذلك عن طريق الصرح العظيم المتمثل في مدرسة "الشيخ بلكبير" التي انتشر صيتها داخل إقليم توات وخارجه منذ إنشاءها.

أما الإصلاح الديني [1] الذي جاء بنسبة 30،76%، فقد ارتكز بالدرجة الأولى عند الشيخ بلكبير في الدعوة إلى تدريس علوم الدين بطريقة مبسطة لا تعقيد فيها، ومحاربة التطرف الديني بالدعوة إلى الوسطية التي دعا إليها الإسلام.

5/1: علاقة بلكبير بالمجاهدين كما أبرزتها المواقع الالكترونية:

جدول رقم (6) يوضح علاقة بلكبير بالمجاهدين كما أبرزتها المواقع الالكترونية

العينة / علاقة بلكبير بمجاهدي الثورة	التكرار	النسبة
نصرة المجاهدين	2	40
إيواء المجاهدين والتكفل بهم	2	40
عضوية الشيخ بلكبير في المجلس الشورى للمجاهدين	1	20
مج	5	100

[1]-انظر: محمد بسدات، مصدر سابق، و محمد رميلات، مصدر سابق.

شكل بياني رقم (5) يوضح علاقة بلكبير بالمجاهدين كما أوردها الزاوي

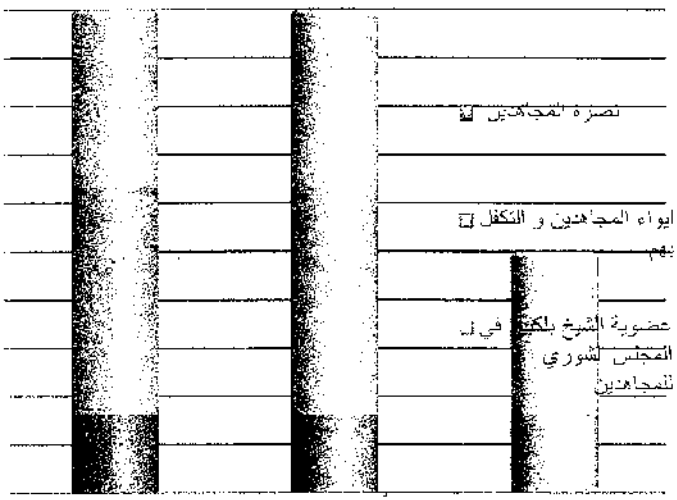

من المحطات التي تحسب للشيخ محمد بلكبير أن علاقته بالثورة الجزائرية كانت علاقة وطيدة، وهو وإن لم يرو عنهم أنه شارك في الثورة بالسلاح، فقد ثبت عنه أنه كان يعمل على نصرة المجاهدين ويرفع معنوياتهم بالصبر والتجلد، ويقوم بإيوائهم والتكفل بهم من حيث ضيافتهم وإطعامهم، ومما يؤكد غيرته على وطنه ومشاركته في الثورة أنه كان عضوا في المجلس الشوري للمجاهدين وهو عمل يدخل في صميم معطيات الثورة [1].

---

[1] - محمد بسدات، المصدر السابق ، بتصرف.

-القيم التي تمثلها الشيخ محمد بلكبير كما قدمتها المواقع الالكترونية:

جدول رقم (7) يوضح القيم التي تمثلها الشيخ محمد بلكبير كما قدمتها المواقع الالكترونية:

القيم التي تمثلها الشيخ بلكبير	التكرار	النسبة
الورع والزهد	7	30،43
االقدرة على الحفظ	1	4،34
النبوغ العلمي	7	30،43
الميل الى التصوف	4	17،39
المهابة	1	4،34
الثبات على المبدأ في قول الحق	3	13،04
مج	23	100

شكل بياني رقم (7) يوضح القيم التي تمثلها الشيخ محمد بلكبير كما قدمتها المواقع الالكترونية:

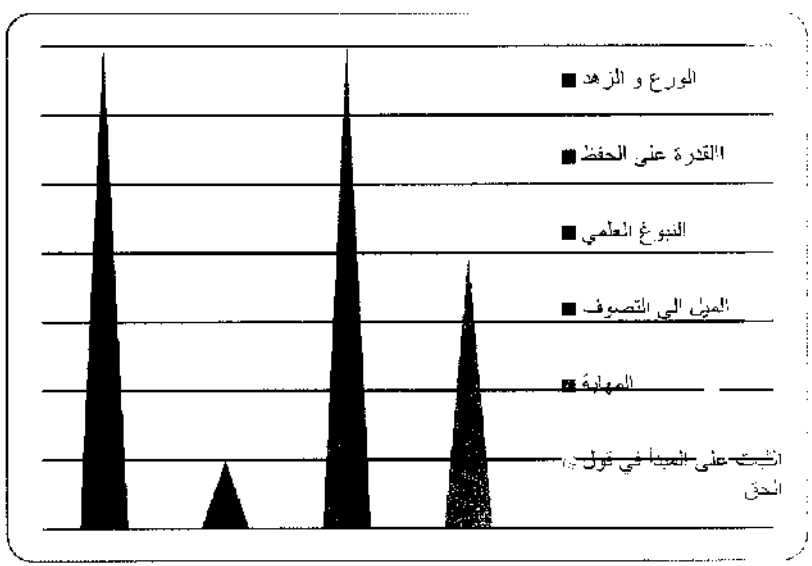

تشير نتائج الجدول الذين أعلاه تعريف المواقع الالكترونية بالقيم التي ميزت شخصية محمد بلكبير، وقد بدت واضحة في القيم الآتية، النبوغ العلمي بنسبة 30،43% والتي تعني ميزت الشيخ بلكبير طيلة مساره العلمي، فقد عرف عن الشيخ قدرته على الحفظ والأخذ عن الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم " وقد كان آية في الحفظ والأخذ عن المشيخ. حتى فتح الله له أبواب العلم والمعرفة، ويسر له خزائنها، فكانت بين يديه مفاتيح علوم شتى من علوم الدين والدنيا"[1].

ومن القيم التي ظهرت في سلوك الشيخ الورع الزهد بنسبة 30،43 % وقد تناولت المواقع الالكترونية هذه القيمة بشكل لافت من ذلك تلك الحادثة التي أبانت عن ورع الشيخ وزهده في هذه الدنيا "في أحد الأيام كان الشيخ محمد بلكبير رحمه الله جالسا كعادته مع الضيوف والزائرين فدخل عليه زائر بيده 10 ألف دينار جزائري، فأهداها له بيده اليمنى، ولما أخذها الشيخ أهداها بدوره إلى شخص كان بجانبه من المتوسلين بدون أن يعلم كم هو المبلغ الذي كان قد قدمه له الزائر، وهناك تتجسد أخلاقه المستمدة من القرءان الكريم والسنة [2].

وأما ميله إلى التصوف والتي وردت بنسبة 17،39% فهي قيمة شهد له بها أحد الكتاب الدارسين لهذا العلم، حيث جاء في أحد المواقع الالكترونية توثيقا لذلك "وإذا ذكر الصوفية فهو قطب رحاهم، وإمام السالكين إلى حضرة رب العالمين، وإذا تحدثنا عن الزهد فهو شيخهم، فلم تجد الدنيا إلى قلبه سبيلا كان عنها غنيا متعففا"[3].

و أما الثبات على المبدأ في قول الحق فهي من القيم التي رافقت الشيخ بلكبير في كثير من المواقف ،و هو ما أشارت إليه المواقع الالكترونية ،فمن هذه المواقف التي يذكرها أحد تلاميذه قوله:"ذات مرة وبينما كان يُلقي درسه بين العشائين ـ وكنت من الحاضرين ـ وإذا بصوت المؤذن يرتفع في مسجد مجاور فأمسك الشيخ عن الكلام وبقي صامتا يصغي

---

[1]-محمد بسدات ، مصدر سابق.

[2]-المصدر نفسه.

[3]-حمزة عتبي، الشيخ محمد بلكبير.. صوفي جزائري حارب الظلام". موقع: https://www.maghrebvoices.com/، تاريخ الدخول :2019/5/29م.

لصوت الحق ، وكان المؤذن يُرَجع الصوت بالآذان ويبالغ في زخرفته وتمطيط حروفه حتى خرج به من التغني إلى الغناء ... ولمّا انتهى من الآذان ، قال سيدي الشيخ عليه رحمة الله وكأنه يخاطب المؤذن : " أَذِّن آذانًا سَمْحًا وإلا فاعتزلنا " فكان ذلك آخر آذان يرفعه صاحبنا ، ومنذ ذلك اليوم لم نسمع له حسًا ولا رِكْزًا"[1].

ثانيا: تحليل فئات الشكل (كيف قيل؟):

نوضح ذلك من خلال القالب الذي تم به التعريف بالشيخ محمد بلكبير:

جدول رقم (8) يوضح القالب الذي تم به التعريف بالشيخ محمد بلكبير

العينة / القالب	التكرار	النسبة
المقال التحليلي	4	100
العمود	00	-
الاستطلاع	00	-
مج	100	100

[1] محمد رمضاني، مصدر سابق .

شكل بياني رقم (8) يوضح القالب الذي تم به التعريف بالشيخ محمد بلكبير

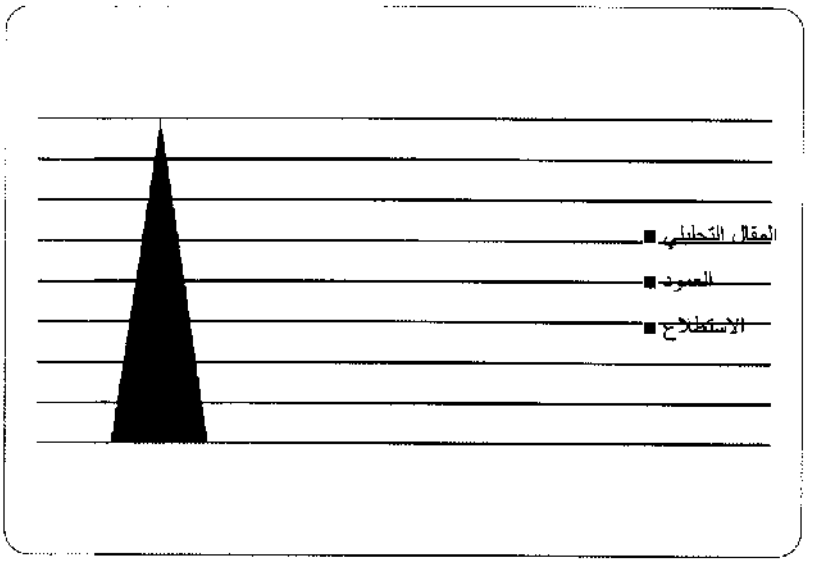

حسب النتائج الموضحة في الجدول أعلاه وكذا الشكل البياني اتضح أن جميع المواقع الالكترونية عينة الدراسة بنسبة 100% قد اعتمدت على المقال التحليلي، وهو الأنسب في ذلك، لأن المقال التحليلي يحتاج معه صاحب النص إلى تحليل المعطيات المقدمة وتمنحه فرصة تناول الموضوع من زواياه المختلفة.

خاتمة : تناولت هذه الدراسة بالبحث الدور الذي تقوم به المواقع الالكترونية على شبكة الانترنت في التعريف بالشيخ محمد بلكبير ،و قد أبانت عن حجم المعلومات التي قدمتها لمرتادي هذه المواقع و قيمتها العلمية ،ما من شأنه أن يثري الرصيد المعرفي للمطلع عليها بشأن الشيخ بلكبير سواء على مستوى الإطار الجغرافي في الجزائر أو على مستوى الفضاء الخارجي للجزائر ،كما أكدت على أننا بالفعل أمام شخصية فريدة من نوعها ذلك أن الرجل قد عايش الفترة الاستعمارية ،و مرحلة الاستقلال و ما بعده ،و هو ما أثرى تجربته في التعليم وتحفيظ القرآن الكريم .

طلبه

للعلم

ورحلاته

العلمية

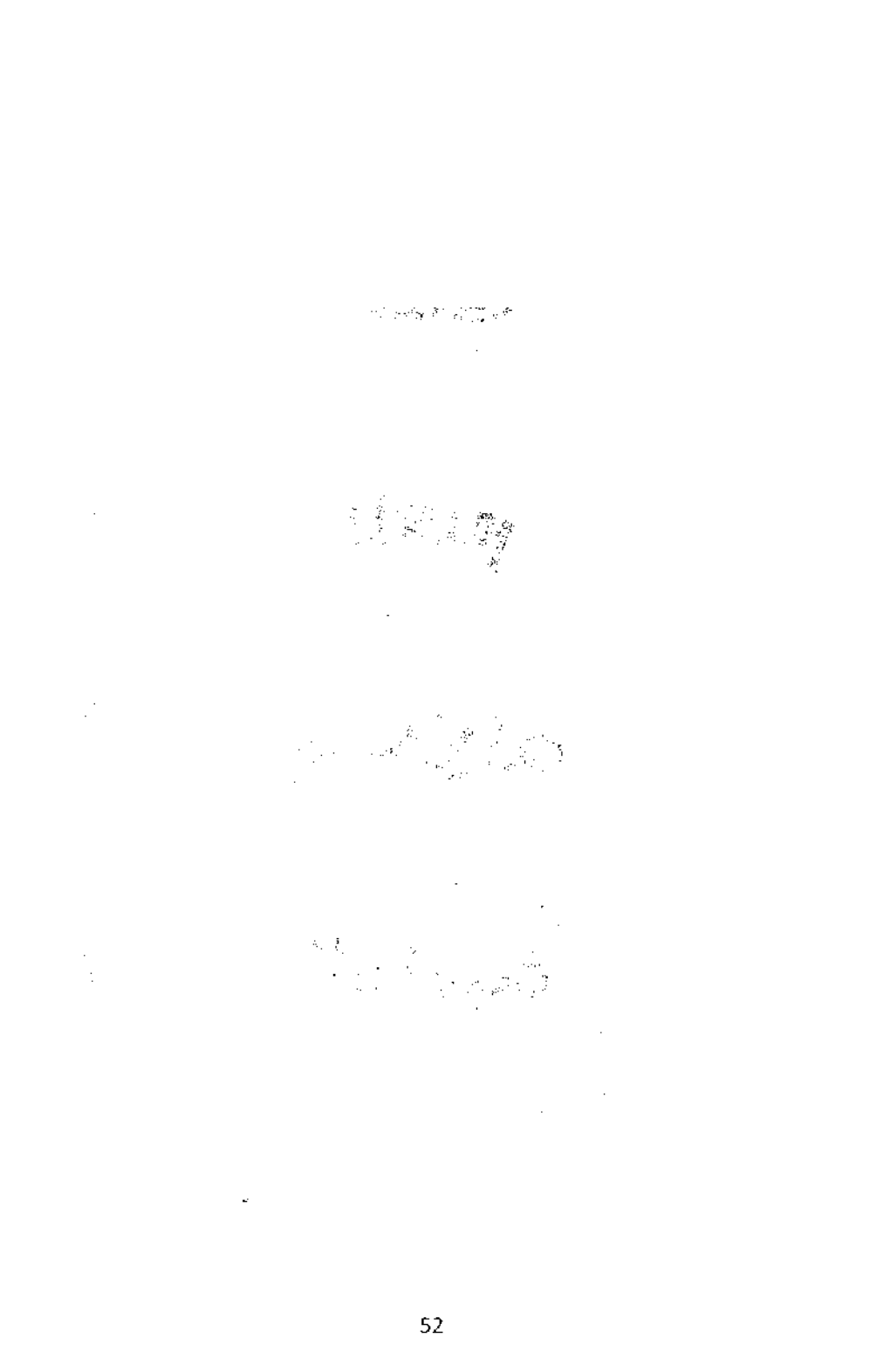

رحلات الشّيخ سيدي محمد بلكبير

بين طلب العلم ونشره -دراسة وصفية-

د. مراد مزعاش

المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة

مدخل:

الشّيخ سيدي محمد بلكبير من الشّخصيات العلمية والصّوفية الجزائرية المرموقة والمعروفة التي تركت آثارا لا يمحوها الزّمن، خاصة وأنّ مسيرته العلمية وتجربته الصّوفية كانت طويلة مميزة عن غيرها من التجارب، كما أنّ لها نتائجها الإيجابية البارزة على الحركة الصوفية وعلى الوطن والنّاس والمجتمع، ومثل هذه الشّخصية على شهرتها وسماع النّاس بإنجازاتها وأعمالها مع التجاذبات التي أثيرت حولها، ما زالت جوانب كثيرة من حياتها مجهولة غير معروفة، لم تسلط عليها الأضواء بعد.

وهذه الورقة محاولة للنّظر في جانب من جوانب الحياة الزّاخرة والتّجربة الرائدة لهذه الشّخصية، خاصة وأن الذي ساهم في تكوينها وإعطائها طابعها المميز والمتفرد، هو تلك الرّحلات والأسفار والتّنقلات التي عرفت بها، والتي تعددت وتنوعت بين الدّاخل والخارج، في مختلف مراحل عمره وحياته، والتي أيضا تركت أثرها الواضح في تكوين شخصيته العلمية والصوفية، وإعطائها الطابع المميز والمتفرد. كما ساهمت كذلك في رسم معالم منهجه العملي وإبراز خصائص ومميزات مساره العلمي.

أولا التّعريف بشخصية سيدي محمد بلكبير[1]:

1-نسبه ومولده: هو العلامة، الفاضل، الفقيه، اللّغوي، الزّاهد، الصّوفي، الجامع بين المنقول والمعقول، الشّيخ سيدي أبو عبد الله محمد بن سيدي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الكبير بن الشّيخ سيدي الحاج عبد الله الغماري، وينتهي نسبه رحمه الله إلى ذي النّورين الصّحابي الجليل والخليفة الرّاشد الثّالث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه[2].

---

[1]- انظر أهم الكتب التي ترجمت للشّيخ سيدي محمد بلكبير: موسوعة الأدباء والعلماء الجزائريين، إعداد مجموعة من الأساتذة إشراف رابح خدوسي، منشورات الحضارة 2014م، الجزء الأول، ص 366. - والرّحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط بها من الجهات، محمد باي بلعالم، دار هومة الجزائر، الجزء الأول، ص 343إلى ص 354، الجزء الثّاني، ص 420. – والضّوء المستنير في معرفة الشّيخ سيدي محمد بلكبير، مولاي التّهامي غيناوي، المؤسسة الوطنية للنّشر والإشهار، الرّويبة الجزائر. – والإشراق الكبير في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشّيخ سيدي محمد بلكبير رحمه الله، مولاي التّهامي غيناوي، المؤسسة الوطنية للاتصال والنّشر والإشهار، الجزائر 2002م.- والتّبذة في تاريخ توات وأعلامها، بكري عبد الحميد، دار الهدى للطّباعة والنّشر والتّوزيع، عين مليلة الجزائر، الطّبعة الأولى 2005م. – حياة الحاج محمد بلكبير، محمد أبا الصّافي جعفري، مجلة النّخلة، العدد الأول، مارس 2006م. - وأعلام الفتوى والنّوازل في منطقة توات بالجنوب الغربي للجزائر خلال القرنين 12 و14 الهجريين، مبارك جعفري، مجلة البحوث والدّراسات، العدد الخامس عشر، السّنة العاشرة، شتاء 2013م، ص 333/332.

[2]- انظر: محمد باي بلعالم، الرّحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط بها من الجهات، الجزء الأول، ص 343. – ومحمد عبد الحق بكراوي، المنهج الفقهي عند الشّيخ سيدي محمد بلكبير، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية تخصص فقه وأصوله، قسم الشّريعة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة1، إشراف سعيد فكرة، الموسم الجامعي 2015م/2016م، ص 32.

ولد رحمه الله من أسرة شريفة كريمة رفيعة القدر، معروفة الجود والكرم والتقى والعلم[1]. وقد كان ذلك سنة 1330هـ/1911م.

2-نشأته: نشأ الشّيخ سيدي محمد بلكبير رحمه الله في ظل أبوين كريمين يرتوي منهما الأخلاق والصّدق والعطف والحنان، ورغم وفاة أمه صغيرا غير أنّه اتخذ من أبيه الأب الحنون والأم العطوف والصّدر الدّافئ، فتربى في كنف أبيه خير تربية وتكوّن أحسن تكوين.

وبعد أن كبر ونال من العلم النّصيب الأوفر، وجلس للتّعليم والدّعوة والتّربية والإصلاح، ذاع صيته وعرفه النّاس، عالما متواضعا، فقيها فاضلا، سخيا كريما بشوشا، تقيا زاهدا ورعا، متسامحا حكيما، سديد الرّأي والقول، قدوة للنّاس في القول والعمل.

3-وفاته: بعد حياة طويلة زادت عن الثّمانين، مليئة بالطّاعة والعبادة والتعليم والتّعلم، ونشر مبادئ الشّريعة السّمحة، وتكوين وتخريج الكثير من التّلاميذ، والإصلاح بين النّاس، ونشر العلم وتنوير العقول، لقي ربه وهو راضٍ مرضي إن شاء الله تعالى صبيحة يوم الجمعة 16 جمادى الآخرة سنة 1421هـ الموافق 15 من سبتمبر سنة 2000م عن عمر ناهز 89 سنة، فأبّنه العلماء والصّلحاء وأهله وتلاميذه، وحضر جنازته خلق كثير لا يحصون.

4-تعليمه: أخذ العلم في مرحلة الطّفولة على يد الشّيخ محمد بن عبد الرّحمن طالبي التّمنطيطي الذي حفظ القرآن على يديه، كما أخذ مبادئ التّوحيد واللّغة والفقه على يد عمه سيدي عبد الكبير بن محمد بن عبد الكبير وكان إماما للقرية، وكذا استفاد من خاله سيدي محمد بن المهدي رحموني الفقيه الصّوفي.

---

[1]- انظر: مولاي التّهامي غيتاوي، الضّوء المستنير في معرفة الشّيخ سيدي محمد بن الكبير، ص 10. ومحمد باي بلعالم، الرّحلة العلية إلى منطقة توات لتذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط بها من الجهات، الجزء الأول، ص 344/343.

تنقل بعدها إلى تنطيط، حيث انتسب إلى مدرسة العلامة الفقيه الشّيخ سيدي أحمد ديدي، فتلقى علوم الشّريعة والعربية، وعلم التّربية والسلوك على يد الشّيخ سيدي أحمد ديدي، كما كان له في هذه المرحلة اتصالات كثيرة مع عديد من المشايخ والعلماء في منطقة توات ليستفيد منهم وينمي معارفه ويرسخ ثقافته، كما انتقل إلى تلمسان وأخذ عن علمائها مدة ثلاث سنوات، ثم ارتحل إلى عدد من الحواضر ليأخذ من علمائها ومشايخها، فصار بذلك متمكنا مقتدرا، راسخ العلم، جامعا للفنون والعلوم الكثيرة من شريعة وعربية وفقه وغيرها...

5-شيوخه: تلقى العلوم على كثير من الشّيوخ والعلماء المشهود لهم بالرّسوخ في العلم والتّمكن والاقتدار نذكر منهم؛ سيدي أحمد بن محمد بن محمد العالم الملقب بديدي بن محمد الجزولي (ت11326هـ/1951م)[1]. والشّيخ سيدي أحمد بن عبد الرّحمن بن عبد الكريم بن الطّيب بن عبد الله بن سيدي عبد الكريم الحاجب بكراوي (ت1398هـ/1978م)[2]. والقاضي الفقيه سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق العالم اللّغوي الفقيه المتمكن البارع، وقد كان ممن تأثر بهم الشّيخ سيدي محمد بلكبير كثيرا. والعلّامة الفقيه سيدي عبد الكريم بن محمد بن سيدي الحاج محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد المالك البلبالي (ت1375هـ/1955م)[3]. والشّيخ سيدي بوعلام بن محمد البلبالي العالم الفقيه القاضي

---

[1]- انظر: عبد الحميد بكري، سلسلة علماء توات، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، وهران الجزائر، دون طبعة، دون تاريخ، ص 174.

[2]- انظر: عبد الحميد بكري، سلسلة علماء توات، ص 197/196. – ومحمد باي بعالم، الرّحلة العلمية، إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط بها من الجهات، الجزء الثّاني، ص 421/420.

[3]-انظر: محمد عبد الحق بكراوي، المنهج الفقهي عند الشّيخ سيدي محمد بلكبير، ص 45.

(ت1306هـ/1962م)[1]. والشّيخ سيدي عبد العزيز بن الصّافي بن عبد الكريم بن الحبيب بن سيدي محمد الصّالح بن سيدي محمد بن سيدي البكري قاضي توات (ت1387هـ/1967م)[2]. وغير ذلك من العلماء والصلحاء والمشايخ والعلماء.

6-تلاميذه: في مساره التّعليمي والتّربوي والإصلاحي الذي تجاوز الستين عاما من العطاء، أقبل عليه الطّلبة من كل جهات الوطن، ينهلون من علمه، ويغترفون من أخلاقه، ويسلكون طريقه نحو الخُلق القويم والسّلوك المستقيم، متخذين من الشّيخ سيدي محمد بن لكبير قدوة وعلامة، وعلى هذا تخرّج على يديه الكثير من الطّلبة الذين لا يكاد يحصيهم الواحد، والذين أصبح الكثير منهم من العلماء العاملين والمصلحين المقتدرين، والأئمة والخطباء والوعاظ المتضلعين، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: الشّيخ سيدي محمد عبد الكبير بن الفقيه الحاج محمد بن عبد الكبير بكري المتمكن الضّليع[3]. الشّيخ سيدي عبد القادر بن أحمد بن عبد الرّحمن بكراوي الفقيه الأديب النحوي[4]. الشّيخ سيدي الحاج سالم بن إبراهيم الفقيه الصّوفي المتمكن[5]. الشّيخ سيدي عمر بن عبد العزيز بن سيدي علي

---

[1]- انظر: محمد عبد الحق بكراوي، المنهج الفقهي عند الشّيخ سيدي محمد بلكبير، ص 48/47.

[2]- انظر: محمد عبد الحق بكراوي، المنهج الفقهي عند الشّيخ سيدي محمد بلكبير، ص 48.

[3]- انظر: محمد الهبطي المواهبي، مصابيح ولاية القنطرة، دون طبعة، المغرب 1422هـ/2002م، ص 285/284.

[4]- انظر: عبد الحميد بكري: سلسلة علماء توات، ص 204/203.

[5]- انظر: محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط بها من اتجاهات: الجزء الأول، ص 353. – ومحمد عبد الحق بكراوي، المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بلكبير: ص 54.

مهداوي[1]، والشيخ عبد الكريم محلوفي[2]، والشيخ أحمد المغيلي[3]، والشيخ عبد الله عزيزي[4]، والشيخ الحاج البركة البكري التمنطيطي[5]، وغيرهم كثير.

7-مؤلفاته: لم يترك الشيخ سيدي محمد بلكبير رحمه الله مؤلفات أو كتب لأنه لم يكن يهتم بالتأليف والكتابة والتدوين، وإنما سخّر حياته وكرس أعماله وجهوده كلّها لتأليف الرّجال وتربية الأجيال وصناعة الأبطال، لأنّ أثر الرّجل الواحد منهم سيكون كبيرا يتجاوز أثر الكتاب، وعليه فقد عكف على ذلك حتى تخرّج من مدرسته الآلاف من الطّلبة الذين هم عماد الأمة من الذين يقومون بنشر العلم وتربية النّاس والتّصدي للفساد والانحراف، وتنوير النّاس والمجتمع وإمامتهم، وتنقية وتصفية عقولهم، وتكاد لا تجد منطقة من مناطق القطر الجزائري خاصة في الجنوب منه من الأئمة والعلماء والخطباء والوعاظ إلا وبينهم من تتلمذ على يدي الشّيخ سيدي محمد بلكبير رحمه الله تعالى وتخرّج من مدرسته.

8-مكانته العلمية: تبوأ الشّيخ سيدي محمد بلكبير مكانة سامية، وارتقى قمة سامقة بين العلماء والزّهاد والمتصوفة، فلا ينازعه في مكانته أحد، حيث انتهت إليه رياسة العلم بعد وفاة شيخه أحمد ديدي رحمه الله، وبرز في علوم الشّريعة كالفقه والتفسير والحديث

---

[1]- انظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط بها من الجهات، الجزء الأول، ص 353.

[2]- انظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، الجزء الأول إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط بها من الجهات ، ص 353.

[3]- انظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، الجزء الأول إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط بها من الجهات ، ص 353.

[4]- انظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، الجزء الأول إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط بها من الجهات ، ص 353.

[5]- انظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، الجزء الأول إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط بها من الجهات ، ص 353.

وغيرها... إلى جانب علوم اللّغة والأدب من نحو وصرف وبلاغة وغيرها... كما كان متمسكا بالمذهب المالكي منفتحا على غيره من المذاهب الأخرى دون تعصب ولا تعنت، داعيا إلى الله بالتي هي أحسن، ميسرا على النّاس غير مضيق عليهم، متبعا منهج السّلف في ذلك.

كما كان رحمه الله مقصد القاصي والدّاني من العلماء والمفكرين والعامة للاستشارة والسّؤال وطلب النّصيحة والتّوجيه[1].

ثانيا رحلات سيدي محمد بلكبير:

تعددت الرّحلات التي قام بها الشّيخ سيدي محمد بلكبير وتنوعت، حيث كانت بين المناطق الدّاخلة ضمن إقليم توات، كما كان منها ما هو خارج هذا الإقليم، بل وكانت رحلاته حتى إلى خارج الوطن، وجميع هذه الرّحلات والأسفار التي قام بها الشّيخ رحمه الله كانت لها دوافع وأسباب، كما كانت لها أهداف وغايات، دقيقة ومحددة، ترتّب عنها فوائد ونتائج انعكست إيجابا على الشّيخ رحمه الله وعلى مسار حياته العلمية والصّوفية والتربوية.

1-أسباب ودوافع هذه الرّحلات والأسفار:

عرفت منطقة توات باعتبار موقعها وطبيعتها حركة نشيطة في التّبادل والتّلاقح المعرفي والعلمي والثّقافي منذ القديم، داخل الإقليم بانتقال علمائها في مختلف المناطق داخل الإقليم التواتي، أو بتوافد علماء من مختلف الحواضر الأخرى خارج الإقليم على مدارسها وعلمائها وزواياها منذ القديم، وعلى هذا كثرت الرّحلات الدّاخلية والخارجية وتعددت بمنطقة توات. ممّا خلق نوعا من التّواصل بين رجال العلم والمعرفة والثّقافة والفكر، فأسهم في تطور وازدهار منطقة توات، كما أسهم في ازدهار مدارسها وزواياها ومساجدها، ومكّن لطلّاب

---

[1]- انظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، الجزء الأول إلى منطقة توات لمذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط بها من الجهات ، ص 349/348/347.

العلم فيه من الاغتراف والنهل من مختلف العلوم والاستفادة من كثير العلماء. مع بروز عديد منهم ممن كان لهم شأن كبير في الحركة العلمية والفكرية داخل وخارج منطقة توات.

وقد تأثر الشيخ سيدي محمد بلكبير بما يزخر به هذا الإقليم من حركية ونشاط، كيف لا ؟؟ وهو أحد أبنائه فسلك مسلك من سبقه من الآباء والأجداد فسار على نهجهم، واقتفى أثرهم، ليحقق ما حققوا ويصل إلى ما يصبو إليه.

ويمكن أن نبيّن في إيجاز أسباب هذه الرّحلات والأسفار، وأسباب التّواصل بين العلماء والخروج إلى الحواضر أو الوفود عليها، والتي تعددت وتنوعت عند الشّيخ سيدي محمد بلكبير، ويمكن إجمال دوافع وأسباب رحلاته تلك في العناصر التّالية:

أ-التّحصيل العلمي:

دون شك أنّ من أهم الدّوافع والأسباب للقيام بمثل هذه الرّحلات عند الشيخ سيدي محمد بلكبير كما عند غيره، الرّغبة في طلب العلم والتّبحر في مختلف العلوم والفنون، والالتقاء بالعلماء والاستفادة من خبراتهم وتجاربهم وعلومهم، وغير ذلك مما يمكن أن يساهم في التّكوين للوافد أو الرّحالة، ويساهم في صناعة شخصيته العلمية وأكتسابها الهيبة والاحترام الوقار، مع الرّغبة في تحقيق النّضج العلمي وترسيخ سمات الشّخصية العلمية المتمكنة والمتفوقة.

ب-التّصوف:

إنّ كثيرا من الإجابات عن قضايا التّصوف، والتّساؤلات حول الزّهد وكشف الحقائق، والبحث عن السّند، وعن شيخ يوجه المسيرة الرّوحية، وأخذ أصول الطّريقة والتّشبع بحب الله ورسوله ما يتحقق إلا من خلال الرّحلة والتّنقل والضّرب في الأرض والبحث عمن يحقق ذلك من المشائخ وأهل التّصوف، وهو ما تحقق للشيخ سيدي محمد بلكبير رحمه الله.

ج-الحج:

كما تعد الرّحلة إلى الحج من الدّوافع الأساسية التي تؤدي إلى التّلاقح الفكري، والاستزادة من العلوم والمعارف، واكتساب الخبرات والتجارب، من خلال الالتقاء بالعلماء والصّلحاء، والوافدين على البقاع المقدسة، من مختلف أصقاع العالم الإسلامي، زيادة على تحقيق أداء الرّكن الخامس من الإسلام، وزيارة المقدسات بمكة المكرمة والمدينة المنورة، والعيش في عالم الرّوح الذي توفره الأجواء هناك، وعلى هذا تعددت رحلات الشّيخ سيدي محمد بلكبير رحمه الله إلى الحج والأماكن المقدسة.

2-فوائد الرّحلات:

إن هذه الدّوافع إلى الرّحلة والسّفر، والتّنقل بين الحواضر والمدارس العلمية، وبين المناطق والأماكن والمدن، والدول والمجتمعات المختلفة والمتنوعة، لا شك يتحقق منه مجموعه من الفوائد والأهداف والأغراض التّواصلية، سواء كانت مقصودة أو غير مقصودة وهو ما تحقق للشّيخ سيدي محمد بلكبير رحمه الله تعالى، ويمكن أن نجمل ما تحقق له من هذه الرّحلات والأسفار في النّقاط التّالية:

أ-لقاء العلماء، ومدارستهم والاستفادة من علومهم وتجاربهم، وتوجيهاتهم ونصائحهم، مع ما يمكن أن يحدث من تلاقح الأفكار، وتبادل الآراء والتّجارب، ووجهات النّظر في المسائل العلمية والقضايا، التي تخص الأمة والمجتمع.

ب-ثم إنّ الحصول على الإجازات العلمية دليل على لقاء العلماء والأخذ منهم، وتحصيل العلوم والأسانيد والرّوايات، وهو أيضا برهان على تلقي العلوم بل وعلى التّمكن والاقتدار وعلو الكعب ورفعة المكانة والشّأن.

بالنسبة للكتب والمؤلفات والمصادر المفيدة للعلماء الذين تم الالتقاء بهم، وأخذ العلم والإجازة عنهم أو لعلماء آخرين، ونقلها إلى بلدانهم ليستفيد منها طلبة العلم والمقبلين على التعلم والراغبين في ذلك.

ثالثا: أنواع الرّحلات العلمية:

وحتى يحقق الأهداف والغايات التي كان يطمح إليها الشّيخ سيدي محمد بلكبير، وحتى يجني الفوائد ويحقق الطموحات ويتواصل مع غيره من العلماء أخذا وعطاء وتبادلا للآراء، كانت الرحلة والسّفر والتّنقل هي الوسيلة التي تتحقق من خلالها كل هذه المقاصد، والرّحلة عند سيدي محمد بلكبير رحمه الله على نوعين أو صورتين، يمكن تفصيل الحديث عنها في الشّكل التّالي:

1-الرّحلة داخل الإقليم:

والمقصود بها الرّحلة في إطار إقليم توات، باعتباره مترامي الأطراف شاسع المساحة متنوع المدارس والرّوايا، ومقصد العلماء من الدّاخل والخارج، ومكانته العلمية معروفة ومشهورة عبر التّاريخ، وعلى هذا الأساس كان لابد عند الشّيخ سيدي محمد بلكبير أن ينتقل من قريته التي ولد ونشأ بها، إلى حواضر أخرى بالإقليم لينهل ويغترف من العلوم والمعارف، ويكتسب من الخبرات والتّجارب ما يؤهله لتصدر مجالس العلم في مستقبل الأيام، ثم نشر العلم وتعليم النّاس وتربيتهم والإصلاح بينهم في مرحلة ثانية، وهو الذي تحقق له من خلال عديد الرّحلات منها:

أ-الرّحلة إلى تمنطيط:

وهي أول رحلة كانت للشّيخ سيدي محمد بلكبير رحمه الله خارج قريته بودة بالغارة أين يتم طريقه نحو تمنطيط عاصمة العلم في إقليم توات، حيث أرسله والده رفقة خاله للعلم والتّعلم قائلا له عند توديعه: «يا بني إذا كنت للعلم طالبا، وللخير سائلا، فليس لك بد من

الشّيخ سيدي محمد بلكبير بتمنطيط لمدة ثلاث سنوات، أخذ فيها الشيخ سيدي محمد بلكبير الفقه والتوحيد والحديث والتصوف والتفسير والأدب والنحو والصّرف واللّغة وغيرها من العلوم والفنون الأخرى، كما كانت له في هذه المرحلة اتصالات مع عديد العلماء لمذاكرة والمراجعة في كثير من العلوم للاستفادة والانتفاع، منهم الشّيخ عبد الكريم البلباني، والشّيخ القاضي محمد بن عبد الكريم البكري ابن عم الشّيخ أحمد ديدي وغيرهم من العلماء والمشايخ[1].

يقول عن ذلك الشّاعر عبد القادر الطّلحاوي:

وعندما بلغ الشّيـــخ سن الرّشـاد *** خـــــــــرج صحبة خاله من البلاد

واتجـــه نـــحو ديـــار تمنطيـــط *** وكانت قـــــــــبلة للعلم والتّخطيط

لشيخه سيدنا أحمد بن ديـــــدي *** شيـــخ تمنطيـــــــط بلا تـــــردد

منـــــه تعلّـــم ثلاث سنـــوات *** لكنّـــه كانـــت له كـــالعشـــرات

ب-الرّحلة إلى تيمون:

بعد رجوعه من تلمسان وملازمته لأبيه وممارسته التّعليم والتّدريس بقريته الغمارة بجودة شاع خبره وانتشر ذكره، فقصده أهل تيمون وأعيانها طالبين منه القدوم عليهم لتولي الإمامة والفتوى والتّدريس لعلوم الشّريعة عندهم، فلبى النّداء وقبل الطّلب وذلك سنة

---

[1] - انظر: محمد عبد الحق بكراوي، المنهج الفقهي عند الشّيخ سيدي محمد بلكبير، ص 48. - ومولاي التّهامي غيتاوي، الضّوء المستنير في معرفة الشّيخ سيدي محمد بن الكبير، ص 10

1364هـ1943م. فانتقل إلى تيميون واشتغل بالتدريس وتعليم القرآن الكريم وعلوم الشّريعة الخاصة والعامة، حتى إنّه عقد مجلسا خاصا بالتّجار والمشرفين على الجوانب الاقتصادية ليتفقهوا في جانب المعاملات والبيوع ويتحرون الحلال من الحرام، ونتيجة نشاطه الدّؤوب وتأثيره البارز في المجتمع، ضايقته السّلطات الاستعمارية وعملاؤها، فاضطرّ إلى ترك تيميون والرّجوع إلى مسقط رأسه بودة بالغمارة ليمارس بها نشاطه وأعماله[1].

ج-الرّحلة إلى أدرار:

بعد سنتين من رجوعه من تيميون، يقصده أهل أدرار وأعيانها ليعرضوا عليه إنشاء مدرسة قرآنية بجانب المسجد يكون هو القائم والمشرف على التّعليم والتّكوين فيها، فقبل دعوتهم ولبّى النّداء كعادته بعدما بارك ذلك شيخه وأستاذه الشّيخ سيدي أحمد ديدي.

وفي مدينة أدرار تبدأ مرحلة جديدة من حياته في سبيل الدّعوة والإصلاح والتّربية والتّزكية والسلوك والوعظ والإرشاد.

فقد افتتح المدرسة وتولّى فيها الإمامة والخطابة والتّدريس، وتعليم القرآن الكريم وعلوم الشّريعة وتربية الأجيال، فشاع اسمه، وانتشر خبره، وذاع صيته، وقصده النّاس من كل

---

[1]- انظر: محمد عبد الحق بكراوي، المنهج الفقهي عند الشّيخ سيدي محمد بلكبير، ص 61/60. – ومولاي التّهامي غيناوي، الإشراق الكبير في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشيخ سيدي محمد بلكبير، ص 28/27. ونخل الشّيخ محمد بلكبير الخاج عبد الله بن الكبير، وقفة مع حياة الشّيخ الحاج محمد بلكبير التّعليمية والإصلاحية، مداخلة ألقيت ضمن فعاليات الملتقى الوطني الأول الشّيخ سيدي محمد بلكبير المنعقد بأدرار بتاريخ 11/10 رجب 1431هـ، 24/23 جوان 2010م. – والشّيخ الحاج السّالم بن إبراهيم، مناقب الشّيخ بن لكبير وجهوده في نشر المذهب المالكي، مداخلة ألقيت ضمن فعاليات الملتقى الوطني الأول الشّيخ سيدي محمد بلكبير المنعقد بأدرار بتاريخ 11/10 رجب 1431هـ، 24/23 جوان 2010م.

حدب وصوب حتى ضاقت بهم المدرسة، واستمر في عمله رغم التّضييق من السّلطات الاستعمارية والعملاء والخونة، وكتب الله لجهوده أن تثمر، ويكتب لمدرسته أن تستمر في نشاطها وعطائها إلى فترة الاستقلال بل إلى يومنا هذا حتى بعد وفاته رحمه الله، هذه المدرسة التي تخرج منها الآلاف من الطّلبة والمريدين[1].

يقول عن ذلك الشّاعر عبد القادر الطّلحاوي:

وهكـــــذا انتقـــــل الشّيـــــخ لأدرار *** وفتح المـــــدرسة دونما انتظـــــار

وقـــــــدم الطّلاب من كل الجهـــات *** وخـــــــاصة من تيميون وتوات

2-الرّحلة خارج الإقليم:

وقد لا يحقق الرّجل غايته، ولا يشبع نهمه فيتطلع إلى المزيد من المعارف والعلوم والتّجارب والخبرات، فيعمل على السّفر والرّحلة إلى مناطق وحواضر أخرى خارج محيطه الجغرافي، وهذا الذي حصل للشّيخ سيدي محمد بلكبير الذي تاقت نفسه وتطلعت بعد أن ذاقت للمزيد، فانتقل إلى حواضر أخرى خارج الإقليم التّواتي لمزيد من الاغتراف والكسب، فكانت له الرّحلات التّالية

---

[1]- انظر: محمد عبد الحق بكراوي، المنهج الفقهي عند الشّيخ سيدي محمد بلكبير، ص 63/62/61. ونجل الشّيخ محمد بلكبير الحاج عبد الله بن الكبير، وقفة مع حياة الشّيخ الحاج محمد بلكبير التّعليمية والإصلاحية، مداخلة ألقيت ضمن فعاليات الملتقى الوطني الأول الشّيخ سيدي محمد بلكبير المنعقد بأدرار بتاريخ 11/10 رجب 1431هـ، 24/23 جوان 2010م. - والشّيخ الحاج السّالم بن إبراهيم، مناقب الشّيخ بن لكبير وجهوده في نشر المذهب المالكي، مداخلة ألقيت ضمن فعاليات الملتقى الوطني الأول الشيخ سيدي محمد بلكبير المنعقد بأدرار بتاريخ 11/10 رجب 1431هـ، 24/23 جوان 2010م.

أ-الرّحلة إلى تلمسان:

كانت رحلته رحمه الله إلى تلمسان بالغرب الجزائري سنة 1354هـ1935م باقتراح من أبيه رحمه الله بعدما أبدى الابن سيدي محمد بلكبير الرّغبة في السّفر إلى المغرب الأقصى للاستزادة من العلوم ومجالسة العلماء، فاستجاب رحمه الله لرغبة الوالد وبمم قاصدا تلمسان المدينة العريقة ذات الشّهرة الواسعة، منبت الحضارات ومهوى العلماء، ومقصد الرّاغبين بالتّزود بالعلم، وكان رحمه الله يهدف من هذه الرّحلة إلى مدينة تلمسان تحقيق رغبتين:

الأولى: الرّغبة في وجود عمل يسترزق منه ويلبي حاجاته الضّرورية من خلاله.

الثّانية: التّزود بالعلم ومجالسة العلماء والصّلحاء والمشايخ. وقد استفاد مدة وجوده بتلمسان كثيرا من الجانب العلمي والرّوحي وتزكية النّفس.

فقد أخذ في هذه الفترة الطّريقة الموسوية ومختلف أورادها عن الشّيخ سيدي بوفلجة بن عبد الرّحمن، كما كان يتدارس معه كثيرا من المسائل العلمية والفقهية وغيرها.

كما استفاد كثيرا من الشّيخ سيدي محمد بن مولاي البكري، الذي تدارس معه مختصر خليل ورسالة أبي زيد القيرواني وغير ذلك من المتون والشّروح[1].

يقول عن ذلك الشّاعر عبد القادر الطّلحاوي:

---

[1]- انظر: محمد عبد الحق بكراوي، المنهج الفقهي عند الشّيخ سيدي محمد بلكبير، ص 59/58. - الشّيخ الحاج السالم بن إبراهيم، مناقب الشّيخ بن لكبير وجهوده في نشر المذهب المالكي، مداخلة ألقيت ضمن فعاليات الملتقى الوطني الأول الشيخ سيدي محمد بلكبير المنعقد بأدرار بتاريخ 11/10 رجب 1431هـ، 24/23 جوان 2010م.

واتجـــه نحـــو ديـــار تلمســـان *** لأجـل التـــزود بتفاسيـــر القـــرآن

والتقى بالشّيـــخ سيـــدي عبد الرّحمـــن *** بن بوفلجة شيـــخ ديار تلمســـان

مـن ذرية الشّيخ سيدي أحمد بن موسى *** وكـــان للشّيـــخ جليســـا أنيسا

ومعـــه راجـــع شـــرح خليـــل *** كذا التّفاسيـــر بالنّـــص والدّليـــل

ب-الرّحلة إلى العريشة[1]:

وتأتي الرّحلة إلى العريشة حين جاء وفد منها إلى مدينة تلمسان يبحثون عن معلم للقرآن وشيخ يقوم على أمور دينهم، فاقترح عليهم الشّيخ سيدي بوفلجة بن عبد الرّحمن الشّيخ سيدي محمد بلكبير وقال لهم: «لن تجدوا مثله حفظا لكتاب الله، وفقها وعلما» فلبّى الدّعوة واستجاب لنداء الواجب وذهب معهم، حيث بقي خمس سنين كاملة، كلّها عطاء وتعليما وتربية وتوجيها وإصلاحا بين النّاس، ودعوة إلى الحق والعدل والتّسامح والارتقاء بالنّفس نحو الكمال والتّخلص من الأدران والعوالق[2].

---

[1]- ضاحية من ضواحي مدينة المشرية بولاية النعامة.

[2]- انظر: نجل الشيخ محمد بلكبير الحاج عبد الله بن الكبير، وقفة مع حياة الشّيخ الحاج محمد بلكبير التّعليمية والإصلاحية، مداخلة ألقيت ضمن فعاليات الملتقى الوطني الأول الشيخ سيدي محمد بلكبير المنعقد بأدرار بتاريخ 11/10 رجب 1431هـ، 24/23 جوان 2010م. - الشّيخ الحاج السّالم بن إبراهيم، مناقب الشّيخ بن لكبير وجهوده في نشر المذهب المالكي، مداخلة ألقيت ضمن فعاليات الملتقى الوطني الأول الشّيخ سيدي محمد بلكبير المنعقد بأدرار بتاريخ 11/10 رجب 1431هـ، 24/23 جوان 2010م.

ج-الرحلة إلى المشرية:

وأثناء تواجده بالعريشة كان كثيرا ما يقوم برحلات إلى مدينة المشرية، للقيام بواجب الإمامة والتعليم والإصلاح، ونشر مبادئ الدين الحنيف، وتعليم النّاس كتاب الله وأحكام العبادات وغير ذلك.

3-الرحلة خارج الوطن:

ومثلما تعددت رحلات الشّيخ سيدي محمد بلكبير داخل وخارج إقليم توات بالقطر الجزائري، قام أيضا بالعديد من الرّحلات خارج الوطن وذلك لنفس دوافع الرّحلات الأولى، ولتحقيق نفس الغايات والفوائد التي رام إلى تحقيقها في رحلاته داخل الوطن، وعلى هذا تعددت رحلاته أيضا خارج الوطن وكانت إلى البلدان الآتية:

أ-الرحلة إلى المغرب الأقصى – فاس -:

وحين كان بتلمسان خرج في رحلة مع بعض الإخوان والأصحاب إلى المغرب الأقصى حيث زار مسجد القرويين بفاس واتصل بعلمائه واستفاد منهم الكثير.

ب-الرحلة إلى الحج:

تعددت رحلاته رحمه الله إلى الدّيار المقدسة وزيارة بيت الله الحرام، ومدينة رسوله عليه الصّلاة والسّلام المدينة المنورة، وكثير من المزارات المقدسة:

- الرّحلة الأولى:

وقد كانت رحلة الشّيخ سيدي محمد بلكبير رحمه الله الأولى إلى الحج سنة 1372هـ1952م رفقة الشّيخ مولاي أحمد والشّيخ الحاج عبد القادر بن الشّيخ سيدي أحمد ديدي.

وهذه الرّحلة كانت عن طريق البر حيث مرّ من خلالها على عدد من الدّول العربية والمدن المعروفة فيها، وقد زار خلال هذه الرّحلة جامع الزّيتونة المعمور بتونس الخضراء، كما زار الجامع الأزهر الشّريف بمصر.

- الرّحلة الثّانية:

وقد كانت له الفرصة ليحج مرة أخرى وذلك سنة 1384هـ/1964م. وقد برزت فيها فتواه في مسألة الإحرام حيث كان يرى رحمه الله جواز تأخير الإحرام إلى البر للمسافر إلى الحج عن طريق الطّائرة، -والمسألة فيها تفصيل-، وهو الرأي الذي يراه كثير من العلماء لأن ذلك هو المطابق لليسر والرّفع للحرج.

- الرّحلة الثّالثة:

كما كانت له الفرصة أيضا للذّهاب إلى الحج مرة ثالثة وذلك سنة 1394هـ/1974م. رفقة عدد من المشايخ والعلماء منهم الشّيخ محمد باي بلعالم رحمه الله.

وهو رحمه الله في ذهابه إلى الحج يحقق عددا من الغايات والمقاصد دفعة واحد:

أ-فهو يؤدي الفرض ويقوم بالمناسك ويتعبد إلى ربه ويرفع أكف الضّراعة بالدّعاء والتذلل والخشية أمام باب المولى عز وجل، وهو مقصد أسمى وغاية قصوى تتحقق بالعبادة.

ب-وهو أيضا المرشد والمعين والدّليل للحجاج الذين هم في صحبته، يوجههم وينصحهم ويعضهم ويبين لهم الأحكام والتّشريعات والمقاصد من الحج، ويحثهم على التدبر والتعبد واغتنام الفرص في الذكر والدّعاء والتّضرع والتذلل وغير ذلك مما يتحقق من عبادة الحج.

ج-وهو أيضا متواصلا مع العلماء والمشايخ والحجيج من مختلف بقاع الأرض وأصقاع العالم، يتدارسون ويتبادلون التّجارب والخبرات والآراء، ويتناقشون في أحوال المسلمين، ويبسطون المسائل للنّظر والنقاش والمدارسة، وغير ذلك مما يتحقق من ملاقاة أهل العلم والفضل.

د-الرّحلة إلى مصر والأزهر الشّريف:

كانت زيارته إلى مصر والذّهاب إلى الأزهر الشّريف في رحلته الأولى إلى الحج سنة 1372هـ/1952م، فقد حج عن طريق البر وفي طريق ذهابه إلى الحج مرّ على الأزهر الشّريف بمصر حيث مكث فيه أسبوعا، التقى فيه بأهل العلم من العلماء وطلبة العلم واستفاد منهم كثيرا، كما ألقى بعض الدّروس على طلبة العلم منها درس (الإخبار بالذي والألف واللاّم من ألفية ابن مالك)، حيث أفاظ فيه وأسهب وأفاد، مما جعله محط احترام وتقدير كبيرين.

كما دخل في بعض المناظرات والنّقاشات مع بعض أساتذة الأزهر الشّريف فألزمهم الحجة، وأرجعهم إلى الحق في عديد المسائل والقضايا.

فقد ناظره أحد أساتذة الأزهر عن كتب الفقه كخليل والرّسالة وغيرها مما يدرسه أهل المغرب عادة، وأنّها باطلة ومضيعة للوقت ويجب الاستغناء عنها، والاكتفاء بالكتاب والسّنة النّبوية فقط، فقال له الشّيخ سيدي محمد بلكبير: إن أعطيتني مسألة واحدة من القرآن أو الحديث الشّريف، دون الرّجوع إلى حافظتك وإلى كلام الفقهاء، سلمت لك فيما تقول، وأعرضت عن تدريس كتب الفقه، وعدت إلى الأخذ بالقرآن والحديث فقط، فسكت ذلك الأستاذ وبهت ولم ينطق بكلمة واحدة. فألزمه الحجة وأبان عن مقدرة في إدارة المناظرة وتقديم الدّليل وإلزام الخصم الحجة والبرهان.

وليست هذه المناظرة الوحيدة التي جرت له، بل كانت له مناظرات أخرى كان فيها الفارس المغوار، والبطل المقتدر والمحاور البارع.

هـ-الرحلة إلى تونس والزّيتونة المعمور:

ورحلته إلى تونس وزيارة جامع الزّيتونة كانت خلال رحلته الأولى إلى الحج عن طريق البر سنة 1372هـ/1952م، فحين دخوله القطر التونسي عرّج رحمه الله على جامع الزّيتونة لملاقاة العلماء وطلبة العلم والاستفادة منهم.

الخاتمة:

تعددت الرّحلات عند الشّيخ سيدي محمد بلكبير وتنوعت بين الدّاخل والخارج، لكن يبقى الهدف منها واضحا وجليا، مرتبطا بالجانب العلمي أخذا وتكوينا في المراحل الأولى، ثم نشرا وعطاء بين النّاس في مراحل ثانية، كما هو تواصل وربط لوشائج الصلة مع العلماء والصّلحاء من الأمة، وهي أيضا تحقيق للعبودية وممارسة العبادة لله سبحانه وتعالى في أسمى صورها.

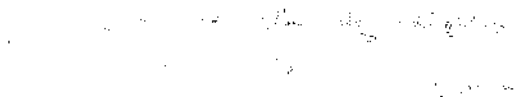

إسهامه
واشتغاله
بالعلم
والتدريس
والتأليف

منهج الشيخ سيدي محمد بلكبير في التعليم القرآني والعلوم الشرعية

نجوى مناع

طلبة دكتوراه (ستة ثانية)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة-

ترجمة موجزة للشيخ سيدي محمد بلكبير:

نسبه ومولده:

هو العلامة الفقيه اللغوي الشيخ سيدي أبو عبد الله محمد بن سيدي محمد عبد الله بن محمد بن عبد لكبير بن الشيخ سيدي الحاج عبد الله الغماري، ولد رحمه في قرية الغمارة سنة 1329هـ-1911م من أسرة شريفة القدر، سليلة الكرم والجود معدن العلم والتقى[1].

---

[1]- ينظر: محمد عبد الحق بكراوي. المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير. رسالة دكتوراه. إشراف: سعيد فكرة. كلية العلوم الإسلامية-جامعة باتنة1 . 2016م-2017م. ص32 بتصرف. وانظر ترجمته في كتاب الضوء المستنير في معرفة الشيخ سيدي محمد بلكبير. مولاي التهامي غيتاوي (لم أعثر عليه)، وحاضرة توت المالكية، أعلامها، نوازلها، خصائصها. رسالة ماجستير. زهير قزان. إشراف محمد الصالح حوتية. جامعة ادرار. كلية العلوم الاجتماعية والاسلامية. قسم الشريعة. 2010/ 2011م.وجريدة البصائر. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. مقال بعنوان: الشيخ سيدي محمد بن الكبير –رحمه الله-نشأ على القرآن عاش عليه ومات عليه. العدد 857/ 2017م.

نشأته:

نشأ الشيخ في ظلّ أبوين كريمين توفيت والدته وهو صغير، فتربّى في كنف والده على اكتساب مكارم الأخلاق وحبّ القرآن.

"فقد كان والده من حملة كتاب الله، بينما كان عمّه معلما إماما للمسجد الجامع، أمّا خاله سيدي محمد المهدي فكان فقيها...، وفي هذا المعين الطيب نشأ قريبا من القرآن وأهله فسهل عليه حفظه مكللا تعليمه الأوّل بمبادئ الفقه والنحو والتوحيد حفظا وشرحا وهو لا يزال في سنّ مبكرة على يد عمّه وكذا الطالب محمد التمنطيطي"[1].

ثم أرسله والده إلى إحدى حواضر العلم والمعرفة في توات آنذاك تمنطيط، فدرس في مدرسة العلامة الفقيه سيدي أحمد بن ديدي، حيث قرأ بعض المتون المتداولة في المدرسة في العلوم الشرعية والعربية وعلم التربية والسلوك على يد شيخ المدرسة ثم رجع إلى والده وقد بقي له مختصر خليل، وهو عمدة الفقه المالكي في توات، فطلب منه -أي من والده- أن ينظره في الدراسة سنتين أخريين حتى يكمل المختصر فوافق أبوه على طلبه فأتمّ تعليمه ثم رجع مع والده إلى بلدته ليعينه على متاعب الدنيا ومشاكل الحياة[2].

تعلم الشيخ -رحمه الله- على شيوخ آخرين منهم العلامة القاضي سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، والشيخ عبد الكريم بن محمد بن عبد المالك البلبالي، والشيخ سيدي بوعلام البلبالي، أما تلاميذه فمنهم الشيخ سيدي عبد القادر سيدي أحمد بن عبد الرحمن بكراوي، والشيخ سيدي الحاج سالم بن ابراهيم.

---

[1]- ابراهيم بن ساسي. جريدة البصائر مقال بعنوان الشيخ بلكبير رافع راية العلم والقرآن. 1911هـ-2000م. عدد 536/ 2011م. ص16

[2]- ينظر: محمد عبد الحق بكراوي. المنهج الفقهي. ص37-38 بتصرف.

سند الشيخ في الفقه والتفسير والحديث:

1-في الفقه:

أخذ الشيخ رحمه الله عن جماعة من الفقهاء والمشائخ، أهمهم الشيخ أحمد ديدي البكري التمنطيطي، عن شيخه عبد الله البلباني الكسامي، عن الشيخ أحمد الحبيب بن محمد البلباني الملوكي، عن شيخه عبد العزيز بن محمد بلبالي، عن شيخه محمد بن عبد الرحمن البلباني الملوكي، عن شيخه عبد الرحمن بن عمر وشيخه محمد بن عبد الله الأدغاغي ثم الوناقالي، عن شيخه عبد الرحمن بن عمر التنيلالي، عن شيخه إبراهيم الجنتوري، عن شيخه أحمد بن عبد السلطان، عن شيخه أبي عبد الله محمد بن عبد العالي، عن شيخه محمد عبد الرحمن، عن شيخه محمد بن أحمد عبد السلطان، عن شيخه محمد بن علي النحوي، عن شيخه عبد الكريم بن محمد التمنطيطي والد الشيخ البكري، عن الشيخ سعيد قدورة الجزائري، عن الشيخ عبد الحكم، عن والده الشيخ عبد الكريم، عن المحقق الشيخ محمد بن عبد الله الدقاق الفاسي، عن الشيخ أحمد الفاتوح، عن الإمام المنوني، عن شيخه أبي بكر بن صرفة، عن شمس الدين محمد بن محمد الغماري، عن الشيخ الشهير العلامة خليل بن إسحاق صاحب المختصر، عن شيخه أبي عبد الله المنوفي، عن الشيخ زين الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن، عن الشيخ يحيى بن الفرج، عن العلامة ابن خلدون، عن الإمام ابن عبد السلام، عن ابن هارون، عن ابن قاسم أحمد بن يزيد، عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبي عبد الله بن فرج، عن أبي طالب المكي، عن الإمام الشهير شارح مذهب الإمام مالك وجامعه أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، عن أبيه بن الفرج، عن أشهب عبد العزيز، عن عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقي، عن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ورحمه، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن وعن نافع، وأخذ ربيعة عن أنس بن مالك، وأخذ نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وكلاهما عن سيد المرسلين وإمام المتقين الحبيب الأعظم، سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه من ربه أزكى صلاة وسلام وعلى آله وصحبه.

2-سند القرآن الكريم:

أخذ الشيخ القرآن الكريم عن شيخه أحمد ديدي، عن شيخه عبد الله البلبالي، عن شيخه أحمد الحبيب بن محمد البلبالي، عن شيخه عبد العزيز بن محمد البلبالي، عن شيخه محمد بن عبد الرحمن البلبالي، عن شيخه عبد الرحمن بن عمر التنيلالي قال : رويت القرآن العظيم عن الشيخ المقرئ صالح بن محمد السجلماسي ثم اللمطي برواية ورش وقالون ؛ إجازة وسماعا للعشرة الأحزاب الأولى برواية قالون بواسطة والده الشيخ محمد المكي، وسماعا منه لبعض الأحزاب برواية ورش أيضا، قال : فأنا أرويه قراءة وإجازة عن أخينا شقيقنا أحمد الحبيب بن محمد اللمطي، عن الشيخ إبراهيم المسكوري، عن الشيخ عبد الرحمن بن القاضي، عن أبي زيد عبد الرحمن الفيلالي، عن الشيخ الشريف المديني، عن الشيخ قاسم بن إبراهيم، عن بن غازي، عن الأستاذ الصغير، عن أبي الحسن بن سليمان، عن أبي جعفر بن الزبير، عن أبي العطار، عن ابن سحنون، عن ابن باقي، عن ابن العرجاء، عن الطبري، عن ابن نفيس، عن ابن سيف عن الأزرق، عن ورش، عن نافع، عن ابن هرمز عن ابن هريرة رضي الله عنه، عن أبي بن كعب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن جبريل عليه السلام.

3-سند الحديث:

أي صحيح البخاري الذي أجازه به شيخه أحمد بن ديدي رحمهما الله:

يقول كاتبنا محمد بن محمد بن محمد الجزولي، أخبرنا بصحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري شيخنا أبو محمد عبد الله بن أبي العباس سيد أحمد الحبيب البلبالي، قال أجازنيه والدنا المذكور، قال أجازنيه شيخنا القاضي أبو فارس محمد عبد العزيز بن الشيخ القاضي محمد بن عبد العزيز البلبالي، قال أخبرنا به شيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر عن شيخه أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي، قال أجازنيه الفقيه العلامة محمد بن عبد السلام البناني الفاسي والشيخ محمد أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي، كلاهما عن والد الثاني، عن أبي القاسم محمد بن أحمد الفاسي، عن القصار، عن التسولي، عن الدقاق، عن المواق، عن المنتوري، عن ابن

جزي، عن أبيه، عن ابن الزبير، عن أحمد بن راجب، عن أبي عبد الله بن سعادة، عن عمه أبي عمران موسى بن سعادة، عن الإمام أبي علي الصدفي، عن أبي الوليد البراحي، عن أبي ذر الهروي، عن القسبلي والمحمودي والكشميهني، عن الفربري، عن البخاري رحمه الله تعالى.

رحلاته:

كانت قبلته الأولى إلى تلمسان رغبة في وجود عمل والتزود بالعلم بمجالسة علمائها، ثم رجع إلى مسقط رأسه الغارة، ولمّا سمع برجوعه أهل تيمون طلبوا منه أن يتولّى مهمة الإمامة وتدريس العلوم الشرعية عندهم، فقبل طلبهم وبعد عودته من تيمون بسنتين إلى أدرار أُنشئت المدرسة القرآنية بجوار المسجد الكبير بوسط المدينة فتولى الشيخ بن الكبير الإمامة فيها والخطابة وتعليم القرآن[1]

وفاته:

توفي الشيخ رحمه الله يوم الجمعة 16 جمادى الثانية 1421هـ الموافق لـ: 15 سبتمبر 2000م، وذلك بعد مرض عضال ألزمه الفراش، وبعد حياة مكللة بالجدّ والاجتهاد وخدمة الدين والعلم والقرآن، فرحم الله الشيخ وأسكنه فسيح جنانه[2].

تعريف بمدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير –رحمه الله-:

إن تأسيس مدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير كان بمثابة شعاع هدى ومنار علم ونور أنار في ظلمة الجهل والحيرة، فقد كانت المدرسة محفلا يجتمع فيه العلماء والأفاضل وطلاب العلوم، ورغم أنه لم يكن للشيخ ميزانية ولا دخل من هيئات رسمية حكومية سوى ما كان من غلات التمر بملكية الشيخ بعودة وشيء زهيد من وقف مع ما يجود به

---

[1]- ينظر: محمد عبد الحق بكراوي.المنهج الفقهي : ص 58- 63 بتصرف.

[2]- ينظر: ابراهيم بن ساسي. جريدة البصائر. مقال عدد536/ 2011م.

أهل الخير والإحسان لتظلّ لسنوات طويلة والحمد لله منبعا للقرآن والإيمان، وقد ساهمت في بعث علمي وشرعي، إذ استطاعت أن توجد لها مرجعية بفعل الدور الذي قام به الشيخ وقد أثمرت تلك الجهود المباركة في تخريج قوافل المعلمين والأئمة والمقرئين والأساتذة وشيوخ الزوايا القرآنية[1].

وكان الطلبة في البداية لا يتجاوزون العشرة في السنين الأولى من بدايتها نظرا لعسر الحال الذي كان عليه المجتمع ولظروف الاحتلال، ومع ذلك كانت المدرسة تسير عادية بدون عنت ولا مشقة بفضل الله، ولمّا شاع اسم المدرسة في الآفاق وانزاح عن الوطن ضيق الاحتلال، قصدها طلاب العلم من كل جهة وكثر عددهم فجُعل لها نظاما داخليا تسير عليه ، وكان الطلبة خصوصا بعد الاستقلال في تزايد مستمرّ فقد كان عددهم في أوائل السبعينات 120 طالبا، وبلغ العدد في وسطها 400 طالب، واستمرّ عددهم في التزايد حتى تجاوز 1200طالب في عشرية التسعينات"[2].

فكيف كانت حلقات التعليم في هذه المدرسة وما منهج الشيخ بلكبير في التدريس، وما هي المواد والكتب المعتمدة في ذلك.

منهج الشيخ سيدي محمد بلكبير في التدريس:

إن الحديث عن الشيخ بلكبير هو حديث عن شخصية فذة، شخصية تعلم وتعي حقيقة وجودها واستخلافها في الأرض، كان يدرك بأن الله خلقه لأمر عظيم وهيأه لخطب جسيم لابد أن يسخر له كل ما يملكه من القوة البدنية والعلمية والمادية في سبيل تعليم القرآن الكريم ونشر مبادئ الدين، فامتلأت مدرسته بحِلق تحفيظ القرآن الكريم ودروس الفقه والشريعة والتفسير والعقيدة واللغة والتصوف وفق ما هو سائر به العمل في إقليم توات.

---

[1] - ينظر: التهامي غيتاوي. جريدة البصائر العدد 536/ 2011م. مقال علاقة الشيخ سيدي محمد بن بلكبير بأعلام عصره، موقع taouat.net.

[2] ينظر: محمد عبد الحق بكراوي. المنهج الفقهي. ص26- 63 بتصرف.

"فقد اعتنى أهل توات في مجال تعليم العلوم الشرعية بدراسة المذهب المالكي والعمل بمقتضى ما جاء به من أحكام...، فسعى الشيخ سيدي محمد بن الكبير بكل عزم وحزم في دعم استمرار المذهب المالكي وجعله المرجعية الفقهية في الأرجاء التواتية، بل وسائر بقاع التراب الوطني ممثلا في المدرسة التواتية التي هي سليلة المدرسة المغربية، بحكم التقارب والتفاعل الثقافي والعلمي بين بلدان المغرب العربي الكبير، وإن الشيخ سيدي محمد بن الكبير يعتبر أحد رواد المدرسة التواتية وشيخها المعاصر والفذ، بلا منازع"[1].

1-منهج الشيخ سيدي محمد بلكبير في تعليم القرآن الكريم:

تمهيد: "قد تميز الشيخ سيدي محمد بلكبير بحسن الإلقاء وجذب قلوب المستمعين فقد كان ذا إمكانية عالية من الفصاحة والبيان، واستحضار الشواهد والأدلة لما يعرضها من القضايا والأحكام"[2].

- لقد ركز الشيخ سيدي محمد بلكبير في حلقات تحفيظه للقرآن الكريم على جميع الفئات العمرية، فكانت حلقاته تشمل الصغار والكبار على حد سواء، أما تدريسه للعلوم الشرعية فكان مخصصا للكبار فقط.

1- منهجه في التعليم القرآني للصغار:

إن مما يميز التعليم القرآني خاصة للصغار في الجزائر اتباع منهج موحد في جميع الزوايا والكتاتيب يعتمد أساس على التحفيظ باللوح وهي الطريقة نفسها التي اعتمدها الشيخ محمد بن لكبير -رحمه الله-وفقا لما هو سائد في المدرسة التواتية على العموم منذ قرون، حيث "يفتتح الشيخ للتلميذ المبتدئ للدراسة في لوحه يوم الأربعاء أو الأحد[3]، فيفتتح له

---

[1]- محمد عبد الحق بكراوي: المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، ص:90.

[2]- المرجع نفسه، ص: 90.

[3]- وتخصيص يوم الأربعاء أو الأحد عادة قديمة توارثها المشايخ في المدرسة التواتية جيلا بعد جيل، (ينظر هامش ص: 93 من رسالة المنهج الفقهي).

بالبسملة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الدعاء بالعون والتيسير، ثم كتابة الحروف الهجائية (أ، ب، ت، ث، ج...) إلى آخر الحروف ثم يكتب سورة الفاتحة ثم الناس ويصعد مع سور القرآن"[1].

وهذه الطريقة تعتمد على منهج التعليم الفردي حيث يكتب لكل صبي جزؤه الذي يريد حفظه في لوحه الخاص به، ويتم التركيز في التحفيظ على مستويات الطلاب وقدراتهم الذهنية والإدراكية فإذا ختم أحد الطلاب يُجعل له احتفال وتكريم لما بذله من جد واجتهاد في حفظ كتاب الله تعالى.

"ومن الأعمال التي تقع في هذا الاحتفال، تناول وجبة الغداء أو العشاء على حسب الوقت المعد للاحتفال من المدعوين لذلك، ثم تزين ألواح التلاميذ التي كانوا يدرسون فيها القرآن بالزخارف والنقوش الجميلة ذات الصلة بالأخلاق الإسلامية، وذلك بجوانب اللوح، ويكتب في وسط اللوح الثمن الأخير من سورة البقرة وبعد ذلك يلبس التلاميذ كل واحد منهم كسوة بيضاء، ويكونون في هيئة جميلة كأنهم عرسان في زفاف، ويقدم للتلاميذ هدايا وجوائز من الأهل والأصدقاء والحاضرين لذلك الاحتفال، تكريما لأولئك التلاميذ وتشجيعا لهم على مواصلة الجد والاجتهاد في دراسة القرآن، ويختم الاحتفال بتلاوة جماعية للثمن الأخير من سورة البقرة وقراءة بعض القصائد المتضمنة لفضائل القرآن ومكانة أهله، ومن ذلك القصيدة المشهورة في الإقليم الصحراوي:[2]

أفضـــل ما يتلى وما يقال * وخير مـــا ينفق فيه المال.**

قراءة القـــرآن عند الناس * كذا روى أئمـــــة القياس**

وينهى الاحتفال بالدعاء والتضرع لله رب العالمين بإصلاح أولئك التلاميذ وإنجاحهم في دراستهم، وتحقيق الأمن والسعادة للمسلمين أجمعين"[3].

---

[1]- ينظر: المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، ص:93-94 -بتصرف-

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 95.

[3]-ينظر المرجع نفسه، ص: 96.

2- منهجه في التعليم القرآني للكبار:

"إن منهج التعليم القرآني للكبار عند الشيخ سيدي محمد بلكبير –رحمه الله- يعتمد على التدريس الجماعي، حيث يكتب الطلبة الدارسون القرآن الكريم في ألواحهم نفس المقرر حفظه من القرآن، وغالبا ما يكون ربع الحزب يوميا ما عدا الخميس والجمعة، وبعد افتتاح المجلس يبدأ في قراءة المقرر حفظه من القرآن آية آية، والطلبة يرددون بعده ما قرأ جماعة، ويتوقف عند كل كلمة أو جملة تحتاج إلى بيان من حيث الضبط أو إزالة إشكال في المعنى، والطلبة كل واحد ممسكا بقلمه ليصحح ما في لوحه من أخطاء، ويقوم الشيخ أيضا ببيان أحكام التلاوة الصحيحة وفق رواية ورش[2] عن نافع[3] ليتمرن الطلبة على القراءة الصحيحة... وكان الشيخ سيدي محمد بن الكبير –رحمه الله- إضافة لما ذكر يلقّن بعض العبارات والشواهد الموضحة للمتشابه اللفظي في القرآن[4].

"وبعد ضبط الألواح وتصحيحها، يبدأ الشيخ والطلبة بتلاوة جماعية لربع الحزب المكتوب في الألواح مدة من الزمن حتى يتمكن الطلبة من حفظ ذلك واستظهاره، وبعد التمكن من الحفظ والاستظهار يعرض الطلبة ما حفظوا على الشيخ، وتارة يستظهر كل طالب ما حفظه على أحد زملائه وفي المساء يقوم الشيخ والطلبة بمراجعة وتكرار ما حفظوا من القرآن بتلاوة جماعية، وأقل ما يراجع في اليوم خمسة أحزاب مع حفظ اللوح واستظهاره"[5].

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص:96 –بتصرف-.

[2]- ورش هو أبو سعيد عثمان بن سعيد المصري (110هـ/197هـ) لقب بورش لشدة بياضه، ينظر: التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، دار الكتاب العربي – بيروت-1404هـ/1984م، ص: 03.

[3]- أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي (169/70هـ) انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة، ينظر: السبعة في القراءات، ابن مجاهد، دار المعارف – القاهرة- ط:02، 1400هـ، تحقيق: شوقي ضيف، ص: 53.

[4]- ينظر: المنهج الفقهي عند الشيخ محمد بن الكبير، ص: 97.

[5]- المرجع نفسه، ص: 99.

2- منهجه في تدريس العلوم الشرعية:

لقد نذر الشيخ محمد بلكبير حياته في سبيل تعليم شرع الله وإخراج المجتمع من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة بالله والالتزام بشرعه فقد أعطى -رحمه الله- لتدريس العلوم الشرعية ونشرها بين أفراد المجتمع التواتي من عقائد وفقه علم التزكية، وغير ذلك من فنون العلم، وما يلحق بذلك من العلوم التبعية من لغة ونحو وصرف عناية كبرى، فقد كان ذا جد واجتهاد في نشر العلوم الشرعية وعقد مجالس التذكير بل كان إذا جاء من يشغله عن الدرس من ضيوف وغيرهم يقول لهم: لقد انتهى وقتكم فقد حان وقت الحانوت، فكان يرى تعليمه وتدريسه لطلبته تجارة رابحة، ينبغي الحرص عليها، وهي كذلك حقا، وبذلك كان يوصي الطلبة في حلقات الدرس حتى يعرفوا قيمة العلم ولا يجهلوا هدفهم الأكبر الذي هو نشر ذلك العلم بعد نجاحهم وتفرقهم"[1].

عرف الشيخ -رحمه الله-بين طلبته وراده بصدق الإخلاص في العمل والركون إلى التستر والخفاء في ذلك، إنه لم يكن يحبذ الظهور في المجامع وأمام الأضواء الكاشفة في زمن تغلب فيه حب الظهور على النفوس، ولم يكن يتكلف تنميق الكلام وتصفح العبارات في الدروس والمحاضرات، بل كان يدرس على سليقته من غير تكلف، كان همه الأكبر وشغله الشاغل كيف يوصل المعلومة كاملة لمريدها.

وكان يردد كثيرا في دروسه لطلبته قول شيخه ومربيه الشيخ سيدي أحمد ديدي: " في الظهور قصم الظهور"، وفي ذلك ترغيب وحث لطلبة العلم على الالتزام بالصدق والإخلاص لله رب العالمين في طلبهم للعلم، وفي حال توليهم مهام الدعوة والتعليم لدين الله[2].

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 99.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 100.

مجالس الشيخ سيدي محمد بلكبير العلمية:

عرف الشيخ سيدي محمد بن لكبير –رحمه الله-بنشاطه العلمي واستمرارية دروسه، وتنوع حلقاته، فكان له في غالب أحواله مجلسان: مجلس لعامة الناس، ومجلس يخص طلبة العلم.

- **المجلس الأول:** يخصص لعامة الناس من جميع مستوياتهم الثقافية والعلمية ويعقد بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء يتناول فيه الشيخ ما يحتاجه أفراد المجتمع في حياتهم من العلم الضروري، من علم العقائد وفقه العبادات والمعاملات المالية، والأحوال الشخصية، وعلم السلوك وتزكية النفوس (علم مبادئ التصوف)[1].

"أما شهر ربيع الأول فيخصصه الشيخ لدراسة السيرة النبوية، فيقوم بدراسة قصيدتي البردة والهمزية للإمام البصيري مع قراءة بعض قصائد مديح الرسول صلى الله عليه وسلم كالقصائد الوترية في مدح خير البرية وغيرها، وهو عمل قد جرى به العرف في إقليم توات منذ قرون، احتفاء وابتهاجا بمولد الرسول الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التسليم"[2].

- **المجلس الثاني:** يخصص الشيخ هذا المجلس لطلبة العلم المتفرغين له من كل الشواغل، يبدأ الشيخ الدرس في غالب الأحوال ضحوة، وتارة بعد شروق الشمس وأداء صلاة الضحى إلى ما بعد منتصف النهار يوميا ما عدا أيام العطل[3].

- **مميزات الدرس التعليمي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير:**

ويتبين ذلك من خلال:

1- **الجمع بين الحفظ والفهم:** "وذلك بحفظ أمهات المتون ثم شرحها وتحليل مفرداتها ومركباتها وبيان معانيها"[4].

---

[1]- ينظر: المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير،ص: 101 –بتصرف-.

[2]- المرجع نفسه، ص: 101.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص:105.

[4]- المرجع نفسه، : ص:105.

2- **الانتقال بالطالب من السهل إلى الأسهل:** حيث كان الشيخ يراعي مستوى المتلقين، فيتدرج معهم في تبسيط المعلومة وشرحها بطريقة تسهل استيعابها وفهمها[1].

3- **التأصيل للمسائل الفقهية:** "كان الشيخ –رحمه الله-في دروسه يربط المسائل الفقهية بأدلتها ويرد الفروع إلى أصولها، حتى يتمكن طالب العلم من معرفة أدلة مذهبه، والمذهب الذي كان يدرّس في حلقات الشيخ هو المذهب المالكي، إذ هو مذهب أهل توات، بل هو مذهب أكثر أهل المغرب العربي"[2].

4- **التوسط والاعتدال:** قد نهج الشيخ في تدريسه وتقريره لأحكام الدين نهج التوسط والاعتدال، وكان يتباعد عن التشدد والتضييق، لأن شريعة الإسلام جاءت بالسماحة واليسر، قال تعالى: **وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج...**[3]، وقال عليه الصلاة والسلام: "يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا"[4].

5- **الاتباع والتمسك بالنصوص الشرعية:** كان منهج الشيخ متسما بتقديم ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وما فهمه منها سلف الأمة، على الآراء والقياسات متجنبا للبدع والمستجدات، ويتجلى في دروسه محبة الرسول صلى الله عليه وسلم وآل بيته، وتعظيم العلماء الربانيين، وبيان فضل السابقين[5].

6- **مزج دروس الفقه بمسحة تربوية:** كان الشيخ على جانب كبير من التربية والسلوك وصدق الالتجاء إلى الله فكان ذلك يظهر في دروسه وتوجيهاته لطلبته، فكان ينبه في دروسه الفقهية إلى ضرورة العمل بالعلم، والإخلاص لله في مختلف الأعمال

---

[1]– ينظر: المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، ص: 109.

[2]– المرجع نفسه، ص: 109-110.

[3]– سورة الحج: 78.

[4]– أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، حديث رقم: 3038، 65/4.

[5]– ينظر: المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، ص: 112.

مستشهدا بقول الله تعالى: ...**ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم**[1]، أي اتقوا الله بالعمل بما تعلمون، يعلمكم ما لا تعلمون.[2]

7- **تجنب الحيل والشبهات:** لقد نهج الشيخ في دروسه وتعامله في التحذير من تتبع الحيل والشبهات والأخذ بالأحوط في الدين والإفتاء بالمشهور من أقوال العلماء، فكان كثيرا ما يذكر بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "الحلال بين والحرام بين وبينهما مشتبهات"[3]، وقوله: "دع ما يريبك إلى مالا يريبك"[4]، وكان كثير الترداد لقول الناظم[5]:

وذو احتياط في أمور الدين من فر من شك إلى يقين.[6]

8- **الإعادة والتكرار:** كان الشيخ –رحمه الله-يسعى لتثبيت وترسيخ المعلومة في ذهن السامع خصوصا مع طلبة العلم، فكان يكرر الكلمة وبعض العبارات الشارحة والمؤكدة لها، ويزيدها إيضاحا وبيانا ما يورده من النصوص الشرعية؛ القرآن والسنة وأقوال السلف حولها، ثم يورد في موضوع الدرس مختلف نصوص المتون الفقهية الواردة في ذلك من: متن ابن عاشر، ومتن العبقري، ورسالة ابن أبي زيد، ومختصر خليل، وغير ذلك.

9- **النكت والملح:** قد عرف الشيخ سيدي محمد بلكبير –رحمه الله-بين الناس بوجه بشوش وثغر مبتسم، وكان يلقح مجالس دروسه بالنكت والملح، حتى يبعث النشاط في

---

[1]- سورة البقرة: 282.

[2]- ينظر: المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، ص: 113.

[3]- ينظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم: 52، 20/1.وينظر: صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، حديث رقم: 1599، 1219/3.

[4]- ينظر: السنن الكبرى للنسائي، تحقيق: ش/ حسن عبد المنعم شلبي، ط:01، 1421هـ-2001م، مؤسسة الرسالة-بيروت-لبنان، باب الحث على ترك الشبهات، حديث رقم: 52011، 117/5.

[5]- ينظر: المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، ص: 114.

[6]- ينظر: المرجع نفسه، ص:115. والبيت للشيخ سيدي أحمد المقري من منظومة (إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة)، مراجعة وتعليق: أبو الفضل عبد الله بن محمد الصديق الغماري، دار الفكر، بيروت-لبنان، ص:15.

نفوس الطلبة ويصقل القلوب مما عراها من الوهن والفتور[1]، وقد كانت النكت والطرائف والملح تضفي على مجلس الدرس نوعا من الراحة والنشاط[2].

التدرج في التدريس في حلقات الشيخ سيدي محمد بلكبير:

اتبع الشيخ محمد بلكبير منهج التدرج في التدريس لطلبته مراعيا في ذلك قدرات الطالب وملكات الحفظ عنده، وأول ما يبدأ في ذلك هو حفظ المتون وشرحها في الفقه واللغة وغيرها على ثلاثة مراحل:

1- **المرحلة الابتدائية:** يدرّس فيها الطلبة متونا من صنوف العلوم في الضروري من علوم الدين، يسمى فرض العين، مثل نظم ابن عاشر، وشروحه ومختصر الشيخ الأخضري وشرحه، وأساسيات في علم النحو من الأجرومية وشروحها.

2- **المرحلة المتوسطة:** يدرّس الطلاب فيها متونا من أمهات العلوم مثل أسهل المسالك في مذهب الإمام مالك وشرحه، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني مع شروحها، وفي اللغة العربية قطر الندى وبل الصدى، وملحة الإعراب مع شروحها.

3- **المرحلة النهائية:** تعتبر المرحلة النهائية بمثابة المرحلة الجامعية وما بعدها في التعليم النظامي المعاصر، يدرّس فيها طلبة العلم مختصر خليل وشروحه، وفي اللغة العربية يدرسون ألفية ابن مالك ولامية الأفعال مع شروحها ويدرس طلبة المرحلة النهائية علم الحديث رواية وذلك بدراسة صحيح الإمام البخاري في شهر رمضان مع بعض شروحه[3].

- وقد كان للشيخ -رحمه الله-درس في تفسير القرآن الكريم لطلبة المرحلة النهائية بين صلاتي الظهر والعصر بعد قراءة الحزب الراتب، انتهى فيه إلى قول الله تعالى: **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين**[4].

- وكان له دروس في السيرة النبوية خصوصا في شهر المولد النبوي الشريف بين المغرب والعشاء[5].

---

[1]*-ينظر: المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، ص: 115.

[2]- ينظر: المرجع نفسه.ص116.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 119 بتصرف.

[4]- سورة العنكبوت: 69

[5]- ينظر: المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، ص: 120.

الكتب المعتمدة في التدريس:

اعتمد الشيخ –رحمه الله-على الكتب الآتية في التدريس:

1- **في العقائد:** لقد كان الشيخ سيدي محمد بلكبير-رحمه الله-يعتمد في دراسة علم العقائد على كتب معينة، اشتهر مؤلفوها بالمكانة العلمية والصلاح في الدين، واتباع ما جاء في القرآن والسنة المطهرة وهي[1]:

1. **المرشد المعين على الضروري من علوم الدين:** المعروف بمتن ابن عاشر للشيخ عبد الواحد بن عاشر.
2. **رسالة ابن أبي زيد القيرواني:** للعلامة الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت: 386هـ/996م)[2].
3. **جوهرة التوحيد:** للشيخ ابراهيم اللقاني (ت: 1004هـ/ 1631م)[3].

2- **في الفقه:**

1. **المرشد المعين على الضروري من علوم الدين وبعض شروحه.**
2. **مختصر العبادات:** للإمام الأخضري (ت: 982هـ/1574م).
3. **العبقري في نظم سهو الأخضري:** للشيخ محمد بن أبي الزموري.
4. **أسهل المسالك لنظم ترغيب المريد للسالك:** محمد بشار.
5. **الرسالة لأبي زيد القيرواني:** (ت: 386هـ/ 996م).
6. **مختصر خليل:** للعلامة خليل بن إسحاق الجندي (ت: 776هـ/ 1374م).

3- **في اللغة العربية:**

من متون اللغة العربية التي كانت تدرس عند الشيخ بن الكبير –رحمه الله-:

1. **متن الأجرومية:** للشيخ محمد بن آجروم الصنهاجي (ت: 723هـ/ 1323م).
2. **ملحة الإعراب:** للإمام الحريري (ت: 516هـ/ 1122م).
3. **ألفية بن مالك:** للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك (ت: 672هـ/ 1273م).

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 131.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 133.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 134.

4. **لامية الأفعال:** للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك (ت: 672هـ/ 1273م)

4- **في التفسير:**

وقد كان الشيخ سيدي محمد بن لكبير –رحمه الله-ذا اهتمام كبير بتفسير القرآن الكريم وتبسيط فهم معانيه لطلبته... كما كان حريصا أشد الحرص على تتبع التفسير بالمأثور.

ومن الكتب التي يتخذها الشيخ –رحمه الله-أساسا ومرجعا لتفسير القرآن الكريم هي:

1. **الجامع لأحكام القرآن:** للإمام القرطبي (ت: 671هـ/1272م).
2. **تفسير القرآن العظيم:** للإمام ابن كثير: (ت:774هـ/ 1372م).
3. **روح البيان في تفسير القرآن:** لإسماعيل حقي الإستانبولي (ت: 1127هـ/ 1715م).

5 **الحديث:**

"مكانة الحديث في العلوم الشرعية كان الشيخ سيدي محمد بن لكبير –رحمه الله- يخصص له شهر رمضان لدراسته خاصة دون غيره، وأقصد علم الحديث رواية، أما علم الحديث دراية فلم يكن الشيخ يدرّسه اتباعا لما كان سائدا عند شيوخ المدرسة التواتية"[1]، وكان يعتمد في تدريس علم الحديث رواية على **صحيح البخاري:** للإمام أبي عبد الله البخاري (ت:256هـ/869م) خاصة.

6 **السيرة النبوية:**

كان الشيخ يحرص على تدريسها لطلابه، خصوصا في شهر المولد الشريف؛ فهو وقت اعتاد المشايخ فيه على دراسة السيرة النبوية والشمائل المحمدية[2] وكان يعتمد في تدريسه السيرة النبوية على الكتب الآتية:

1. **سيرة ابن هشام:** لأبي محمد بن هشام (ت: 213هـ/828م).
2. **قصيدة الهمزية في مدح خير البرية:** للإمام البوصيري (ت: 695هـ/ 1295م).
3. **قصيدة البردة:** للإمام البوصيري.

---

[1]- المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، ص: 170.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 174-175.

أصالته

ومذهبه

ومنهجه

الفكري

عوامل نجاح الشيخ محمد بلكبير وجهوده في الحفاظ على المرجعية الدينية الجزائرية

أحمد عوماري

(طالب دكتوراه)

جامعة الأمير عبد القادر/ قسنطينة

أ.د. /وسيلة شريبط

(أستاذة مشرفة)

مقدمة

يقول الله سبحانه: " وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ "(سورة يوسف الآية:120)

كان ولا يزال لدراسة ما يتعلق بالعلماء والمصلحين الدور المهم في صلاح الحال والمآل، فالعلماء ورثة للأنبياء في علمهم، وصورة مصغرة عن سيرتهم وأحوالهم، فقد هيأهم الله لإصلاح الناس ونفعهم، فجعلهم في مرتبة وسط، فهم من جهة لهم ارتباط بالأنبياء علما وسلوكا، ومن جهة أخرى لهم ارتباط بالناس معايشة وتوجيها، هذا ولن تتأتى الاستفادة منهم، إلا بدراسة سيرتهم الذاتية، ومسيرتهم الإصلاحية، بغية تجلية ما ينير القلوب بالنور علما، ويلهم المشاعر في الحق حبا، ويبعث الجوارح بالعمل بالهدى قولا وفعلا.

ثم إن من العلماء من لهم أثر كبير في الرفوف لكن منهم من لم يكتبوا سطرا واحدا لكنهم أثروا في الألوف، والكل ميسر لما خلق له، أولئك كتبوا عشرات الكتب وعديد المؤلفات.

وهؤلاء أوقدوا عشرات المشرح وأرسوها تنير السبيل للناس، ومن هؤلاء: **المصلح المربي الفقيه الشيخ سيدي محمد بلكبير-رحمة الله عليه-.**

والمتأمل في الجوانب المهمة والمفيدة في دراسة ما يتعلق بالعلماء المصلحين؛ يقف على جانبين هما من أجدر ما ينبغي أن يدرس في ذلك: أحدهما متعلق بالأسباب والوسائل، والآخر متعلق بالثمرات والنتائج، فالجانب الأول، يتمثل في البحث عن السر- والسبب في أن بلوغ هذا العالم المصلح ما بلغ، والجانب الآخر يبحث في تجلية بعض أهم ما توصل إليه من نتائج وما تحقق على يديه من غايات، فاخترنا موضوعا لهذا البحث يمس هذين الجانبين، فكان عنوانه كالآتي:

عوامل نجاح الشيخ محمد بلكبير وجهوده في الحفاظ على المرجعية الدينية الجزائرية

وبما أن عوامل النجاح لا يمكن الإتيان عليها كلها فهي مختلفة ومتعددة، وبعضها ظاهر بعضها باطن ومنها المادية ومنها المعنوية بما أن الأمر كذلك فإن المقصود هو دراسة بعضها أو جلها، من نظر الباحث على الأقل، أما المرجعية الدينية فنعني بها ما يشمل الدين بشكل عام، وما يشمل المذاهب والمشارب التي تعتبر مرجعية للمواطن الجزائري بشكل خاص، لأن هذين الجانبين من الأهمية بمكان في وحدة البلد وتماسك وتعاون أفراده واتحاد وقوة جماته، خاصة وأن الشيخ محمد بن الكبير بدأ عمله في وقت كان الاحتلال الفرنسي عمل ما عمل ولم يزل، في طمس الهوية الجزائرية بصفة عامة وإضعافها. لذلك وجد الشيخ صعوبات قبل الاستقلال من الاحتلال، وبعد الاستقلال من مخلفات وأتباع الاحتلال.

لذلك سيبين البحث العوامل التي جعلت الشيخ يتجاوز كل تلك العوائق، ليصبح قوة مانعة من مرور مشاريع الاحتلال وأهدافه؛ في ضرب المرجعية الدينية للجزائريين ومحو الهوية الإسلامية من حياتهم.

وبما أن موضوع البحث شخصية معاصرة، -توفي:1421هـ/2000م-فإن من أهم المصادر والمراجع المقابلات الشفوية وبعض الشهادات بما في ذلك بعض شهادات الباحث نفسه، إضافة إلى المراجع والمصادر المطبوعة.

وقد تمت دراسة الموضوع من خلال مبحثين:

- أولها في عوامل نجاح جهود الشيخ سيدي محمد بلكبير، وتحته مطلبان: المطلب الأول في العوامل الذاتية، والمطلب الثاني في العوامل الخارجية.

- أما آخرها فيتناول جهود الشيخ بلكبير في الحفاظ على المرجعية الدينية الوطنية، أيضا يشتمل على مطلبين: أولها في الجهود التي تستهدف المتخصصين في العلم والدراسة، وثانيها في الجهود التي تستهدف عامة الناس.

المبحث الأول: عوامل نجاح جهود الشيخ سيدي محمد بلكبير

يتواجد العديد من الشيوخ والأعلام في الفقه وعلوم الدين، ممن ينشطون عبر عشرات المدارس القرآنية والزوايا العلمية في إقليم توات[1] وعبر التراب الوطني عموما،[2] لكن لم يقدر لتلك المدارس والزوايا ما قدر من النجاح لمدرسة وزاوية الشيخ محمد بلكبير خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين، والقرن العشرين الميلادي على وجه الخصوص.

---

[1] – إقليم توات تاريخيا هو عبارة عن منطقة تتألف من ثلاثة مناطق: معظمها يقع في ولاية أدرار: منطقة قورارة (تنركوك وتيميمون وما حولهما)، منطقة توات الوسطى (المدينة أدرار وما حولها من الدوائر)، ومنطقة تيدكيلت (أولف، وعين صالح من ولاية تنمراست). الفوات من تاريخ توات وصحارى الجهات، عبد الله حمادي الإدريسي، دار الكتاب الملكي/وزارة الثقافة، الجزائر، ط01 1434هـ/2013م، ج01 ص22.

[2] مصطلح المدرسة يطلق في أصل عرف المنطقة على المنشئة العلمية التي تضم طلبة داخليين وتدرسهم علوم الدين' ثم أضيف لها التعليم القرآني فيما بعد، كما تقوم أيضا بعمل الضيافة والإطعام على وجه التبعية، وتعرف هذه بالمدارس الداخلية، أما مصطلح الزاوية فيطلق على المنشئة الخيرية التي تقوم بعمل الضيافة والإطعام بشكل أساس، وأصبح يطلق على المدرسة العلمية لفظ مدرسة وزاوية، إشارة إلى مهمة الإطعام والإيواء التي تطلع بها كذلك. انظر في تفصيل ذلك: الزوايا الصوفية بتوات ودورها في محاربة الاستعمار الفرنسي 1899-1962م، حليمة نشاش ومريم عدو، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية/جامعة أدرار. 1434هـ 2013م، ص06.

والسؤال الطبيعي الذي يطرح هنا يتعلق بالأسباب التي ساعدت على أن يبلغ الشيخ بلكبير بمدرسته ذلكم النجاح الكبير؟

لا شك أن عوامل عديدة ومختلفة كان لها دور في ذلك، يتم تسليط الضوء على أبرزها من خلال هذا المبحث. وبالنظر في هذه العوامل تم تقسيمها إلى قسمين: عوامل ذاتية وعوامل خارجية.

- العوامل الذاتية لنجاح الشيخ محمد بلكبير
- العوامل الخارجية لنجاح الشيخ محمد بلكبير

المطلب الأول: العوامل الذاتية لنجاح الشيخ محمد بن الكبير

يقصد بالعوامل الذاتية تلك المتعلقة بذات الشخص محل الدراسة وبشخصيته، سواء أكانت من الخصائص والمؤهلات الفطرية، أو من الأعمال والمساعي الكسبية. ومن تلك العوامل الذاتية ما يلي:

- تكوينه العلمي والسلوكي.
- عمله الجاد واجتهاده المتواصل.
- رقيه في حسن التعامل مع الآخرين.

الفرع الأول: تكوينه العلمي والسلوكي

لقد درس الشيخ محمد بلكبير العلم منذ صباه، فتمكن في علوم العقيدة على مذهب الإمام الحسن الأشعري، كما درس الفقه على مذهب الإمام مالك. وساعده في ذلك نشأته في بيت علم حيث كانت بداية مسيرته العلمية على يد عمه الذي كان معلما وإماما[1]، وقد نبغ في

---

[1] -حاضرة توات المالكية أعلامها-نوازلها-خصائصها/ رسالة ماجستير، زهير قزان، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية أدرار، 2011/2010م، ص 102.

الفقه والدين حتى صار يطلق عليه الشيخ والفقيه، بحيث ينصرف إليه هذين المصطلحين عند الإطلاق.[1]

أما دراسته في جانب التكوين والتصوف، فإن التعليم الشرعي في المدارس التواتية لا ينفك عن دراسة السلوك والتصوف، بل وتعنى به عناية كبرى، وأن أغلب أمهات الكتب التي تدرس بها تشتمل على هذه العلوم الثلاث: العقيدة، والفقه، والآداب والتصوف، مثل كتاب الرسالة لابن أبي زيد، (ت)، والمرشد المعيد لابن عاشر (ت).[2] كما أن رحلته لتلمسان وأخذه للطريقة الموساوية دور في تكوينه السلوكي،[3] وقد عرف الشيخ ابن الكبير بمكانته السلوكية، فقد كانت قمة في الزهد، والكرم، والتسامح، والمحبة، ملازما للذكر والأوراد وتلاوة القرآن أورثه كل ذلك صدق وإخلاص، ظهرت ثمراتها جلية للعيان فيما بعد.[4]

---

[1] – المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير/ أطروحة دكتوراه، عبد الحق بكراوي، كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة، 2017/2016م، ص54.

[2] – مداخلة: المرشد المعين لابن عاشر وأثره في التكوين الفقهي بمدرسة توات المالكية، د محمد دباغ جامعة أدرار، بحوث الملتقى الوطني الأول للشيخ سيدي محمد بن الكبير تحت عنوان: الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا وتدريسا 1431هـ/2010م. مطبوعة سلسلة الملتقيات، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الحكمة للنشر والتوزيع، ص209.

[3] – المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، المرجع السابق، ص58.

[4] – قطف الزهرات من أخبار علماء توات، الشيخ العالم سيدي عبد العزيز سيد عمر، مؤسس المدرسة الداخلية المهدية ببلدية تيمي ضواحي المدينة أدرار؛ طبع سنة 2002، بدون ذكر الطباعة؛ وانظر مناقب الشيخ بن الكبير وجهوده في نشر المذهب المالكي، للشيخ العالم سالم بن ابراهيم صاحب مدرسة وزاوية بمدينة أدرار وعضو المجلس الإسلامي الأعلى (ت 1440هـ 2019م) مطبوعة الملتقى الوطني الأول للشيخ سيدي محمد بن الكبير، المرجع السابق: ص238.

الفرع الثاني: عمله الجاد واجتهاده المتواصل

إن انقطاع الشيخ محمد بلكبير للتعليم والتربية والتدريس معروف لكافة الناس، فلم يكن يعرف الزيارات ولا الأسفار ولا غير ذلك إلا ما لابد منه، أما المناسبات المحلية فمنقطع عنها تماما إلا ما ندر. يصدق عليه أنه معتكف على الاشتغال بالتعليم، ولم يكن يشغله إلا ساعات يقضيها مع الضيوف وغالبا ما تكون في أوقات الوجبات.

ومن اجتهاده في التعليم أن أول نشاطه كان بناحية مشرية، ثم بعد ذلك أنشأ مدرسة وزاوية في منطقة تيدكيلت بمدينة تيميمون في أواخر النصف الأول من القرن العشرين (1364هـ/ 1943م)، وبمضايقة من الاحتلال الفرنسي أغلقت المدرسة سنة:1948 وعاد الشيخ إلى مسقط رأسه بمنطقة ببودة أدرار، لتتهيأ له الظروف وينشأ المدرسة الكبيرة في قلب المدينة بأدرار بدءا من سنة: 1370هـ/ 1950م[1] هذه المدرسة التي زاد عطاؤها، وارتفع استقبالها للطلبة، وأنشأ المؤطرون من داخلها عبر السنين، لتصل إلى أن تضم بداخلها عدة أقسام، كل قسم منها يدرس القرآن ومبادئ العلوم الشرعية، من فقه وعقيدة وآداب.[2]

---

[1] – الشيخ محمد بن الكبير ودوره الثقافي والاجتماعي في منطقة توات خلال القرن العشرين (مذكرة ماستر)، محمد شاهدي، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية/جامعة العقيد أحمد دراية أدرار، 1433هـ 2012م؛ بعنوان: الشيخ بن الكبير الرجل القرآني، للشيخ الفقيه عبد الكريم مخلوفي، مداخلة ضمن أعمال الندوة الثامنة لذكرى وفاة العلامة الشيخ سيدي الحاج محمد بن الكبير رحمه الله 1432هـ2011م.

[2] – الشيخ محمد بن الكبير ودوره الثقافي والاجتماعي في منطقة توات خلال القرن العشرين، محمد شاهدي، المرجع السابق: ص38-حياة الشيخ محمد بن الكبير، د أحمد أبا الصافي جعفري، مقال منشور بمجلة النخلة: مجلة ثقافية تصدرها مجموعة القروط بأدرار، العدد الأول مارس2006، ص18.

الفرع الثالث: رقيه في حسن التعامل مع الآخرين

يتمتع الشيخ محمد بلكبير بمستوى عال جدا من حسن التعامل مع الغير، كيفما كان ذلك الغير، كبير أو صغير، وجيه أو حقير' فله إشراقات وجه ساحرة، وابتسامات آسرة، الابتسامة لا تكاد تفارق وجهه، في حالته الطبيعية وعندما كان صحيحا.[1]

ومواقفه الدالة على سماحته، وسعة جوده، ولين جانبه، ومحبته للناس؛ ثابتة ومتواترة، وأيضا رحمته بطلبته وإحسانه لهم وصبره عليهم، كما يشهد بذلك الشيخ سالم بن إبراهيم رحمه الله، أقدم ملازميه وأحد أجل وأعلم طلبته[2]، إذ يقول أحد الشيوخ من طلبته الذين كتبوا عنه: "أخلاق الشيخ محمد بلكبير وأحواله وأوصافه ومعارفه، لا يفي بها قلم ولا يجمعها ورق وهي من الشهرة كمنار على علم"[3]

هذه الأخلاق شدت الناس إلى محبته وحضور مجلسه، وهذا كاتب آخر ممن أخذ عنه يبين ذلك بقوله:"كان رحمه الله لطيف الصورة جميلها، حلو الشمائل، رخيم النغمة، يمتاز بالتفتح والبساطة وعدم الإنطوائية والتعقل، وقد كان دمث الأخلاق سمح الطبع موزون الحركات والنغمات، لذيذ المفاكهة، يحضر مجلسه المئات من الناس".[4]

---

[1] – أغلب الصور المنتشرة اليوم التقطت في آخر عمره حالة مرضه، لذلك لا تظهر فيها طلاقته وطلعته المعهودة.

[2] – مناقب الشيخ ابن الكبير وجهوده في نشر المذهب المالكي، الشيخ سالم بن إبراهيم: بحوث الملتقى الوطني الأول للشيخ سيدي محمد بن الكبير، المرجع السابق، ص240.

[3] – الضوء المستنير في التعريف بالشيخ سيدي محمد بن الكبير، الشيخ مولاي التهامي غيتاوي، مؤسس مدرسة وزاوية مالك بن أنس بضواحي مدينة أدرار وعضو المجلس الإسلامي الأعلى (ت سنة 1436هـ1915م) المؤسسة الوطنية للاتصال وللنشر والإشهار ANEP، ط01، بدون تاريخ الطبع.

[4] – شيخنا الإمام سيدي محمد بن الكبير رحمه الله كما عرفته، محمد الطاهر بن التواتي، دار الطبع ابن خلدون/تلمسان، ط 01/بدون تاريخ الطبع، ص83.

المطلب الثاني: العوامل الخارجية لنجاح جهود الشيخ محمد بلكبير

العوامل الخارجية هي التي ليست لها علاقة مباشرة بشخصية الشيخ، إنما هي مستقلة عنه أو لها علاقة؛ لكنها غير مباشرة كما هو الشأن بالنسبة للعوامل الذاتية، ومن تلك العوامل:

- موقع مدرسة الشيخ وإقامته.
- استقلاليته عن أي تبعية.
- نبوغ جملة من الطلبة المتعلمين.
- مساهمات ومواقف بعض المتطوعين المحسنين.

الفرع الأول: موقع مدرسة الشيخ وإقامته

من أسباب نجاح جهود الشيخ المختلفة: التعليمية والاجتماعية؛ تواجده بمركز المدينة وعاصمة الولاية أدرار، فهذا سهل على طلبة العلم الالتحاق بالمدرسة من شتى الأنحاء، بحيث وصل عدد الطلبة المقيمين بها للدراسة خلال الثمانينيات والتسعينيات عددا لم تبلغه سواها من المدارس والزوايا من قبل أو من بعد (أكثر من ألف طالب).[1]

أيضا موقعها ساعد في اتصال عوام الناس بالمدرسة وشيخها، والسؤال عن أمور الدين والدنيا، والحضور لمجالس الذكر والعلم على خلاف المدارس المنتشرة هنا وهناك، فكان لا يؤمها الناس إلا في مناسبات معينة وفي القضايا الكبرى[2]، بما في ذلك المدرسة التي تخرج

---

[1] - وصل عدد الطلبة في مطلع التسعينيات إلى (1200) طالبا باتفاق كل من لهم علاقة بالمدرسة، وفي تلك الفترة كنا نزور المدرسة ونرى العدد الكبير للطلبة، فنسأل أصدقاءنا ممن يدرسون بها عدد الطلبة فيخبروننا بذلك العدد. وحدثني أحدهم قائلا: نحن نتغدى ونتعشى بما يقارب أو يزيد على مئة وسبعة عشر ماعونا (مجموعات للأكل تتألف المجموعة من عشرة أفراد) غير الطلبة القائمين على الضيوف والزوار.

[2] - مقابلة مع مجموعة من أعيان المنطقة القاطنين بضواحي المدينة أدرار: أحمد بن الشيخ تاجر وأمين المال لصندوق الزكاة بولاية أدرار/محمد بن الحاج فلاح ومحب ومتابع

منبا الشيخ محمد بن الكبير نفسه، والواقعة ببادية تمطيط، على يد مؤسسها العلامة سيدي أحمد ديدي البكري، والذي كان أول من أنشأ نظام الإقامة الداخلية والإطعام بالمدرسة بالمنطقة على حساب شيخ المدرسة هذا النظام أخذ به الشيخ بلكبير فيما بعد، ومن ثم سائر المدارس والزوايا بالمنطقة بعد ذلك.[1]

الفرع الثاني: استقلالية الشيخ ومدرسته

من العوامل كذلك على نجاح جهود الشيخ بلكبير، أنه لم يكن تابعا لأي جهة: رسمية أو غير رسمية، وإنما ولاؤه كله كان لنشر العلم والإرشاد، وقد كان حريصا على تلك الاستقلالية، فقد رفض قبول مسؤولية وإدارة المعهد الإسلامي للتعليم الأصلي في أوائل الستينيات من القرن الماضي.[2]

ولذلك كان النظام عقب الاستقلال بدءا من سنة 1962 قلقا من هذه القلعة العلمية الصافية المستقلة، فجاء مشروع إنشاء المعهد الإسلامي المذكور هذا كمنافسة ومزاحمة لمدرسة الشيخ وزاويته.[3]

لمجالس الشيخ مدة عشرين سنة/ سالم بن الشيخ من أعيان المنطقة 17 أوت 2018م.

[1] - مقابلة مع عبد الرحمن بكراوي حفيد الشيخ سيدي أحمد ديدي المذكور: أستاذ وباحث أكاديمي وصاحب خزانة مخطوطات، ومدير الشؤون الدينية والأوقاف حاليا بولاية أدرار، تاريخ المقابلة 17 رمضان1440هـ الموافق 22 ماي 2019م.

[2] - مقابلة مع محمد برماتي، أحد أعيان مدينة أدرار والملازمين للشيخ ابن الكبير، وهو أحد خريجي أول مدرسة متفرعة عن مدرسة الشيخ ابن الكبير في نهاية الخمسينيات، واصل الدراسات الرسمية وتقلد عدة وظائف وانتهى به المطاف مديرا لثانوية المغيلي بمدينة أدرار (2004/1985م) حين أحيل على التقاعد. تاريخ المقابلة 21رمضان1440هـ 26ماي2019م.

[3] - صرح أحد محافظي الحزب الحاكم آنذاك أنه لم يبق من تحد للحزب إلا مدرسة الشيخ بن الكبير، حسب شهادة السيد: أحمد بكراوي أحد رجال المحافظة في تلك الفترة.

وهذا النهج هو عليه سائر المدارس والزوايا بالمنطقة' حيث ظل الكثير منهم يأبى حتى التهيكل في إطار جمعية دينية أو اعتماد زاوية، إلا أن هذا الموقف تراجع في عهد الرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة، والذي أولى عناية خاصة بالزوايا والمدارس القرآنية.

ومن مظاهر استقلالية نشاطه العلمي أنه حتى في ظل وجود الاحتلال الفرنسي-كان يدرس باب الجهاد، لكن مع غلق باب المدرسة حسب شهادة طلبته آنذاك.[1]

الفرع الثالث: نبوغ جملة من المتعلمين من طلبته

روي عن الشافعي رحمه الله قال: "كان الليث بن سعد أفقه من مالك إلا أنه ضيعه أصحابه."[2]

فالطلبة لهم دور فعال في نجاح جهود وعلم ومنهج العالم والمصلح، وهذا ما هيأه الله للشيخ بلكبير رحمه الله.

ومن أبرز المظاهر لذلك أن الشيخ في حياته شهد العديد من طلبته العلماء؛ وقد أنشأوا مدارس وزوايا ناجحة، وتصدروا لمهمة التدريس والفتوى داخل القطر التواتي وعبر سائر التراب الوطني.[1]

نقلا عن عبد الرحمن بكراوي، المرجع السابق، لكن هذا كان قبل أن يتعرف محافظو الحزب على شخصية الشيخ ابن الكبير، لأنه بعد ما غمرهم (كأشخاص) بكرمه وحلمه أصبحوا من زواره ومحبيه، حسب ذات المصدر.

[1] – منهم الشيخ الفقيه عبد القادر بكراوي، الذي درس عليه الباحث وأقام في مدرسته وزاويته مابين سنوات: (1996/1989)، حيث كان يحدثنا بذلك خلال مجالس التدريس، هذا الشيخ تتلمذ على الشيخ ابن الكبير مابين سنوات (1961/1951م). انظر مسيرة الشيخ سيدي الحاج عبد القادر بن سيدي الحاج أحمد (ديدي) البكراوي نوموناس(1931-2008)، د عبد المجيد طيبي/أستاذ بجامعة أدرار، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الطلابي الأول لطلبة الشيخ سيدي الحاج عبد القادر بكراوي بنوموناس/ تمنطيط،1436هـ/2015م.

[2] – سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، دار الحديث-القاهرة 1427هـ-2006م، ج07 ص216.

ومن مظاهر ذلك أيضا أن الشيخ كان حينما يأتيه متنازعون من أقاربه أو ممن ينحرج في الفصل بينهم، يحيلهم على أحد طلبته، وهو الشيخ سيدي عبد القادر بكراوي، ابن الفقيه والقاضي سيدي أحمد، حيث كانت له دراية وموهبة بشؤون الحكم والقضاء، وكان صاحب مدرسة وزاوية بقصر نوموناس من بلدية تمنطيط.[2]

وذلك كله أدى إلى انتشار ووحدة منهج التدريس عبر أغلب مدارس وزايا المنطقة من جهة[3]، ومن جهة أخرى أدى ذلك إلى انتشار العلم والتفقه في الدين، وإلى تراجع الخرافات والانحرافات الفقهية والعقدية، من خلال التوعية عبر المساجد التي يؤطر أغلبها طلبته أو طلبة طلبته.

الفرع الرابع: مساهمات ومواقف بعض المتطوعين المحسنين

أنشأ الشيخ بلكبير مدرسته وزاويته في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، حيث طلب منه أعيان مدينة تيمي، أدرار حاليا القيام بمهمة الإمامة والتعليم القرآني، فلبى طلبهم وذلك في حدود سنة 1371هـ/ 1950م.

---

[1] – على غرار مدرسة الشيخ حسن بمنطقة أبجزمير أدرار، ومدرسة الشيخ عبد الكريم الدباغي ببرقان جنوب أدرار، ومدرسة الشيخ الحاج محمد الدباغي شمال أدرار وغيرها.

[2] – في مطلع التسعينيات من القرن الماضي كنا ندرس عند الشيخ سيدي عبد القادر بكراوي هذا، وأحيانا يقطع مجلس الدرس بسبب الفصل في نزاع مستعجل بين أشخاص مبعوثين من طرف شيخه محمد بن الكبير. انظر: أعلام لها بصماتها في التعليم القرآني والحفاظ على المرجعية الدينية، مطبوعة من قبل مديرية الشؤون الدينية والأوقاف بولاية أدرار بمناسبة الذكرى الأربعينية للولاية، (ماي2014م)، ص26.

[3] – تأسيس الشيخ ابن الكبير رحمه الله لمنهجية التدريس للفقه في المدارس القرآنية والمساجد ومراعاته في ذلك للفروق الفردية والقدرات الشخصية/ مداخلة، لخضر بن قومار إمام أستاذ، الندوة الفكرية الثامنة لذكرى وفاة الشيخ الحاج محمد بن الكبير رحمه الله تحت عنوان: جهود الشيخ بن الكبير ومدرسته في ترسيخ المذهب المالكي وتثبيته، 2010 دار الثقافة أدرار.

وكان لابد لتنشئة المدرسة من المقومات الأساسية اللازمة لطلبتها والضيوف الذين يفدون عليها من غذاء ونحوه، فهيأ الله له بعض المتطوعين من ذوي اليسار من سكان المنطقة، وعلى رأسهم الرجل المحسن السيد: الحاج أحمد كابوية -رحمه الله-، والذي يشهد له طلبة الجيل الأول بأن المدرسة قامت بفضل الله ثم بمواقفه التطوعية بعد ذلك، إلى درجة أنه أوقف دخل بستان له على طلبة الشيخ ومدرسته، في وقت كان البستان هو المصدر الأساس للحاجيات المعاشية، فكان يطعم الطلبة، ويكسوهم كل عام كسوة العيد، وكان يتكفل بالضيوف الوافدين على الشيخ، إلى غير ذلك من مواقفه رحمه الله تعالى.[1]

المبحث الثاني: دور الشيخ محمد بلكبير في الحفاظ على الهوية الدينية للمجتمع الجزائري

إن المتتبع لجهود الشيخ بلكبير ومسيرته العطائية لمدة ما يزيد على النصف قرن من الزمن، يدرك دور ذلك في الحفاظ على الهويةٌ الإسلامية بصفة عامة، والمرجعية الدينية والمذهبية بصفة خاصة.

فقد بدأ الشيخ نشاطه في ظروف كان الاحتلال الفرنسي يعمل على طمس الهوية الإسلامية من ناحية، وكان الجهل بالفقه والدين منتشر في العديد من مناحي الحياة من ناحية أخرى، فالتبادلات الربوية كانت منتشرة، مثل تبادل التمر الجيد بالرديئ متفاضلا، والطعام بالطعام إلى أجل، وفي الرضاع كلما بكى طفل بحضور امرأة أخرى أرضعته دون علم ما يترتب على ذلك، ناهيك عن التعلق غير المشروع بأضرحة الموتى، وتقديم القرابين لهم في بعض المناطق.[2]

---

[1] – الرحلة العلية إلى منطقة توات، لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، الشيخ محمد باي بلعام، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع/ الجزائر ج 02، ص381.

[2] – شهادة الشيخ الفقيه عبد القادر بكراوي، درس عليه الباحث وأقام في مدرسته وزاويته مابين سنوات: (1989/1996).

ورغم وجود بعض الفقهاء هنا وهناك. لكن لم يكن لهم من النشاط والانفتاح على الناس ما كان للشيخ ابن الكبير، كما ساعده على ذلك تواجده بمقر المدينة أدرار كما تقدم، فهو فبالإضافة إلى فتح باب مدرسته لكل طالب عالم أو قاصد مأرب، فقد كان منفتحا على العامة والمجتمع، متواصلا معهم بالتعليم والتوجيه، كما سيتبين ذلك من خلال ما يأتي:

إذن ينقسم نشاط الشيخ بلكبير اتجاه إرساء الهوية الإسلامية والمرجعية المذهبية إلى قسمين:

- نشاط يستهدف المتخصصين والمتفرغين للعلم والدراسة.
- نشاط يستهدف عامة الناس.

المطلب الأول: نشاط الشيخ في الحفاظ على الهوية الدينية المستهدف للمتخصصين

استهداف المتخصصين في طلب العلم من قبل نشاط الشيخ محمد بن الكبير هو عمله الطبيعي ووظيفته الأساسية، والتي من أجلها أنشأ مدرسته العلمية، لكن الذي سنبينه هنا هو دور وأثر ذلك في إرساء الهوية الإسلامية والحفاظ على المرجعية الدينية من خلال الفروع الآتية:

- المنهجية المتمسكة بثوابت الشريعة، ومذاهب من مذاهب أهل السنة والجماعة.
- الدارسون المتخصصون من المشايخ الذين أنشئوا مدارس وزوايا.
- الدارسون المتخصصون الناشطون في مجال الإمامة والخطابة والتوجيه الديني.
- الدارسون المتخصصون الذين أطروا التعليم التربوي في أول ظهوره بالمنطقة.
- الدارسون المتخصصون الناشطون في مختلف مناحي الحياة.

الفرع الأول: المنهجية المتمسكة بثوابت الشريعة، ومذاهب أهل السنة والجماعة

منهجية الشيخ بلكبير في التدريس والفتوى كانت وظلت وفية لحقائق الدين وثوابت الشريعة، ولم يعرف عنه تأثر بظرف سياسي أو ضغط اجتماعي [1] بل كان يمتنع عن الفتوى إذا كانت في مجال لا يعرفه، وكان يبتعد عن الفصل في النزاعات قدر الإمكان، إذ غالبا أن النزاع يتطلب اطلاع واقعي، أو حتى تحقيق ميداني، والشيخ ابن الكبير كان منقطعا للتدريس.[2]

وأيضا التزامه بمذاهب معينة من مذاهب أهل السنة والجماعة في التدريس والفتوى: مذهب الإمام مالك في الفقه، من خلال أمهات المتون كل من متن الرسالة ومتن خليل وابن عاشر وشروحهم، وغيرهم، ومذهب الإمام أبي الحسن الأشعري في العقيدة، من خلال متون كل من جوهرة التوحيد للقاني، والسنوسية للسنوسي ومقدمة ابن عاشر في العقيدة وغيرهم.[3]

تمسكه بهذه المرتكزات برزت بشكل كبير في طلبته وأتباعه ومحبيه إلى حد التعصب أحيانا، برفض ما قد يستجد من الفتاوى التي تستدعي النوازل الشرعية فيها الخروج عن المذهب المالكي.

---

[1] – منهجية الشيخ ابن الكبير في الفتوى: د عبد الحق بكراوي، مداخلة من أعمال الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا وتدريسا، مطبوعة الملتقى، المرجع السابق.

[2] – مقابلة مع السيد محمد برماتي. المرجع السابق.

[3] – دور علماء توات في نشر المذهب المالكي وترسيخه بالجزائر، الشيخ مولاي عبد الله الطاهري/شيخ المدرسة الداخلية بمنطقة سالي أدرار. مداخلة من أعمال الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا وتدريسا، مطبوعة الملتقى ص166 المرجع السابق.

الفرع الثاني: الدارسون المتخصصون من الشيوخ الذين أنشئوا مدارس وزوايا

تخرج على يد الشيخ بلكبير عدد معتبر ممن بلغوا درجة متقدمة في العلم والفقه والدين، أغلبهم أنشئوا مدارس وزوايا، بعضهم فعل ذلك بإيعاز من الشيخ نفسه، وبعضهم من تلقاء نفسه، وبعضهم باقتراح من بعض الأعيان.[1]

هؤلاء ساروا على نفس المنهج في التكوين والتوجيه، والحفاظ على هوية الوطن ومرجعيته في الفقه والدين، وفي تكوين الطلبة المتمدرسين، كما أن لهم ما للشيخ ابن الكبير من الانفتاح على المجتمع بالتوجيه والإرشاد والولاء، طبعا مع الفارق الطبيعي في الحجم والقوة، بل إن من انفتاح هؤلاء على المجتمع أن العديد من مجتمعاتهم لا يقيمون حفلا أو مناسبة إلا في مدارسهم وبالتنسيق معهم، وهذا ما هو متعذر بالنسبة لمدرسة الشيخ وزاويته؛ نظرا لاتساعها وحجم الطلبة والضيوف الحالين بها.

الفرع الثالث: الدارسون المتخصصون الناشطون في مجال الإمامة والخطابة

يوجد اليوم في المنطقة ما يقارب الألف ونصف الألف عامل رسمي في مجال الإمامة والتعليم القرآني، كما أن أغلب القائمين على مهام الإمامة على المستوى الوطني هم من المنطقة، وكل الدارسين للقرآن وعلوم الدين بالمنطقة هم من خريجي المدارس والزوايا، وحوالي سبعين بالمائة من الزوايا الموجودة بالمنطقة هي من ثمرات جهود الشيخ محمد بن الكبير-رحمه الله- وقد قدر عدد المتخرجين من مدرسة الشيخ بن الكبير مباشرة بحوالي عشرين ألفا، منذ بدايتها في منتصف القرن العشرين إلى نهاية القرن.[2]

---

[1] – أوصلها الكاتب الشيخ مولاي تهامي غيتاوي إلى أربعة عشر مدرسة داخل ولاية أدرار، إضافة إلى عدد آخر منها عبر مختلف التراب الوطني. انظر في ذلك: شيخنا الإمام سيدي محمد بن الكبير رحمه الله كما عرفته، ص138.

[2] – الشيخ محمد بن الكبير ودوره الثقافي والاجتماعي في منطقة توات خلال القرن العشرين، محمد شاهدي.ص40. المرجع السابق.

لكل أولئك الأئمة والمعلمين والمرشدين يسيرون على المنهج المتقدم ذكره في التوجيه والإرشاد والتعليم، ولا يخفى حجم الفئات المستهدفة من قبلهم.

الفرع الرابع: الدارسون المتخصصون الذين أطروا التعليم التربوي في بدايته

حينما دخلت التلفيشية الابتدائية في نظام التعليم التربوي في المنطقة سنة:1964م لم يوجد من يؤطرها سوى طلائع ممن خريجي مدرسة الشيخ بلكبير -رحمه الله- ومن في حكمهم، فكان منهم المعلمون والمدراء والمراقبون إلى غير ذلك، كما كان لهم دور كبير في تكوين المدرسين وتربيتهم على الأخلاق والتعاليم الإسلامية، فكان منهم من يؤدي الصلاة مع التلاميذ أثناء فترة الاستراحة[1]، وبعض المؤسسات التي فيها النظام الداخلي كان بعض المراقبين من خريجي المدارس والزوايا يقومون بمهمة التعليم القرآني خارج أوقات الدراسة،[2] لأن السائد في المنطقة أن الأولاد لابد أن يدرسوا القرآن في صغرهم مهما كانت الظروف والأحوال، على غرار ما هو سائد أيضا في العديد من مناطق الوطن والعالم الإسلامي، ويعتقد عامة الناس أن تعليم القرآن للنشء هو حصن لهم، كما أنه يرفع البلاء والمحن عن المجتمع برمته، مستشهدين بعبارة رسالة بن أبي زيد -رحمه الله-: "**وأن تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله**"[3]، وبعض مدراء المؤسسات التعليمية منهم كانوا يتشددون في الستر والحجاب وعدم السماح بسلوكيات مناقضة للحياء والعفاف داخل مؤسسة الدراسة.[4]

---

[1] – ممن عاينهم الباحث في ذلك المرحوم الوالد، والذي درس عند الشيخ ابن الكبير في الخمسينيات وعمل بقطاع التعليم التربوي مابين (1964/2000م).

[2] – ممن شهدهم الباحث من هؤلاء السيد المرحوم: الحاج صالح بكراوي، من أبناء المدارس والزوايا الأوائل الذين أطروا التعليم التربوي في بداياته (1964/2000) انتهت به مسيرة الوظائف إلى مراقب بمتوسطة مسقط رأس الباحث بلدية قنوغيل، إلى أن أحيل على التقاعد في السنة المذكورة، توفي سنة:2012م.

[3] – الرسالة: العلامة عبد الله بن أبي زيد القيرواني(ت386هـ)، مكتبة رحاب الجزائر، ص07. بدون تاريخ وترقيم الطبع.

[4] – مقابلة مع أحد هؤلاء: وهو السيد: محمد برماتي: مدير ثانوية سابق. المرجع السابق.

الفرع الخامس: الدارسون المتخصصون الناشطون في مختلف مناحي الحياة

إن العديد ممن درسوا على الشيخ بلكبير دراسة متخصصة لم يتجهوا لمجال الإمامة والدعوة والتعليم كوظيفة، ولكن أكثرهم عرفوا بالتوجه للتجارة، وبعضهم للمقاولة وبعضهم للفلاحة، وبعضهم اتجه نحو الدراسات العليا، إلى غير ذلك في وقت كانت الوظائف متاحة لهم، ولكنهم قاصدون لأن يسترزقوا من غير تعليمهم للدين، خاصة وأن منهجية الشيخ متشبعة بالجانب الصوفي، حيث كان يحث أن يُتعلم العلم ابتغاء وجه الله، لا لأي غرض آخر من أغراض الدنيا.[1]

هؤلاء من تكوينهم وثباتهم لم يتوجهوا نحو القروض البنكية من أجل بعث التجارة والاستثمار إلا من شذ منهم، رغم وجود من نادى بإباحة ذلك في المنطقة.[2]

والجدير بالذكر أن من هذا القسم من طلبته من التحق بالجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، مثل الحاج بوفلجة رحمان، من قرية عريان الرأس بدائرة تسابيت، وكان هذا المجاهد ممن قادوا الثورة بمنطقة البيض واستشهد بها، ولا تزال أسرته تقطن هناك إلى اليوم رحمه الله تعالى وجميع الشهداء.[3]

---

[1] – هذه الشريحة من طلبة الشيخ لا يزال العديد منهم إلى اليوم وفي مختلف جهات الوطن. انظر: شيخنا الإمام سيدي محمد بن الكبير رحمه الله كما عرفته، محمد الطاهر بن التواتي، المرجع السابق، ص136.

[2] – من أفتى بذلك هو شيخ واحد من شيوخ المنطقة، اسمه الشيخ مولاي الحاج، قائم على مدرسة أسسها الشيخ سيد الحبيب رحمه الله، أعلن فتواه هذه في ندوة رسمية بمقر نفس المدرسة الداخلية المذكورة وحضرها الإعلام سنة 2007، حضرها الباحث شخصيا، أثارت الفتوى ضجة كبيرة وردود فعل قوية من مختلف شيوخ المنطقة.

[3] – مقابلة مع بكري بكراوي، إطار أكاديمي مهتم، وصاحب خزانة مخطوطات بمنطقة تنشيت أدرار، 22رمضان 1440هـ 27ماي 2019م.

المطلب الثاني: نشاط الشيخ في الحفاظ على الهوية الدينية المستهدف لغير المتخصصين

إضافة إلى نشاط الشيخ العلمي والتكويني للمتعلمين المتخصصين، فقد كان له أيضا نشاط علمي دعوي، واحتواء اجتماعي واسع اتجاه مختلف شرائح المجتمع: من السكان المحليين، والضيوف الوافدين، وأصحاب الحاجات المعنوية والمادية.

ونجمل هذه الأنشطة في الفرعين الآتيين:

- الدروس اليومية الموجهة لعموم الناس.

- استقبال الضيوف والزوار وذوي الحاجات.

الفرع الأول: الدروس اليومية الموجهة للعوام

من أهم الأعمال التي دأب عليها الشيخ بلكبير، والتي لها دور كبير في ربط الناس بتعاليم دينهم، في مرجعيتها السنية وهويتها الوطنية؛ تلك المجالس والدروس الليلية (بين المغرب والعشاء) والتي كان يحضرها أعداد كبيرة من الناس؛ بدافع سمو أخلاق الشيخ ومحبة الناس له، وبسبب أسلوبه السهل السلس وما يعلوه من صدق وإخلاص.

هذه الدروس يتم فيها تدريس المبادئ والأساسيات لعلوم الدين الثلاث: عقيدة وفقها وسلوكا، وأهم ما يدرس فيها: هو شرح نظم متن ابن عاشر، والذي كل العوام بالمنطقة يحفظون جزءا مهما منه على الأقل ومنهم من يحفظه كله، وهو يشتمل على مبادئ هذه العلوم الثلاث: العقيدة والفقه والسلوك، فقد جاء في مقدمته قوله:

(وبعد فالعون من الله المجيد *** في نظم أبيات للأمي تفيد)

(في عقد الأشعري وفقه مالك *** وفي طريقة الجنيد السالك)

وجاء في خاتمته:

(ذا القدر نظما لا يفي بالغاية *** وفي الذي ذكرته كفاية).[1]

---

[1] - شيخنا الإمام كما عرفته سيدي محمد بن الكبير رحمه الله: محمد الطاهر بن التواتي، دار الطبع ابن خلدون/تلمسان، ط 01/بدون تاريخ الطبع.ص76/70.

والعوام بالمنطقة تحذهم يحفظون العديد من المسائل الفقهية والمذهبية، إلى درجة أن بعضهم يجادل الأئمة في المساجد إذا ما سمع مسألة مخالفة لما علمه وسمعه من الشيخ، واشتهرت عندهم عبارة: (من فم الشيخ كذا وكذا) وأورثتهم شيئا من التعصب، بزعم أن ما كان من فم الشيخ لا يناقش.

الفرع الثاني: إكرام الضيوف والزوار وذوي الحاجات

إن الإحسان وحسن الخلق، من أهم وسائل الدعوة لأي دين أو مبدأ، خاصة الكرم وبذل الخلق، والشيخ بلكبير إنما استمال الناس للدين وللتمسك بمرجعيته، بكرمه، وبرقي خلقه وبحسن تواصله مع الغير، حتى أن أحد الغربيين من الفرنسيين واسمه (ماكس)، والذي ظل يسكن في مدينة أدرار بعد الاستقلال دون أن يسلم قال: "ليس في أدرار مسلم غير الشيخ محمد بن الكبير" وذلك إثر احتياجات مهمة له لم يجد من ساعده فيها غير الشيخ، لأن سائر الناس كانوا يرونه كافرا وغير ذلك.[1]

والحقيقة أن كرم الشيخ بلكبير وحسن خلقه بلغ من الشهرة والتواتر ما يصدق عليه المثل العربي: "نار على علم" فما علم عليه أنه رد قاصدا دون عطاء، ولا أنه عَدَّ كمْ أعطى لطالب إعانة[2] وعلم عنه الصبر على ضعاف العقول وعلى المجانين، وشبه هؤلاء.[3]

---

[1] – حاجته أنه كان مربيا للخيول، وأبطأ عليه مرة دخل مالي معين من فرنسا واحتاج إلى علف الخيول بمبلغ معتبر، فقصد الشيخ ابن الكبير في ذلك فأعطاه له، وحينما أعاده له قال له الشيخ: أنا لم أقرضه لك من البداية وإنما منحته إياه. مقابلة مع السيد محمد برماتي، المرجع السابق، والواقعة مشتهرة.

[2] – كنا ونحن أحداث نمازح بعضنا عند مناقشة الأمنيات والأغراض، فيقول الواحد منا: أفكر أن أذهب إلى الشيخ حتى أحقق غرضي.وذلك لما اشتهر من أن كرم الشيخ وسعة عطائه.

[3] – إن بسبب هذه الأخلاق الحسنة من الشيخ ابن الكبير فقد تعلق به العوام كثيرا، وكانوا يتناقلون عنه كرامات الكثير منها لا يصح، إلا أن المتواتر عنه هو أن له فراسة يقرأ بها ما في يدور في خاطر الشخص قبل أن يتفوه مع أن بعضها لا مانع من صحته.

إن الباحث في حياة وجهود الشيخ محمد بلكبير -رحمه الله- يجد نفسه أمام شخصية متعددة العطاء، شخصية كأنما عاشت أعمارا إضافة إلى أيامها تلك الأيام التي وقفها كلها على البذل والعطاء. ومن غريب أمر ابن الكبير أنه جمع بين عطاء العلم والإرشاد الذي هو الأساس، وعطاء المال والإطعام والإيواء وبذل المعروف، إضافة إلى عطاء ثالث، وهو عطاء بسطة الوجه وحسن الخلق.

تعرض البحث للعديد من عوامل نجاح الشيخ محمد بلكبير في مسيرته، لكن أهم تلك العوامل هي العوامل الذاتية الثلاث، لأن كل العوامل الأخرى تعتبر ثمرة لها ومتفرعة عنها: عامل التكوين المزدوج الذي جمع بين الجانب العلمي وملكة الدراية، وبين الجانب السلوكي وصدق النية وإخلاصها لله سبحانه، وعامل عظمة حسن التعامل ورقي التواصل والإحسان العريض، هذا العامل الذي ملك الشيخ به القلوب واستمال به النفوس، وعم الناس بمختلف أطيافهم، حتى الأجانب من غير المسلمين منهم. والعامل الثالث عامل الجد والاجتهاد في العمل، ذلك الاجتهاد الذي من مظاهره، شروع الشيخ في بدأ العطاء فعليا أولا في مشرية، ثم انطلاقة أخرى فعلية بصفة أكثر في تيميمون، وجاء الفتح المبين مع الانطلاقة الثالثة في مركز ولاية أدرار حيث كانت المدرسة والزاوية المباركة والرائدة بعون الله سبحانه.

تلك المدرسة المعطاءة، عمت أنوارها وامتدت إمداداتها، فتولدت منها مدارس تدر العلم هنا وهناك. وتخرج منها عشرات الآلاف، منهم قادة المنابر ومرشدو الأمة من أئمة وعلماء، وآخرون قادوا التعليم التربوي في أهم مراحله بالمنطقة، وآخرون قادوا الجهاد الفكري والميداني ضد الاحتلال الفرنسي. والكثير منهم تمركزوا في ميادين أخرى مختلفة، كل هؤلاء كانوا متشبعين بدين الإسلام في مرجعيته الوطنية فقها وعقيدة: مذهب الإمام مالك، ومذهب أبي الحسن الأشعري.

لقد كنا ونحن أحداث السن والعلم، نرى أن التمسك بمذاهب معينة هو من التعصب، ولعل البعض يرى أن الردة وحرية التدين هي من مظاهر الوعي والتقدم، لكننا أدركنا فيما

بعد أن في التمسك بذلك من دون تعصب، تحقيق لأعظم مقاصد الدين والدنيا، والذي هو الوحدة والتماسك، وغلق المنافذ عن المتربصين بالأمة وبالأوطان، إضافة إلا أن ترك مذهب سني لمذهب مثله لغير داع لا طائل من ورائه، فكلها مبنية على أسس صحيحة واجتهادات مؤصّلة.

لقد عُرف عن الشيخ بلكبير -رحمه الله-عدم نزوله إلى الناس ومخالطتهم في واقعهم، وربما انتقد لأجل ذلك والكمال لله -رغم أنه يستقبل ويأتيه كل أشكال المجتمع حتى النساء يقصدنه في أغراضهن -لكن المتيقن أنه لم يكن بدَل ذلك يخلد إلى الراحة، بل إلى طلبة العلم أولا، وإلى الذكر ثانيا، وإلى مجالسة الناس كضيوف وزوار وقاصدين دينا أو دنيا ثالثا. مع العلم أن منطقة توات بها من العادات والمناسبات والمبالغات في بعض الجوانب، ما يهدر الأوقات وتضيع معه الكثير من الواجبات لمن انصاغ لها، خاصة مع الشخصيات المعروفة مثل الشيخ محمد ابن الكبير.

وأخيرا يوصي البحث بالتواصل الإيجابي، والتبادل النافع – بطريقة أو بأخرى -بين مثل هذه القلاع المعرفية، المتمثلة في المدارس والزوايا الرائدة، وبين الجامعات والمنشآت الأكاديمية، ففي المدارس والزوايا العلمية توجد إيجابيات قد تكون الجامعات في حاجة إليها، مثل التمسك الكبير بالمرجعية الدينية، ومثل أدب العلم وسلوك طالب العلم، من تواضع وإخلاص في الطلب إلى غير ذلك، وفي الجامعات توجد دقة البحث والعلم، وطرق التدريس المحكمة، والانفتاح على الواقع وغير ذلك مما المدارس والزوايا العلمية في أمس الحاجة إليه.

والحمد لله رب العالمين.

مصادر ومراجع البحث

أولا: القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

ثانيا: الكتب والمجلات

- أعلام لها بصماتها في التعليم القرآني والحفاظ على المرجعية الدينية، مطبوعة من قبل مديرية الشؤون الدينية والأوقاف بولاية أدرار بمناسبة الذكرى الأربعينية لولاية أدرار (ماي2014م).

- حاضرة توات المالكية أعلامها-نوازلها-خصائصها/ رسالة ماجستير، زهير قزان، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية أدرار، 2011/2010م.

- حياة الشيخ محمد بلكبير، د أحمد أبا الصافي جعفري، مقال منشور بمجلة النخلة: مجلة ثقافية تصدرها مجموعة القروط بأدرار، العدد الأول مارس2006.

- دور علماء توات في نشر المذهب المالكي وترسيخه بالجزائر، الشيخ مولاي عبد الله الطاهري، مطبوعة بحوث الملتقى الوطني الأول للشيخ سيدي محمد بن الكبير تحت عنوان: الفقه المالكي في بلاد توات اجتهادا وتدريسا 1431هـ/2010م. مطبوعة سلسلة الملتقيات، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الحكمة للنشر والتوزيع.

- الرحلة العلية إلى منطقة توات، لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، الشيخ محمد باي بلعام، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع/ الجزائر.

- الرسالة، العلامة عبد الله بن أبي زيد القيرواني(ت386هـ)، مكتبة رحاب الجزائر، بدون تاريخ وترقيم الطبع.

- الزوايا الصوفية بتوات ودورها في محاربة الاستعمار الفرنسي 1899-1962م، (رسالة ماستر)، حليمة نشاش ومريم عدو، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية/جامعة أدرار. 1434هـ 2013م.

- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، دار الحديث، القاهرة 1427هـ-2006م.

- الشيخ محمد بن الكبير ودوره الثقافي والاجتماعي في منطقة توات خلال القرن العشرين (مذكرة ماستر)، محمد شاهدي، كلية العلوم الاجتماعية والإسلامية/جامعة العقيد أحمد دراية أدرار، 1433هـ 2012م.

- شيخنا الإمام سيدي محمد بلكبير رحمه الله كما عرفته، محمد الطاهر بن التواتي، دار الطبع ابن خلدون/تلمسان، ط 01/بدون تاريخ الطبع.

- الضوء المستنير في التعريف بالشيخ سيدي محمد بلكبير، الشيخ مولاي التهامي غيتاوي، مؤسس مدرسة وزاوية مالك بن أنس بضواحي مدينة أدرار وعضو المجلس الإسلامي الأعلى (ت سنة 1436هـ 2015م) المؤسسة الوطنية للاتصال وللنشر وال إشهارANEP، ط01، بدون تاريخ الطبع.

- الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات، عبد الله حمادي الإدريسي، دار الكتاب الملكي/وزارة الثقافة، الجزائر، ط01 1434هـ/2013م.

- قطف الزهرات من أخبار علماء توات، الشيخ العالم سيدي عبد العزيز سيد عمر، مؤسس المدرسة الداخلية المهدية ببلدية تيمي ضواحي المدينة أدرار؛ طبع سنة 2002، بدون ذكر الطباعة.

- المرشد المعين لابن عاشر وأثره في التكوين الفقهي بمدرسة توات المالكية، د محمد دباغ جامعة أدرار، بحوث الملتقى الوطني الأول للشيخ سيدي محمد بن الكبير 1431هـ/2010م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الحكمة للنشر والتوزيع.

- مناقب الشيخ بلكبير وجهوده في نشر المذهب المالكي، للشيخ العالم سالم بن ابراهيم بحوث الملتقى الوطني الأول للشيخ سيدي محمد بن الكبير 1431هـ/2010م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار الحكمة للنشر والتوزيع.

- المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بلكبير / أطروحة دكتوراه، عبد الحق بكراوي، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، 2017/2016م.

ثالثا: الندوات والمقابلات

- تأسيس الشيخ بلكبير رحمه الله لمنهجية التدريس للفقه في المدارس القرآنية والمساجد ومراعاته في ذلك للفروق الفردية والقدرات الشخصية/ مداخلة، لخضر بن قومار إمام أستاذ، الندوة الفكرية الثامنة لذكرى وفاة الشيخ الحاج محمد بلكبير رحمه الله تحت عنوان: جهود الشيخ بن الكبير ومدرسته في ترسيخ المذهب المالكي وتثبيته، 2010 دار الثقافة أدرار.

- الشيخ بلكبير الرجل القرآني، الشيخ الفقيه عبد الكريم مخلوفي، الندوة الثامنة لذكرى وفاة العلامة الشيخ سيدي الحاج محمد بن الكبير رحمه الله 1432هـ2011م.

- مسيرة الشيخ سيدي الحاج عبد القادر بن سيدي الحاج أحمد(ديدي) البكراوي نومناس(1931-2008)، د عبد المجيد طيبي/أستاذ بجامعة أدرار، مداخلة ضمن فعاليات الملتقى الطلابي الأول لطلبة الشيخ سيدي الحاج عبد القادر بكراوي بنومناس/ تمنطيط،1436هـ2015م.

- مقابلة مع بكري بكراوي، إطار أكاديمي مهتم، وصاحب خزانة مخطوطات بمنطقة تمنطيط أدرار، 22رمضان 1440هـ 27ماي2019.

- مقابلة مع عبد الرحمن بكراوي حفيد الشيخ سيدي أحمد ديدي، (الشيخ الأساس الذي أخذ عنه العلم الشيخ ابن الكبير): أستاذ وباحث أكاديمي وصاحب خزانة

مخطوطات، ومدير الشؤون الدينية والأوقاف حاليا بولاية أدرار، تاريخ المقابلة 17 رمضان1440هـ الموافق 22 ماي 2019م.

- مقابلة مع مجموعة من أعيان المنطقة القاطنين بضواحي المدينة أدرار: أحمد بن الشيخ تاجر وأمين المال لصندوق الزكاة بولاية أدرار/محمد بن الحاج فلاح ومحب ومتابع لمجالس الشيخ مدة عشرين سنة/ سالم بن الشيخ من المهتمين بالمنطقة أوت 2018م.

- مقابلة مع محمد برماتي، أحد أعيان مدينة أدرار والملازمين للشيخ ابن الكبير، وهو أحد خريجي أول مدرسة متفرعة عن مدرسة الشيخ بلكبير في نهاية الخمسينيات، واصل الدراسات الرسمية وتقلد عدة وظائف وانتهى به المطاف مديرا لثانوية المغيلي بمدينة أدرار (1985/2004م) حين أحيل على التقاعد، تاريخ المقابلة 21رمضان1440هـ 26ماي2019م.

إحدى القصائد التي قيلت في الشيخ محمد بلكبير في حياته، لأحد طلبته، وهو الشاعر ناصر نيف، نقلا من كتاب: شيخنا الإمام كما عرفته الشيخ سيدي محمد بلكبير، **محمد الطاهر بن التواتي.**

أشـــــاقك بدرٌ في الحوالك نيّرُ *** فهبّ لأنغـــــام القوافي تُحبّرُ
وهـــجـــــك أنباءٌ وذكرى دروسه *** عليـــــك له نُعمى وحقٌّ مقرّرُ
فبـــــدر بشكر ابن الكبير محمد *** إمامٌ سَـــــنيٌّ في البرايا مُوقّرُ
يؤرّقني ذكر مـــــن آدرار زائرٌ *** ومَن ذكر الأحباب ياشيخُ يَسهرُ
شـــددتُ رحالي نحو شمس زماننا *** أريد ضيـــــاء للعقول يُبصّرُ
وكانت ثـــوانٌ في القديم بعيدةٌ *** تُبلّغُها نُـــــوقٌ تَمَلُّ وتَضجَرُ
فُمـــت بحمد الله أدني مسافةٍ *** مطايا بُخار في الـــعراء تُسخَّرُ
يقلّ بـــــها ربٌّ تعاظم فيضُه *** فقد عَلَّم الإنسان ما ليس يَخطرُ
تـــبارَكتَ يا ربّ وجلّت مواهبٌ *** ونال الرّضى عبدٌ لفضلك يشكر
حمدتُ إلـــهي إذ قضى بلقائه *** فإني لمحـــظوظ وأمري مُيسّرُ
رعاك إله العـــــرش نور قلوبنا *** ودمـــتَ بأقوال حسان تذكّرُ
فأنت الذي بالقول تَشفي صدورنا *** وأنت الذي بالـــرمز فينا تؤثر
وأنت الذي نهج الـــرشاد هديتنا *** ولـــــولاك ما كنّا بذلك نشعر
فهديت بالـــرفق السديد نفوسَنا *** وعـــلمتنا في الخير كيف نفكر
دعوتَ إلى الدين الحنيفيّ بحكمة *** دعاء بصـــــير للورى لا يُنفّرُ
وأيقنـــت أن الله قد أنزل دينه *** بيسر وقد قال النبي لا تعسروا
فكـــنتَ طبيبا في العلاج مبرّزا *** يؤاسي بلـــطف للعليل يبشّرُ
لقد أفـــحَتْ دار لك بها مطلع *** فظلت على الأقطار تسمو وتفخر
لقد صفتْ في شام وبغداد بعدها *** وأبصرتُ اعلاما سني الدين تنشر
ولـــــكن بكم ظلّ الفؤاد معلّقا *** لسرٍّ بدا للعـــين كالشمس يظهر
ومهما نظمت الشعر فيك مرصّعا *** فإن بيـــاني عن مزاياك يقصر
ومتّعك الـــــرحمن جل جلاله *** بنجـــلكم المفضالِ والخير يكثر

جهود علماء توات في ترسيخ المذهب المالكي

-الشيخ بلكبير أنموذجا-

د. سعاد رباح

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة

مقدمة

قال -صلى الله عليه وسلم-: **يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**[1]، ولقد كان لمغربنا الأوسط الكبير، ثلة مباركة من هؤلاء العلماء العدول، أبدت عناية فائقة بمذهبه المالكي في جانبيه المعروفين وهما نقل آراء المذهب، وتخريج الفروع وما يستجد من النوازل على أصوله. ولقد أخفى ذكرهم كثرة انشغالهم بالتعليم والتدريس، وإيثارهم للزهد والخمول، ومن تلك الثلة علماء جنوبنا الجزائري وبالضبط في منطقة توات، التي زخرت بأعلام جهابذة، أفنوا أعمارهم في خدمة المذهب المالكي، قائمين عليه، متمسكين بمنهجه عاملين على ترسيخه تدريسا وتحريرا وتنظيرا، بل حتى نشره خارج رقعتهم الجغرافية أيضا، فكانت زواياهم ومدارسهم ولا تزال، قلعة من قلاع المذهب المالكي الحصينة، التي عصمته من كثير مما أصابه في أماكن أخرى من أراجيف الأفكار، ومنتحل المذاهب الهدامة. فكان حقهم علينا أن نحيي ذكرهم، ونعرّف بفكرهم ونبرز مآثرهم، ونميط اللثام عن جهودهم وآثارهم، عرفانا لهم بالفضل، ووفاء لبعض حقوقهم، وامتثالا لقولهم:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وفي ذلك يقول الإمام النووي:" وهذا من المطلوبات المهمات، والنفائس الجليلات التي ينبغي للفقيه

---

[1]- ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تح: مصطفى بن أحمد العلوي: المغرب منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 1967، ج1 ص28

والمتفقه معرفته، ويقبح جهلتها، فإن شيوخ الرجل آباؤه في الدين، ووصلة بينه وبين رب العالمين،

وكيف لا يقبح جهلُ الإنسان بالوصلة بينه وبين رب الأرباب، مع أنه مأمور بالدعاء لهم، وذكر

مآثرهم، والثناء عليهم، والشكر لهم؟"[1]

ومن أبرز علماء الأمة الإسلامية بأرض الجزائر وفي جنوبها على الخصوص وفي منطقة توات على

الأخص، الذين مثلوا المدرسة المالكية أروع تمثيل في القرن الرابع والخامس عشر الهجريين (14هـ و15هـ/ 20م و21م)، الشيخ سيدي محمد بلكبير، أحد أعلام الجزائر الذين ذاع صيتهم في سائر أرجاء الوطن وخارجه، ومع ذلك كان من المغمورين الذين تحقق الواجب في حقنا أن نكشف عنهم، ونميط اللثام عن جهودهم. فقد كان الشيخ العلامة الفقيه المالكي سيدي محمد بلكبير آية عصره وفريد زمانه، مفخرة الجزائر بل العرب قاطبة، هذا الرجل العصامي الذي تعلم وعلّم، وأتقن عدة علوم شرعية وأدبية ولكنه لم يؤلفها في الأوراق والسطور كما هو دأب العلماء، لأنه كان يؤلف ويصنع الرجال، ومما لاشك فيه أن تأليف الكتب قد يتقنه أي شخص، ولكن تأليف الرجال لا يقدر عليه إلا القليل، كما أسهم بحظ وافر في الحركة العلمية ببلاده، فقد كان مصدرا يرجع إليه في علوم شتى، لسعة إحاطته بها وهي الفقه وعلم القراءات والتفسير والحديث والنحو ومتن اللغة، وعلم التصوف. ورغم ذلك وبسبب عدم تأليفه في أي من هذه الفنون التي كان يدرسها، وكذا لكونه لم يحض بكتابة سيرته من معاصريه في حياته، بقي مغمورا إلى اليوم مغيبا في طيات النسيان.

أولا: حاضرة توات ودور علمائها في ترسيخ المذهب:

- التعريف بمنطقة توات:

كان في وطننا الجزائر مناطق كثيرة وحواضر شهدت ازدهارا في العلم وبرز فيها علماء حملوا لواء المذهب المالكي واجتهدوا ضمن أصوله، على غرار ما كان بالعاصمة وقسنطينة وبجاية وتلمسان ومازونة وغيرها من الحواضر العلمية ببلادنا.

---

[1] – النووي، التهذيب، بيروت، ط1 دار الفكر، 1996، ج1ص 29.

وقد كانت منطقة توات وهي ولاية أدرار حاليا، ولا تزال إحدى تلك المناطق التي شهدت في زمن من الأزمان انتعاشا علميا، وازدهارا فقهيا، مكنها أن تكون قلعة من قلاع المدرسة المالكية التي تنتشر جذورها في كل أصقاع العالم، وأن تكون في عصرنا رائدة في التعليم الديني، يشهد لها كثرة الوافدين
عليها من الطلاب من كل حدب وصوب، وذلك بفضل علمائها الذين رفعوا راية المذهب وحافظوا على أصالة المنطقة وانتمائها.

ويطلق اسم توات على مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية، التي تؤلف في مجموعها إقليما يقع في جهة الجنوب الغربي من خارطة الجزائر، ويحتل موقعا استراتيجيا حيث يعد محور اتصال مهم بين شمال الصحراء والساحل الإفريقي المعروف قديما ببلاد السودان، كما أنه نقطة عبور والتقاء بين البلدان الواقعة في غربه وشرقه. يحده من الشمال العرق الكبير ووادي مقيدن ووادي الساورة، وأما جنوبا فصحراء تنزروفت ووادي قاريت وجبال مويدرا، وأما شرقا فالعرق الشرقي الكبير وهضبة تدمايت
ووادي المايه، وأما غربا فعرق شاش وعرق الراوي تتخللها وادي الساورة وروافده[1].

ويرجع تاريخ عمارتها إلى ما قبل الإسلام، وكانت تسمى بالصحراء القبلية، ثم كثرت عمارتها بعد جفاف نهر قير خلال القرن 14ه[2]. ثم ومع نهاية القرن 13ه/19م وبداية القرن 14ه/20م استبدل اسم إقليم توات باسم أدرار التي تعني الجبل بلغة البربر، وذلك مع دخول الطلائع الأولى للاستدمار الفرنسي سنة 1318ه/1900م، وأهم قصورها: قصور بودة وقصور تيمي التي من جملتها قصر تنلان...وقصور تمنطيط، وقصور بوفادي أو أولاد

---

[1] – محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، مطبعة هومة، الجزائر، 2005، ج1ص08، وج2ص30، 45. فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين 18، 19الميلاديين، ض. ديوان المطبوعات الجامعية المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1977، ص03،01

[2] محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، مطبعة هومة، الجزائر، 2005، ج1ص09.

الحاج، وقصور تسفاوت أو فنوغيل، وقصور تامست، وقصور أنزجمير، وقصور سالي، وقصور زاوية كنتة أو أولاد سيدي حمو بلحاج، وقصور رقان[1].

- دور علماء توات في تقريب المذهب المالكي:

لقد كانت منطقة توات حاضرة علمية بقي صداها يدوي إلى العصر الحديث، زاد في تميزها توافد العلماء والصالحين عليها من مختلف الأنحاء، فأنشئوا المدارس والزوايا، وعلموا الناس أمور دينهم ودنياهم، ومن العلوم التي كانت تدرّس ولا زالت إلى اليوم، العلوم الشرعية علم القراءات المرتبط بحفظ القرآن الكريم، وعلم الفقه والأصول والحديث والعقيدة وعلم النحو، وغير ذلك، فأسهموا بذلك في تقريب المذهب للناس وترسيخ دعائمه في المجتمع، وصارت المنطقة قبلة لطلبة العلم الشرعي الأصيل إلى يوم الناس هذا، فهي حاضرة عامرة بمدارسها الدينية وزواياها العلمية، محافظة على أصالتها التعليمية متمسكة بالمذهب المالكي على نسق المدرسة المغاربية الكبرى.

ومن أهم الكتب التي كان يعتمد عليها علماء توات في تقريب المذهب المالكي للعامة والخاصة بتدريس فقهه وشرح أحكامه، من خلال استظهار المتون الفقهية وشروحها، متن ابن عاشر والأخضري، وكتاب الرسالة لابن أبي زيد القيرواني، ثم متن سيدي خليل، ومرجوزة ابن عاصم، وغيرها. فتتدرج حسب مستوى الطالب وسنه، إلى جانب الاعتماد على كتب الحديث كصحيح البخاري وموطأ مالك، وكذا كتب التفسير والعقيدة والتصوف، ومتون النحو كالألفية، وغير ذلك.

ولم يقتصر دور علماء توات فقط على التدريس وإنما انبروا لتأليف المدونات الفقهية البديعة التي تجلت فيه قدراتهم الفقهية، وتمكنهم من أصول المذهب ومنهجه الاستنباطي، وقد كانت قائمة المجتهدين الذين خدموا المذهب تأليفا بمنطقة توات، طويلة جدا، تبدأ على أقل تقدير في حدود القرن 9هـ، واستمرت بعد ذلك في القرون التي تلت، فنتقت لذلك سوق الكتب في توات وتميزت بظهور المكتبات والخزائن، الأمر الذي دفع بالعلماء للتنافس المحمود في البحث عن الجديد في التأليف، ومن أهم الخزائن والمكتبات في توات: **الخزانة**

---

[1] – محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية إلى منطقة توات، ج1ص20، وج2ص 296. مبارك الجعفري، العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، الجزائر، دار الصبيل، ط1، 2009، ص 31، 45.

البكرية بمنطيط، والخزانة البلبالية بكوسام وملوكة، وخزانة أبناء عبد الكبير بالمطارفة، وغيرها كثير[1].

وقد عرف المجتمع التواتي النوازل والمستجدات والوقائع النابعة من واقعه والتي تعرض علماء توات لحلها وأبدوا آراءهم فيها، شأنه شأن غيره من المجتمعات منذ أن عرف الإسلام موطنا له في القرن الأول الهجري، وبحكم بعده الإقليمي عن عواصم الحكم التي عرفتها المجتمعات العربية وغيرها مما يشمل شمال القارة الإفريقية، وكونه جغرافيا أيضا مركز التقاء القوافل المختلفة الأهداف دينية وتجارية

وثقافية واقتصادية منذ القديم إلى العصر الحاضر، كما كان مركز تفاعل للأفكار والثقافات، تركت

هذه العوامل كلها آثارها في ظهور نوازل جديدة عمت بها البلوى، إلى ما وراء حدوده من بلاد المغرب الأوسط والأقصى والأدنى، وبلاد السودان الغربي .وقد شهد إقليم توات هجرات متعددة لعلماء أجلاء وفدوا إليه من مختلف الحواضر العلمية خصوصا حاضرة فاس وتلمسان، ومن الأمثلة على ذلك، الشيخ مولاي سليمان بن علي في القرن السادس الهجري، والشيخ المغيلي في القرن التاسع الهجري ...الخ من العلماء الذين أخذوا على عاتقهم تيسير أصول وفروع المذهب المالكي تقريبا وترسيخا له، وخدمة للدين الحنيف، فنشطوا الدرس الفقهي بجانبيه النظري والتطبيقي ، ونظّموا لأهل الإقليم أمورهم المتعلقة بالقضاء والفتوى والاقتصاد والسياسة، وقضايا الزراعة والمعاملات الفقهية التي فرضها الواقع وفق ما يتناسب مع بيئتهم، ولو كانت على خلاف القاعدة أو المشهور في المذهب، ككراء الأرض بجزء مما يخرج منها، والنزاعات المتعلقة بالفقارة، وما يعرف محليا بالساقية وحريمها، وشراء الماجل من الماء بالطعام إلى أجل، وقضايا الأحباس، ومقاصدها، ونزاعاتها، وتحويلها أو بيعها، ومسائل البيوع وأشكالها كبيع البون، والحكم على ما ضيعه الخراص، وشؤون العبادات مما تعلق بالظروف الحاصلة أحيانا للفقراء من أهل توات، في

---

[1] – محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية، ص273 وما بعدها. عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات وأعلامها، الجزائر، عين مليلة، دار الهدى، ص 72. أحمد الصديق، التاريخ الثقافي لإقليم توات، من القرن 11هـ/17م إلى 14هـ/ 20م، أدرار، مديرية الثقافة، ص 20 وما بعدها.

تأخير أو تقديم أجزاء الواجب إخراجه من المحاصيل الزراعية في الزكاة ، و تحديد وجهة أموال من لا وارث له في ظل غياب بيت مال للمسلمين منتظم عموما، وقد دون واقع كل ذلك في نوازل الشيخ محمد عبد الكريم البلبالي في القرن 14/13هـ 20/19م ، ثم في الموسوعة النوازلية التواتية المعروفة ب"غنية السائل"، إلى غيرها من المسائل التي أحدثها الواقع التواتي، وسجلتها كتب النوازل للعلماء التواتيين[1].

ولا تقتصر اجتهادات فقهاء توات في إعطاء أجوبة وحلول لانشغالات المكلفين في مجالي العبادات والمعاملات، بل شملت أيضا الإجابة عن الانشغالات الفكرية كالقضايا العقدية مثل الأسئلة عن التوحيد، واللغوية والاصطلاحية والمنهجية كالسؤال عن قول الفقهاء تارة حواشي ابن رحال مثلا وتارة حاشيته، ومعنى قول المالكية في كتاب محمد، و...الخ.

إشكالات وقضايا تكشف للمطلع على هذا الواقع، أثر مجهودات علماء الحاضرة التواتية كغيرهم من علماء الحواضر الأخرى في الجزائر كبجاية وتلمسان وغيرهما، في إيجاد الحلول لمعضلاتهم وفق قواعد ومنهج المدرسة المالكية المغاربية التي تعد الحاضرة التواتية فرعا من فروعها، ولم تكن نوازل علماء توات مجرد نقل للفتوى، وإنما هي اجتهادات للإشكالات النوازلية التي يطرحها الواقع التواتي في نشاطه المتحرك، وفق ما يوافق مصالح المنطقة وحاجاتها، وحسب ما جرى به العمل فيها. والمطلع على كيفية معالجاتهم لهذه النوازل يجد جملا تترجم الأصول المؤسسة عليها، كلفظ العرف، وجريان العمل في توات، والمصلحة التي ظهر أثرها في فروعهم الكثيرة، ومعاملات فقهية ترتبط بأحكام الإجارة المعهودة وغير المعهودة في المذهب المالكي، ككراء الأرض بجزء مما يخرج منها، وتأخير أو تقديم الزكاة في الثمور التواتية على وقت الوجوب وهو بدو صلاحها بالاحمرار أو الاصفرار، مع العلم أن قطع الثمر التواتي في هذه المرحلة لا يأمن العاهة، ويصير حشفا لا ينتفع به إلا علفا، وكذا معاملة الخراصة والخماسة، وغيرها كثير من المسائل طرحها الواقع التواتي، مما ظهر في مختلف الأبواب الفقهية من عبادات ومعاملات مالية ومائية، وأحوال شخصية ...وغيرها، وهي نوازل استشكلت على علماء توات، واستطاعوا أن يجدوا لها أجوبة وحلول لما عمت به البلوى عندهم، ولكن دائما تحت الرداء المالكي، عن طريق التخريج على مسائل المذهب أصولا وفروعا، في قياس الفروع على الفروع في إطار الشبيه والنظير، والتأصيل

[1] - فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين، ص114.

على قاعدة العبرة في العقود بالمعاني لا بالألفاظ والمباني ، وتعارض الأصل والغالب، والعبرة في التحبيس ألفاظ المحبسين ومقاصدهم، ومن لا تجوز شهادته لا تجوز تزكيته ، ومن مات عن حق فلوارثه ...الخ . ومن أمثلة كتب النوازل التي نجد فيها تلك التأصيلات، نوازل **الشيخ عبد الكريم البلباني**(1155هـ)، وذلك باعتماد نص الكتاب تارة، أو نص السنة أخرى ، ودليل الإجماع والقياس ومختلف القواعد التي أخذ بها المالكية، كقاعدة ما جرى به العمل التواتي ، وقواعد رفع الحرج والضرر والعسر، وأصل المصلحة، وقاعدة دوران العلة مع المعلول، وقاعدة المعدوم حسا كالمعدوم شرعا، وقاعدة الأصل والغالب، واليقين لا يزول بالشك، إلى غير ذلك مما يظهر ونحن نتصفح كتب تلك الفتاوى والنوازل المالكية لعلماء توات الذين ذاع صيتهم وأصبحوا يشكلون مرجعية فقهية في هذا المجال[1].

ومن أمثلة تلك المدونات الفقهية المالكية أيضا، التي تبرز جهود علماء المنطقة في خدمة المذهب، ما احتفظت به الخزائن التواتية مثل: **كتاب ما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام، و مسألة يهود توات المشهورة، وشرح بيوع الآجال من كتاب ابن الحاجب وغيرها من المؤلفات، للشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني نزيل توات(ت909هـ)**الذي كان له الفضل في إدخال الطريقة القادرية في التصوف[2]، **والشيخ ميمون بن عمرو بن الباز(901هـ)** الذي يعتبر أول من أدخل مختصر خليل لمنطقة توات بعد نازلة مشهورة وقعت له مع فقهاء توات حول مسألة فقهية، فتطلب الأمر منه السفر للبحث عنها في فاس حيث وجد المسألة معروضة ومشروحة في مختصر خليل، فاشترى نسخة منه ورجع بها إلى علماء توات، كان له نوازل في العبادات والأحكام والعوائد الجارية

---

[1] – عبد الحميد البكري، النبذة في تاريخ توات، ص80. عبد الخالق قصباوي، أصول الاستنباط الفقهي في النوازل التواتية " فتاوى عبد الكريم البلباني أنموذجا" رسالة دكتوراه في الفقه والأصول، أدرار، 2016، ص15-16. زينب سالمي، احياة العلمية بإقليم توات خلال القرنين 8-10هـ، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، تلمسان، ص37- 42.

[2] – أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج: ج2ص264، وكفاية المحتاج ص455. محمد مخلوف: شجرة النور الزكية، ص274.

توات وقد توفي شرحه بعد ذلك في هذه المنطقة **الشيخ أحمد بن العالم** الزجلاوي(ت1212هـ)[2].

وكذا **رسالة في الاسترعاء[3] للشيخ الجنتوري (1160هـ)** من أعلام المنطقة الذي انبرى لتوضيح حقيقة الاسترعاء وشروطه عند المالكية، بعدما رأى كثرة خضوع أحكام القضاة له، وفزع العامة إليه في كل صغيرة وكبيرة، وقد تمحذ الشيخ فيها نصوص المالكية وفتاوى علمائهم، مخرجا الفروع من كلام الإمام مالك وغيره من علماء المذهب، معتمدا في ذلك مدونات المذهب كابن عرفة، ومختصر خليل والنوازل البرزلية والمازونية، والنقل أحيانا عن الزرقاني والنتاتي[4] كما اعتبر عدد من المصادر أن الشيخ الجنتوري المالكي كان أول من جمع نوازل تضم مجموعة من المسائل النازلة في أقاليم توات. ومن أمثلة ذلك: **كتاب تحلية القرطاس بالكلام على مسألة تضمين الخماس: للشيخ سيدي محمد بن أب بن أحمد، المعروف بأحميد بن عثمان الزموري(ت1157هـ)** الذي ألفها وفق منهج المالكية مستدلا بالقواعد الأصولية والمقاصدية المعمول بها في المذهب، معتمدا على نوازل المدرسة المالكية، كالمتيطية والعاصمية وشرح ميارة الفاسي عليها، وعن النفراوي وابن ناجي وغيرهم[5].

ثم تتالى نشاط علماء توات الذين زودوا العالم الإسلامي بتجربة فقهاء المنطقة وقضاتها، في ميدان التوفيق بين الفقه النظري وتطبيقاته في هذه المنطقة التي تميزت بخصوصياتها البيئية

---

[1] – محمد بن عبد الكريم البكراوي، درة الأقلام، ص30–32. عبد الحميد البكري، النبذة، ص140–141.

[2] – عبد الحميد البكري، النبذة، ص 93.

[3] – الاسترعاء عند المالكية هي مسألة في القضاء، وهي أن يشهد الإنسان سرا أن ما سيوقعه من بيع أو طلاق أو عتق غير ملزم له ويأتي بهذا الإشهاد إذا طولب بالالتزام بمحتواه، وإنما يفعل ذلك تقية خوفا من سلطان أو صاحب بطش...الخ

[4] – الرسالة توجد منها نسخة مخطوطة بخزانة أنزجمير بأدرار. عبد الرحمن قزان، إسهامات علماء توات في مجال النوازل الفقهية، مداخلة في الملتقى الوطني الخامس للمذهب المالكي بعنوان: فقه النوازل في الغرب الإسلامي، من تنظيم وزارة الشؤون الدينية والأوقاف وولاية عين الدفلى: 14–15–16 أفريل 2009، ص 182.

[5] – عبد الرحمن قزان: إسهامات علماء توات ص186.

والاجتماعية والتاريخية، فأفتوا في الفتاوى والأحكام التي صدرت عن الفقهاء والقضاة والتي تناولت قضايا ومشاكل كانت من صميم الحياة التواتية. ومن ذلك رسالة **للشيخ سيدي محمد بن الشيخ بن عبد الرحمن بن عمر التنيلاني(ت1233هـ)** وهي: **إفهام المقتبس بثبوت التحبيس بخط المحبس**[1]، وهي جواب لمسألة من حبس حبسا على أولاده بخطه وبقي بيده إلى أن مات، فاختلف ورثته في حبسه

وفي ثبوته بخط يده، فأفتى الشيخ بثبوت الحبس بخط المحبس، معتمدا فيها على نصوص علماء المذهب من قول مالك وأصحابه إلى المتأخرين كالزرقاني والبناني والتتائي، وغيرهم، تجلت فيها الملكة الفقهية المالكية لعلماء الجزائر عموما وتوات خصوصا، وقدرتهم على استنطاق النصوص والتخريج عليها وفق أصول المدرسة المالكية. وقد ظهرت بعض المدونات الفقهية التي ضمت فتاوى لعلماء المنطقة وقضاتها في مسائل وقضايا مختلفة في شتى الأبواب الفقهية، على رأسها أكبر مدونة فقهية نوازلية في أصول المذهب المالكي وفروعه، وهي مجموعة المسائل الفقهية المعروفة باسم"**غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من القضايا والمسائل**"، جمعت أكبر قدر من النوازل والفتاوى الفقهية التي حلّت بمنطقة توات، وتولى كبار العلماء والفقهاء التواتيين بالرد عليها، أمثال: **الشيخ عبد الرحمن بن باعومر(1189هـ)، والشيخ الزجلاوي، والشيخ سيدي الحاج البلبالي(1244هـ)**، وغيرهم، ومنهم **الشيخ محمد بن عبد الرحمن التنيلاني** في مجموعته النوازلية المسماة **الأجوبة التواتية**، احتوت على أجوبة جمعها المؤلف لعدد من فقهاء توات وخاصة المغمورين منهم **كالشيخ عبد السلام البلبالي**، وقد احتوت هذه الأجوبة من المراجعات الفقهية التي تدل على المستوى العلمي الفقهي الرفيع لفقهاء توات[2]، ومدى التزامهم بالمنهج النقدي للإمام مالك وأصحابه – رضي الله عنهم أجمعين- يمكن أن تعطينا صورة واضحة عن منهج وفلسفة الفقه النظري والتطبيقي في نظر الفقيه التواتي، وتمكننا من استخراج بعض اختيارات فقهاء المنطقة وفق ما جرى به العمل التواتي، مخالفين بذلك العمل الفاسي

---

[1]– والرسالة ما تزال مخطوطة توجد منها نسخة بخزانة الشيخ سيدي أحمد الشيخ بأزجمير بأدرار. ونسخة بخزانة مولاي سليمان بن علي بأدغاغ. عبد الرحمن قزان، إسهامات علماء توات، ص188.

[2]– عبد الرحمن قزان، إسهامات علماء توات، ص 195.

والتلمساني والقيرواني وغيرها من العمليات في المدرسة المالكية الكبرى، مما يؤكد على اهتمامهم بفقه الواقع من خلال تنزيل الفقه النظري لمجال التطبيق وعملهم على التوفيق بين الفقه المتوارث والواقع المتغير، وهو أحد خصائص الفكر الفقهي لدى المالكية. وغيرها كثير من المدونات الفقهية النوازلية لفقهاء توات قديما وحديثا، الذين خلفوا تراثا فقهيا راقيا لا يقل أهمية عن تراث علماء الحواضر العلمية الأخرى، وقد عرفنا من خلال هذه المدونات مدى التزام علماء توات لأصول المذهب واستخدامهم لنصوصه وعدم خروجهم عنه إلا لضرورة، مما يظهر منه قدرتهم على التعامل مع هذه النصوص ومدى فهمهم لأسس المدرسة المالكية ومنهجها الفقهي، كما عرفنا أيضا أسماء لعلماء اجتهدوا في خدمة المذهب وترسيخه في المجتمع الجزائري عموما والتواتي خصوصا، وورثوا علما غزيرا وإن لم يؤلفوه في كتب مسطورة، وإنما أفنوا أعمارهم في تأليفه في صدور الرجال، ومن

هؤلاء الشيخ العلامة المالكي سيدي **محمد بلكبير** الذي تتلمذ على هؤلاء الأعلام الفحول، والذي ظل قائما على المذهب بالتدريس والإفتاء، وهو ما ستركز دراستنا عليه في هذه الوريقات، خاصة أنه كان لي ذكريات طيبة في منطقة توات أو أدرار حاليا، عند كنت طالبة في الجامعة أثناء زيارتي لها ولزاوية الشيخ التي استضافتنا وكذا مسقط رأسه قرية بودة، وكذا لخزينة المخطوطات في المنطقة، وذلك عام 1988م، في إطار رحلة علمية نظمتها جامعة الأمير عبد القادر، لمجموعة من طلبتها للمشاركة في فعاليات ملتقى دولي يعرف بجهود علماء المنطقة في نشر الإسلام ومنه المذهب المالكي منها إلى إفريقيا والعكس، كعثمان دان فوديو وعبد الكريم المغيلي، وغيرهم.

ثانيا: التعريف بالشيخ محمد بلكبير (1911م/1330هـ/ 2000م/ 1421هـ):

هذا الشيخ غني عن التعريف، فهو نار على علم، تغني عن التعريف به أعماله، وتشهد على عظمته آثاره. ولما كان التعريف به سيرد في العديد من ورقات هذا الكتاب، الذي سيكفيني من كتبوا فيه ذلك، فإنني سأقتصر على التنويه بسجاياه الفذة، وطبائعه الفريدة الرائعة من خلال شهادات العلماء

من الأصحاب والتلاميذ على ما عرف عنه-رحمه الله من شمائل، وإذا كان كذلك فمن أحسن قولا من شهادة علماء عصره وتلامذته وأصحابه، ومنهم الشيخ مولاي التهامي غيتاوي[1] الذي لخص

التعريف بحياة الشيخ بلكبير في هذه الأبيات التي قالها فيه الشيخ الشاعر أحمد بن عبد القادر الطلحاوي ونصها:

تـــــرعرع الشيخ ما بين العلماء *** مـــــــن أجل ذا نشأ شابا عليما
والده اصـــــــطفاه ربنا الكـريم *** لحـــــــفظ دينه والقرآن العظيم
وعمـــــــــه كان إماما بالقرية *** يعلم النـــــــاس الدروس الدينية
وخـــــــاله كان فقيها ورعا *** ما بين هـــــــؤلاء قد ترعرعا
حفظ القـــــــرءان في سن مبكر *** عـــــــن عمه (قبل الثامنة عشر
وعند مـــــا بلغ الشيخ سن الرشاد *** خـــــــرج صحبة خاله من البلاد
واتجـــــــه نحو ديار تمنطيط *** وكانت قبـــــلة للعلم والتخـــــطيط
لشيـــــخه سيدنا أحمد بن ديدي *** شيـــخ تمنطـــيط بلا تـــــردد
منـــــــه تعلم ثلاث سنوات *** لكنها كانت له كالعـــــــــشرات
واتجـه نحـــــــو ديار تلمسان *** لأجـــــل التزود بتـــفاسير القرءان
والتقـــى بالشيخ سيدي عبد الرحمان *** بن بوفلجة شيـــــخ ديار تلمسان
من ذرية الشيخ سيدي أحمد بن موسى *** وكـــــــان للشيخ جليسا أنيسا
ومـــــــعه راجع شرح خليل *** كـــــــذا التفاسير بالنص والدليل

ثم ومما قاله الشيخ مولاي التهامي أيضا في وصف للشيخ بلكبير:"إن الحديث عن الشيخ بلكبير هو حديث عن شخصية فذة وفريدة من نوعها وكأن الله قد خلقه لأمر عظيم وهيأه لخطب جسيم، فأولع في نفسه حب العلم والتعلم وأهلها. وقد كان آية في الحفظ والأخذ عن المشايخ، حتى فتح الله له أبواب العلم والمعرفة، ويسر له خزائنها، فكانت بين يديه مفاتيح علوم شتى من علوم الدين والدنيا. كان الشيخ رحمه الله له من المهابة والشموخ ما

---

[1] مولاي التهامي غيتاوي: الضوء المستنير في معرفة الشيخ سيدي محمد بن الكبير، الجزائر، رويبة، المؤسسة الوطنية للنشر، 2007، ص11 وما بعدها

يجعل منه صوتا لا تزعزعه الريح، حتى أنه ليخيل لمراقبه تلك العظمة المشرقة والمتزينة بنور الزهد والعطاء...كان خاضعا متواضعا، سليم القلب، سلس الانقياد للحق، سريع القلب إلى ذكر الله، بريء من الدعاوي، لا يدعي بلسانه ولا بقلبه ولا بحاله، زاهد في كل ما سوى الله،...صاحب عزيمة وشكيمة، شهما هماما، محترما منصرفا عما لا يعنيه، صاحب سماحة وأخلاق عالية، رحب الصدر، لا يأخذ بالذنب ولا يعاتب لا باللسان ولا بالقلب، ضحوكا بشوشا، غنيا بإيمانه قويا بحلمه، سيدا محابا، ناطقا بالحكمة والصواب،... هكذا عاش وعلى هذا مات"، ثم ينقل مولاي التهامي عن الشيخ أحمد بن عبد القادر الطلحاوي أبياتا قالها واصفا جود الشيخ بلكبير وكرمه حيث يقول:

كرم الشيـــــــــخ ليس له نظير *** في عـــــــــصرنا فاسأل الخبير
فكـــــــــل من أتى إليه يطلب *** شيئا مـــــــــن الدنيا تراه يعجب
لأنه يعطـــــــــيهم بلا حساب *** ولا يرد ســـــــــائلا على عقاب
فيده اليمنى تعطـــــــــي بلا حساب*** ودنيانا عـــــــــن قلبه لها حجاب
وطالب العلم معـــــــــفى من الإنفاق *** وشيخـــــــــنا يزيده من الأنفاق
ما يشتري به مـــــــــطالب الحياة *** مـــــــــن اللباس والكتب والأدوات
إنفاقه في اليـــــــــوم يفوق كل تقدير *** عناية الله تعـــــــــم أهل الخير

ولعل من أبلغ ما عرف به الشيخ ما وصفه به أحد أقرانه وزملائه في الدراسة وهو الشيخ محمد عبد الكبير البكري (1366هـ/1946م) حين قال: "سيدي محمد بن عبد الله رحى العلم" [1].

وقد لخص لنا الفقيه الشاعر الشيخ أحمد بن المصطفى (1404هـ/1984م، شمائل الشيخ فقال:

محـــــــــمد بن الكبير لله دره فلا ***** زال فـــــــــذا بالحسنى يتخلق
شمـــــــــائله أحاطها بتواضع ***** وفي طـــــــــبعه السخاء جود محقق

[1] محمد عبد الحق بكراوي، المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، أطروحة دكتوراه في الفقه وأصوله، جامعة باتنة، ص55

إذا نظر الضيوف يمني بشاشة ***** وهذا بلا إنكار قول مصدق

بفضل التقى ذل العتبى عبقريا ***** كذا بالقرآن حبذا ذاك ترزق

تأمل بفكر واستبشر بفراسة ***** ترى نورا من وجهه يتألق

في مجلسه الأسمى تزورك نفحة ***** وتغمرك البشرى وبالخير ترزق

سواخ يمن تستفاد بقربه ***** وفي الرأي ملهم مصيب موفق

فأحبب به حيث المعاني تطيعه ***** كما زان لفظه بيان ومنطق

هنئت بنشر العلم لا زلت مرشدا ***** أعانك من بعونه أنت واثق

تقدم إلى الأمام كي تبلغ المنى ***** جنات النعيم ظلها والنمارق[1]

فقد كان الشيخ متخلقا بخلق الكتاب والسنة، جليل الظاهر وجميل الباطن، وكان عالم وقته بلا منازع، وعمدة المتقين في زمانه، وقدوة الصالحين، وعدة العلماء العاملين، وكان سراجا في أدرار، أهلته عناية الله من منحه الجليلة، كان أنموذجا فذا في الإخلاص لله تعالى، من سبر غوره وجده بحرا في العلم وموسوعة في الأخلاق، تربع على علم الأدب وحسن المعاملة، وشربت نفسه من العلوم الدينية، وبلغ العليا في التربية. والواقع أننا لو تمادينا في التعريف بهذا العملاق والترجمة لمآثره، لما وسعته هذه الوريقات المعدودات، والعبارات المحدودات، غير أن هذه الدراسة جاءت كمحاولة لإماطة اللثام عن جهود الرجل كمن سبقه من أعلام منطقته توات، في هذه القلعة الحصينة من قلاع المذهب وهي المدرسة المالكية المغاربية، ولاستجلاء جانب واحد من جوانب عدة امتاز بها الشيخ بلكبير، وهو خدمته للمذهب المالكي وقيامه عليه درسا وسلوكا، لنتلمس في فهمه له أصولا وفروعا، وحسن تخريجه عليها، وتفهيمه لها، معالم ما نستطيع أن نعتبره:" مدرسة فقهية مالكية تواتية بلكبيرية متميزة"، خاصة أن الشيخ لم يخلف تأليفا مكتوبا في السطور، وإنما نستشف ذلك من خلال منهجه في تعليم الفقه المالكي ونشر أحكامه، وهذا ما سأوضحه في النقاط الآتية:

[1] – محمد الطاهر بن تواتي: شيخنا محمد بلكبير كما عرفته، ص81-82.

ثالثا: جهود الشيخ محمد بلكبير في ترسيخ المذهب المالكي:

لقد كان الشيخ فريد زمانه ونسيج وحده، في الجد والاجتهاد في العلم والتعليم لفقه مالك، حتى بلغ المرتبة العليا في ذلك "فقد انفرد بوصف الشيخ الفقيه، فإذا أطلق لفظ الشيخ أو الفقيه دون إضافة انصرف إليه، يعرف ذلك الخاص والعام في أرض توات"[1]. ولقد اختاره الله لتجديد هذا الدين، فقد ربى نماذج من الأعلام ومن الأجيال التي تمكنت بفضل الله من الرسوخ العلمي والفكري، وترك بصمات تذكر ولا تنكر، وساهم في تفعيل المذهب المالكي وترسيخه، وكان منبعا لا ينضب، وقطب دائرة لعلماء زمانه، وترجم الطريقة الصوفية بعمله وزهده وورعه، ولم يتوان في خدمة الشريعة بكيفية مرنة لا غلو فيها ولا تعنيف، ولا تطرف ولا تشدد[2].

كان مالكيا أشعريا محافظا على عقيدة الإسلام والتصوف السني، وكان يردد على الحاضرين:" نحن مالكيون، إذا ذكر العلماء فمالك النجم"، متمثلا بقول ابن عاشر:

في عقيدة الأشعري وفقه مالك *** وفي طريقة الجنيد السالك

وقد ظل الشيخ متمسكا بهذا الثالوث الذهبي يعلمه ويدعو إليه ويرسخه، ويعمل على تقريبه للناس، تجلى ذلك فيما يلي:

1-تدريسه للفقه على مذهب مالك:

ظل الشيخ-رحمه الله-منكبا على تدريس المذهب المالكي، متمسكا به لا يقبل الفتوى بغيره، وكان "يعتبر التفقه في الدين سبيلا للعبادة الحقة، والطريق الصحيح إلى الله إنما يتحقق في امتلاك ناصية الفقه وتطبيقه نصا وروحا"[3]. ولذلك كان يلقب بالفقيه لأنه كان حريصا على نشره وتطبيقه قولا وعملا. وقد تميز الشيخ بلكبير بأسلوب فذ في إلقاء الدرس الفقهي،

---

[1] – محمد حسوني، سيدي محمد بن الكبير الفقيه، محاضرة بدار الثقافة بأدرار بمناسبة الذكرى العاشرة لوفاة الشيخ.

[2] – الشيخ الحاج السالم بن ابراهيم، مناقب الشيخ بن الكبير وجهوده في نشر المذهب المالكي، مداخلة ألقيت في فعاليات الملتقى الوطني الأول الشيخ سيدي محمد بن الكبير المنعقد بأدرار بتاريخ 11/10 رجب 1431هـ الموافق ل :24/23 جوان 2010م.

[3] – الشيخ الحاج السالم بن ابراهيم، مناقب الشيخ بن الكبير، مرجع سابق.

ومنهج لم يكن بدعا فيه وإنما هو امتداد لما تعلمه عن شيوخه من المدرسة المالكية المغربية عموما والتواتية خصوصا لخروجهما من مشكاة واحدة. وقد سعى الشيخ في دعم استمرارية المذهب المالكي وجعله المرجعية الفقهية في كل منطقة توات بل الجزائر عامة باعتباره من رواد المدرسة المالكية التواتية[1]، وقد فتح لذلك مدرسته وزاويته التي حملت اسمه، واستقبلت ألوف الطلبة الوافدين عليها من كل حدب وصوب، والذي ركّز على تعليمهم في مجال الفقه على المذهب المالكي، معتمدا في ذلك على المنهجية التي سار عليها أسلافه من أعلام توات في الاهتمام بالدرس الفقهي اهتماما مميزا، وإعطائه في ذلك حصة الأسد دون بقية العلوم. وقد انصب اهتمام الشيخ بتدريس الفقه الثابت والمنقول على مذهب الإمام مالك- رحمه الله- وظهر ذلك جليا في ذلك النشاط الكبير في تدريسه للمذهب، إن في زاويته أو مدرسته، أو في مساجد المنطقة أو في حله أو ترحاله، مخصصا حلقة راتبة لإقرائه من إحدى كتبه المعتمدة، مفيضا على طلابه بزبدة هذا المذهب من شروح وتفاسير في مختلف القضايا الفقهية، وكان –رحمه الله- على طريقة مشايخه الذين أخذ عنهم، فيتدرج في تعليم طلبته ويلقنهم متون الفقه المالكي بحسب سنهم ومستواهم، فيبدأهم **بمختصر الأخضري** في العبادات حفظا وشروحه، ثم **المرشد المعين لابن عاشر** وشروحه، ثم **رسالة ابن أبي زيد القيرواني** وشروحها، فإذا ارتقى الطالب درجة في التحصيل، أمره بقراءة وحفظ جزء من متن **مختصر سيدي خليل** وشروحه، ويسمى ذلك الجزء **"الوقفة"** حيث يتوقف عنده الطالب فيشرحه له الشيخ بلكبير ثم يأمره بحفظه ليكمل بعدها الجزء الذي يليه[2]، ثم **نظم تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام لابن عاصم** وشروحها.

وكان-رحمة الله عليه- أثناء تدريسه للمسائل الفقهية، يورد مختلف نصوص المتون الفقهية المالكية الواردة في ذلك، ويربط المسائل الفقهية بأدلتها، ويرد الفروع إلى أصولها، ويخرج على أصول المذهب وقواعده، ويوضح تلك المسائل النظرية بأمثلة واقعية تطبيقية، حتى يتمكن الطالب من معرفة أدلة مذهبه ومستنده، ويكون على دراية بمصادر تلك المسائل

---

[1] – مبروك المصري، المدرسة الفقهية التواتية، مقال بمجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ع1، س1، 2004، الجزائر،ص98.

[2] – عبد السلام الأسمر بلعالم، الحياة الفقهية في توات، ص70. شهادة الشيخ سالم بن إبراهيم عضو المجلس الإسلامي الأعلى، وإمام وشيخ زاوية أدرار، وأحد تلامذة الشيخ بلكبير.

للتنمية. والتوفيق بين فقهه المتوارث وواقعه المتغير. فكان يقدم لطلبة العلم الحقيقة لا زيف ولا غش ولا خداع فيها ولا تحايل، ولا غلو ولا تطرف ولا تعصب، آخذا بالأحوط في الأحكام و ملتزما الإفتاء بالمشهور من أقوال علماء المذهب ما استطاع[1]. وكان سريع البديهة حاضر الذهن في الإجابة عن الأسئلة الشرعية من مصادرها الصحيحة، ولاسيما في مواجهة الحجة بالحجة، ومقارعة أهل الهوى في الفتاوى المضللة، فكثيرا ما كان يرد عليهم حجتهم ويبطلها، مستدلاً في ذلك على الأدلة اليقينية الصحيحة، ولاسيما المتطاولين على التقوى وأدعياء العلم، فكثيراً ما كان يفحمهم بأدلة ثابتة كتاباً وسنة وإجماع، فلا يستطيعون بعدها إلا أن ينصاعوا لإجابته. وكان يصحح ما علق ببعض مسائل الفقه المالكي من أخطاء لبعض الجهلة وأنصاف العلماء، دليل حذقه وتبحره في المذهب ومراجعته له، وتنقيحه من كل الشوائب التي تشوه جماله وتكدر صفاءه، وكان ينبه العقول إليها في قالب من النكت واللطائف، مثاله: أنه عند إيراد الشيخ لأبيات ابن عاشر من المرشد المعين في علامات البلوغ، ونصها:

وكل تكليـــف بشرط العقل **** مع البـــلوغ بدم أو حمل

أو بمني أو بإنبات الشعـــــر **** أو بثمان عشرة حولا ظهر[2]

ذكر رحمه الله لطلبته أن شخصا سئل عن الجنين الذي يوجد في بطن الشاة بعد ذبحها ميتا، هل يؤكل أم لا؟ فقال هذا الشخص للسائل: هل نبت شعره؟ فقال السائل: نعم. فأجابه ذلك الشخص بجواز أكله مستدلا بقول ابن عاشر:"أو بإنبات الشعر".

لكنه ومع حبه للمذهب المالكي وتبحره فيه وحرصه على تعليمه وترسيخه كمرجعية فقهية لا ينبغي الحيد عنها، إلا أنه كان في نفس الوقت متفتحا على غيره من المذاهب فلم يغفل عن دراستها، بحكم الاجتهاد والبحث والتقصي مما مكنه من الوقوف على أهم مشكلات عصره وزمانه في المسائل الدينية

ذات الاتجاه الفقهي، بل وكانت له فتاوى واجتهادات شخصية تجعله في مصاف العلماء.

---

[1] – محمد عبد الحق بكراوي، المرجع السابق، ص109-115.

[2] – محمد بن محمد بن المبارك الفتحي: الحبل المتين شرح المرشد المعين، ص07.

2-اجتهاداته وفتاواه وفق قواعد المذهب:

ظل الشيخ بلكبير-رحمه الله-قائما على المذهب المالكي متمسكا به حتى النخاع، يدرسه ويرسخه

ولا يقبل أن يفتي بغيره، لقد كان نسيج وحده في الجد والاجتهاد في طلب العلم وتعليمه وفق مذهب مالك-رحمه الله- حتى ضرب بسهم وافر في الفقه، والحديث وعلم القراءات وعلوم اللغة، والتصوف، وتبوأ المكانة العليا بين العلماء، ونال مرتبة الإفتاء بكل جدارة، حتى لقب بالشيخ الفقيه شهادة له على غزارة علمه وتمكنه البالغ من المعارف الدينية واللغوية مع الورع الشديد والتعبد الدائم، إلا أنه-رحمه الله- للأسف لم يترك لنا إنتاجا علميا مكتوبا في السطور، بل تركه محفوظا في الصدور، وإنما- كما هو ظاهر- أنه كان يعتمد التعليم والإفتاء والتلقين مشافهة، كالكثير من علماء هذه الحقبة من تاريخ الجزائر، لانشغاله بصناعة الرجال وبناء العقول، قبل الكتابة في السطور.

فقد كانت ترد عليه أسئلة المستفتين فيجيب عنها مشافهة في حينها وفق المذهب المالكي، وأحيانا يردها ليس لأن بضاعته مزجاة، ولكن ورعا وتقوى على ما جرى عليه أسلافه من العلماء الصالحين بدءً بإمام المذهب، وكان يقول: "التقوى ترك الفتوى"[1]، فكان من المقلين للفتوى وخاصة في المسائل الاختلافية فكريا وعقديا، فكان يتجنبها ويزهد في الخوض فيها، مشيا على خطى إمامه مالك بن أنس- رضي الله عنه- الذي كان يرفض الخوض والرد على مثل هذه المسائل، أما في غير ذلك فكان يفتي معتمدا على الرأي المشهور في المذهب، والراجح من أقوال شيوخه، إلا ما اقتضته البيئة والظروف وحاجة الناس، فيفتي حينها بما يناسب ذلك ولو كان رأيا مرجوحا غير مشهور في أمهات المذهب المالكي، فيرجح ما جرى به عمل المفتين والقضاة بتوات، وهو غير خارج في ذلك عن قواعد المذهب بل هو مطبق لقاعدة من قواعده، وهي قاعدة ما جرى به العمل أو فقه العمليات التي تميز بها المذهب المالكي. ومن أمثلة ما أفتى به الشيخ بلكبير خلافا لمشهور المذهب وجريانا على ما به العمل في بيئة توات، أو لمقتضى حاجة دعت لذلك، نجد ما يلي:

---

[1] – الشيخ محمد حسون، (أحد تلامذة الشيخ)، الأستاذ الفقيه، محاضرة ألقاها بمناسبة الذكرى العاشرة لوفاة الشيخ، يوم 2010/05/29.

أ-إفتاؤه بجواز تأخير صلاة المغرب بعد الغروب، وكذلك صلاة الصبح إلى الإسفار البين، وذلك وفق ما جرى به العمل في منطقة توات، التي كان أغلب أهلها يعتمدون في معيشتهم على الزراعة، فيتأخرون في مزارعهم إلى غروب الشمس، فيؤخرون صلاة المغرب حتى يدرك الناس صلاة الجماعة، أما تأخير صلاة الصبح إلى الإسفار البين، فإن أغلب أهل توات كانوا فقراء لا يوجد عندهم كهرباء، وشوارعهم ضيقة مظلمة، ولدفع ضرر ذلك ومشقته عليهم، كانوا يؤخرون صلاة الصبح حتى يظهر

الضوء وتتبين الطرق في الأزقة، فجريانا على هذا العمل، وعملا بالمصلحة كان الشيخ بلكبير يفتي بجواز تأخير الصلاة لذلك الوقت[1]، مع أن مشهور المذهب عدم التأخير إذ وقت المغرب لا امتداد له، مستندا في فتواه لما اختاره جماعة من شيوخ المذهب، كابن العربي، واللخمي، والباجي، والمازري، وابن رشد، وابن عبد البر، والرجراجي، أن وقت المغرب يمتد إلى غروب الشفق الأحمر، وهي رواية عن مالك في الموطأ:" وقال مالك: الشفق الحمرة التي في المغرب فإذا ذهبت الحمرة فقد وجبت صلاة العشاء وخرجت من وقت المغرب"[2]

ب-إفتاؤه بجواز الإحرام في الحج والعمرة من جدة بالنسبة لأهل المغرب، دفعا للمشقة المترتبة عن الذهاب والتوجه إلى ميقاتهم وهو الجحفة (رابغ اليوم) للإحرام منه، تمشيا مع النصوص الدالة على وجوب دفع المشقة ورفع الحرج.

ج-إفتاؤه بإخراج زكاة الفول السوداني (الكاوكاو) متى بلغ النصاب، إلحاقا له بالقطاني السبع من جهة، كالفول، والجلبان، وغيرها...، وبذوات الزيوت من جهة ثانية، لأنه مما يعصر ويخرج منه الزيت، فوجبت زكاته، كما سئل حول ضمه إلى القطاني أو إلى ذوات الزيوت في الزكاة لاستكمال النصاب، فأجاب بأنه جنس مستقل عنهما فلا يضم لأي منهما، بل يعتد بنفسه في تكملة النصاب[3].

---

[1] - محمد عبد الحق بكراوي، المرجع السابق، ص217-218.

[2] - الإمام مالك: الموطأ، ج1 ص12.

[3] - محمد عبد الحق بكراوي، المرجع السابق، ص216.

د-وسئل مرة عن السدل والقبض في الصلاة فأجاب بما يدل على مرونته التي اكتسبها من روح المذهب المالكي، وهي إبقاء الناس على ما ألفوه وجرت به عاداتهم وأعرافهم، ما وسعه الشرع ولم

تخالفه، حيث قال: ينبغي ألا ينكر السادل على القابض ولا القابض على السادل، وإذا وجد القابض جماعة يسدلون سدل، وإذا وجد السادل جماعة يقبضون قبض حتى لا يلفت أنظار الناس إليه، ولا توضع له علامة استفهام، ولا ينبغي للمسلمين أن يختلفوا ويتجادلوا في مسألة مثل هذه، ومن العار والفضيحة أن يقتتلوا من أجل سنة أو مندوب، فالسنة سنة والمندوب مندوب والفتنة حرام وعواقبها وخيمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الفتنة نائمة ملعون من أيقظها[1].

3-ربطه بين الأحكام الفقهية والحكم التربوية وتزكية النفس:

لقد سبق القول إن الشيخ كان ملتزما فقه مالك، وعقيدة الأشعري وطريقة الجنيد السالك، فقد كان مالكيا أشعريا متصوفا تصوف الفقهاء وليس تصوف المتدروشة، وكان متمثلا مقولة الإمام مالك: "من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن جمع بينهما فقد تحقق"، وقد صدق فيه قول الشيخ ابن الحاج المالكي صاحب المدخل، حين بين حقيقة التصوف عند علماء المالكية فقال:

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه **** ولا يكارك إذ عني المغنونا

ولا صياح ولا رقص ولا طرب **** ولا تغاش كأن قد صرت مجنونا

بل التصوف أن تصفو بلا كدر **** وتتبع الحق والقرآن والدينا

وأن ترى خاشعا لله مكتئبا **** على ذنوبك طول الدهر محزونا[2]

---

[1] – مولاي التهامي غيتاوي، مرجع سابق، الشيخ الحاج السالم بن إبراهيم، المرجع السابق.

[2] – الشيخ ابن حمدون، حاشية ابن حمدون علة شرح ابن عاشر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1965م، ج2ص 179.

وكان مهتما بعلم التزكية تعليما وسلوكا، اهتمامه بالفقه نفسه، فقد كان اتباع المذهب المالكي وسيلته للحقائق الذوقية، والنفحات النورانية، فلم يكن رحمه الله-عنده فقط يعلم الحروف، وإنما كان يعلم طلبته سلوكه وأخلاقه ونموذجيته في تزكية النفس واعتدالها، في جلال المظهر وجمال الباطن، ولذلك كان منهجه الأدب أولا ثم الأخلاق أولا ثم السلوك أولا، والعلم ما هو إلا خادم مكمل لهذه الفضائل. وقد ظهر ذلك في سلوكه من الصدق والإخلاص في العمل، والركون إلى التستر وعدم الظهور في المجامع والمناسبات أمام الأضواء الكاشفة، وكان يعلم تلاميذه وزواره ومريديه، في مجالسه وحلقات دروسه، ترويض النفس على ذلك، مبينا لهم فوائد العزلة وفضائلها، مرددا لهم مقولة شيخه **الشيخ سيدي أحمد ديدي**-رحمه الله-:" في الظهور قصم الظهور"[1]، لقد أصلح الشيخ نفسه فأصلح الله به خلقا كثيرا، "وإذا ذكر الصوفية فهو قطب رحاهم، وإمام السالكين إلى حضرة رب العالمين، وإذا تحدثنا عن الزهاد فهو شيخهم، فلم تجد الدنيا إلى قلبه سبيلا إذ كان عنها غنيا متعففا"[2].

رابعا: سند الفقه عند الشيخ بلكبير كم يذكره أحد تلاميذه وأعلام توات الشيخ مولاي التهامي غيتاوي: والذي يدلنا على مالكية الشيخ بلكبير وانتسابه للمذهب حتى النخاع، سنده الفقهي المتصل إلى إمام المذهب الأغر الإمام مالك-رضي الله عنه-وهم رجال السلسلة كما يذكرها تلاميذه:

أخذ الشيخ رحمه الله عن جماعة من الفقهاء والمشايخ، أهمهم الشيخ أحمد ديدي البكري التمنطيطي، عن شيخه عبد الله البلبالي الكسامي، عن الشيخ أحمد الحبيب بن محمد البلباني الملوكي، عن شيخه عبد العزيز بن محمد بلباني، عن شيخه محمد بن عبد الرحمن البلباني الملوكي، عن شيخه عبد الرحمن بن عمر وشيخه محمد بن عبد الله الأدغاغي ثم الوناقالي، عن شيخه عبد الرحمن بن عمر التنيلالي، عن شيخه إبراهيم الجنتوري، عن شيخه أحمد بن عبد السلطان، عن شيخه أبي عبد الله محمد بن عبد العالي، عن شيخه محمد عبد الرحمن، عن شيخه محمد بن أحمد عبد السلطان، عن شيخه محمد بن علي

---

[1] - محمد عبد الحق بكراوي، المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، ص99-100. شهادة الشيخ عبد الله الطاهري، أحد تلامذة الشيخ، إمام وشيخ مدرسة الطاهري.

[2] - الشيخ مولاي التهامي غيثاوي، المرجع السابق.

النحوي، عن شيخه عبد الكريم بن محمد التمنطيطي والد الشيخ البكري، عن الشيخ سعيد قدورة الجزائري، عن الشيخ عبد الحكم، عن والده الشيخ عبد الكريم، عن المحقق الشيخ محمد بن عبد الله الدقاق الفاسي، عن الشيخ أحمد الفاتوح، عن الإمام المنوي، عن شيخه أبي بكر بن صرفة، عن شمس الدين محمد بن محمد الغماري، عن الشيخ الشهير العلامة خليل بن إسحاق صاحب المختصر، عن شيخه أبي عبد الله المنوفي، عن الشيخ زين الدين محمد بن محمد بن عبد الرحمن، عن الشيخ يحيى بن الفرج، عن العلامة ابن خلدون، عن الإمام ابن عبد السلام، عن ابن هارون، عن ابن قاسم أمد بن يزيد، عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبي عبد الله بن فرج، عن أبي طالب المكي، عن الإمام الشهير شارح مذهب الإمام مالك وجامعه أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، عن أصبغ بن الفرج، عن أشهب عبد العزيز، عن عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقي، عن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ورحمه، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن وعن نافع، وأخذ ربيعة عن أنس بن مالك، وأخذ نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، وكلاهما عن سيد المرسلين وإمام المتقين الحبيب الأعظم، سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه من ربه أزكى صلاة وسلام وعلى آله وصحبه[1].

[1] – الشيخ مولاي التهامي غيتاوي، المرجع السابق.

مثل هذه الجهود والأعمال الجليلة التي تركها هؤلاء الرجال، من علماء منطقة توات، بدءً بالشيخ المغيلي في القرن 9هـ، ووصولا إلى الشيخ سيدي محمد بلكبير في القرن الحالي، استطاع إقليم توات أن يواكب المسيرة الفقهية المالكية منذ ظهورها في الإقليم نشرا وترسيخا، وتخرج على أيديهم في كل ذلك عشرات الطلبة والأئمة والعلماء الصالحون، الذين نعج بهم الآن معظم مدارس ومساجد القطر الجزائري، وكان بذلك فقه مالك رضي الله عنه حامي وحدة علماء وسكان توات المذهبية، وصمام أمان في وجه التيارات والانقسامات العقائدية والمذهبية التي طالت عديد الأقطار العربية والإسلامية.

وقد ركزت الحديث على الشيخ سيدي محمد بلكبير -رحمه الله ورضي عنه وأرضاه- بمناسبة تسمية دفعة التخرج لعام 2019/2018، على اسمه المبارك، وحاولت أن أستقصي طرفا من حياته فقط وهو خدمته للمذهب المالكي وعمله الدؤوب على تقريبه وترسيخه بشتى الوسائل، ولا أدعي إيفائي الموضوع حقه، فما توصلت إليه ما هو إلا غيض من فيض، وقطرة من بحر، وكما قال أحد أعلام توات وتلميذ الشيخ بلكبير :"فالبحر لا يمكن أن يستخرج كل ما فيه من خيرات ولو بقي الناس فيه الدهر كله، وقد يجد كل واحد منهم ضالته، ويبقى البحر بحرا لا ينضب خيره و لا ينتهي عطاؤه، فكذلكم شيخنا بلكبير رحمه الله .

منهج الشيخ سيدي محمد بلكبير في العقيدة والتصوف.

الدكتورة نورة رجاتي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة:

لقد زخرت الجزائر عبر مراحلها التاريخية بأسماء لامعة لعلماء أسهموا في نهضتها العلمية والمعرفية، وأمّنوا فكرها وعقيدتها وفقهها، ومنهم الشيخ سيدي محمد بلكبير"...رجل من شيوخ وفقهاء الجزائر الكبار، كان له الفضل في المساهمة في حماية المرجعية الفقهية واستمرارية الحركة الاجتهادية، من خلال الجهود التي بذلها.

ولد الشيخ سنة 1911 بقصر من قصور بودة، أحد قرى الغمارة الواقعة في الجنوب الغربي من مدينة أدرار[1] ، وقد ارتحل منها صغيرا باحثا عن تحصيل العلوم والمعارف التي برع فيها، ومتعرفا على شيوخ زمانه، الذين كان لهم السبق آنذاك في شتى علوم الدين والدنيا، ومن ثمة وصل إلى مدن العلم وحواضره مما وسع معارفه وجعله على دراية واسعة بالنوازل والفتاوى التي وقعت في ذلك الزمن لينتقل إلى تمنطيط عاصمة توات إلى مدينة تلمسان أين أخذ العلم على يد العلامة الشيخ عبد الرحمن بن بوقلجة، وكان يريد الذهاب إلى جامع القرويين بفاس ولكن والده لم يأذن له، انتقل بعدها إلى المملكة المغربية لفترة قصيرة كانت له فيها مجالس علمية مع علماء جامع القرويين ليعود بعدها لممارسة التعليم بمدينة المشرية لمدة خمس سنوات، ثم انتقل إلى مدينة تيميمون سنة 1943، ليكون معلما للعلوم الشرعية.[2]

---

[1] – ساوس صالح: حياة الشيخ سيدي محمد بلكبير.

[2] –الفتوى في الجزائر تاريخها، رجالاتها، مدارسها، وآفاقها من 1962 إلى 1990: مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص الفقه وأصوله، إعداد

لقد كان الشيخ رحمه الله فطنا ورعا واعيا بما يدور من مخططات استعمارية لتفكيك وحدة المسلمين، أين حرص على الدفاع على هذه الوحدة في مختلف دروسه وتوجيهاته، حتى في الفتاوى التي أصدرها.

ومن تلك الفتاوى التي أصدرها ما قاله عندما سئل عن السدل والقبض:" ينبغي ألا ينكر السادل على القابض ولا القابض على السادل، وإذا وجد القابض جماعة يسدلون سدل، وإذا وجد السادل جماعة يقبضون قبض حتى لا يلفت أنظار الناس إليه، ولا توضع له علامة استفهام. ولا ينبغي للمسلمين أن يختلفوا ويتجادلوا في مسألة مثل هذه، ومن العار والفضيحة أن يقتتل المسلمون أو يتقاطعوا أو يتدابروا من أجل سنة أو مندوب، فالسنة سنة والمندوب مندوب والفتنة حرام وعواقبها وخيمة، وقد سارع الشيخ إلى محاربة الاستعمار بتمكين أبناء الجزائر من العلم والمعرفة وذلك بعد عودته من مدينة تلمسان إلى أدرار أين لأسس سنة 1950 م مدرسة قرآنية، وهي المدرسة التي سعى الاستعمار الفرنسي إلى غلق في العديد من المرات إلا أن تجند السكان وأعيان المنطقة منع من تحقيق أهداف الاستعمار حيث كان للشيخ نصيب من الاعتقال والاستنطاق من طرف السلطات الاستعمارية[1] – وبعد الاستقلال واصل الشيخ جهاده في نشر العلم والمعرفة، وفي سنة 1964م أسس المعهد الإسلامي بأدرار-"حيث أراد الشيخ أن ينتقل بالتعليم إلى مستويات أكاديمية جديدة غير تلك المعروفة في المؤسسات التقليدية-"والذي كان بمثابة منارة علمية ومعرفية واستقدم إليه الكثير من العلماء والفقهاء من داخل الوطن ومن بعض الدول العربية.

وهكذا جمع الشيخ بين جهادين جهاد مادي ضد الاستعمار الفرنسي وجهاد معنوي ضد الجهل قبل الاستعمار وبعده.[2]

الطالب: محمد بغداد، السنة الجامعية 1432هـ/1433هـ/2011م/2012م، جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية، ص95.

[1] – الفتوى في الجزائر تاريخها، رجالاتها، مدارسها، وآفاقها من 1962 إلى 1990: المرجع السابق، ص96.

[2] –حياة الشيخ سيدي محمد بكبير: سلوم صالح

-إلقاء الدروس وقت الضحى لأعيان المنطقة، ثم بعدها يلقي درسا آخر للصغار، معتمدا في ذلك على تحفيظ القرآن في الألواح، وقراءة القرآن الكريم جماعة بما يعرف بالحزب الراتب بعد صلاة المغرب، وتدريس علم التجويد وتدريس علم التفسير، وإلقاء دروس في السيرة النبوية، وإلقاء دروس الفقه للتجار والطلبة.

فما الذي جعل الشيخ رحمه يمتلك كل هذه القوة؟ هذا ما جعلنا نبحث في شخصيته المعرفية للوصول إلى أي نوع منها كان وراء هذا الثبات والصيت، وهو ما جعلنا نركز على الجانب العقدي والروحي والأخلاقي والعلم الذي يهتم بهما وهما علمي العقيدة والتصوف ومنهج الشيخ فيهما؟

1-منهجه في العقيدة:

إنه لمن المعلوم أن العقيدة التي سادت المغرب العربي ابتداء من القرن الرابع الهجري هي العقيدة الأشعرية، التي لخصها الأشعري في الباب الأول من الإبانة: "قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وسنة نبينا عليه السلام، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون... وأنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا نرد من ذلك شيئاً، وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، وأن الجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن الله مستو على عرشه كما قال: ...**الرحمن على العرش استوى**... طه: ٥، وأن له وجهاً كما قال: ...**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**. الرحمن: ٢٧، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ... **خلقت بيدي**. ص: ٧٥، وكما قال: ... **قالوا بل يداه مبسوطتان**. المائدة: ٦٤، وأن له عينين بلا كيف كما قال: **تجري بأعيننا**... القمر: ١٤، وأن من زعم أن أسماء الله غير كان ضالاً، وأن الله له علماً كما قال: ... أنزله بعلمه ... النساء: ١٦٦، ونثبت لله السمع والبصر، ولا ننفي ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج، ونثبت أن لله قوة كما قال: أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة... فصلت: ١٥.

ونقول: إن كلام الله غير مخلوق، وإنه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له كن كما قال: إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون. النحل: ٤٠، وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير وشر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل، وأن أحداً لا يستطيع

أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله، ولا يستغني عن الله، ولا يقدر على الخروج عن علم الله عز وجل. وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدرة كما قال: والله خلقكم وما تعملون. الصافات: ٩٦، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً وهم يخلقون كما قال: ... هل من خالق غير الله... فاطر: ٣، وأن الله وفق المؤمنين لطاعته ولطف بهم ونظر إليهم وأصلحهم وهداهم، وأضل الكافرين ولم يهدهم ولم يلطف بهم"[1]...

ويبرز في هذا الصدد أسماء مفكرين من الغرب الإسلامي ارتبط اسمهم بالعقيدة الأشعرية، ويتعلق الأمر بأبي ميمونة دارس ابن إسماعيل الفاسي(ت357هـ) الذي التقى بأئمة الأشعرية وأخذ عنهم ثم رحل إلى القيروان حيث درس بها واستقر بفاس ونشر بها علمه، والمفكر التونسي إبراهيم بن عبد الله الزبيدي أو الزبيري الشهير بالقلانسي (ت359هـ) الذي يعتبر من مشايخ الأشعرية ونسب إليه بعض آراء الأشعري التي أدخلها القيروان، إضافة إلى أبي يزيد القيرواني (ت:386 الذي كانت له رحلة إلى المشرق التقى فيها بأئمة الأشعرية.[2]

ويقول الناصري محدثا "عن حالهم في الْأُصُول والاعتقادات:" فَبعد أَن طهرهم الله تَعَالَى من نَزغَة الخارجية أَولا والرافضة ثَانِيًا، أَقَامُوا على مَذْهَب أهل السّنة وَالْجَمَاعَة مقلدين الْجُمْهُور من السّلف رَضِي الله عَنْهُم فِي الْإِيمَان بالمتشابه وَعدم التَّعَرُّض لَهُ بالتأويل مَعَ التَّنْزِيه عَن الظَّاهِر..."[3] مؤكدا استمرار الحال "على ذَلِك مُدَّة إِلَى أَن ظهر مُحَمَّد بن تومرت مهْدي الْمُوَحِّدين فِي صدر الْمِائَة السَّادِسَة فَرَحل إِلَى الْمشرق وَأخذ عَن علمائه

---

[1] – الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)، المحقق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار – القاهرة-الطبعة: الأولى، 1397، ص 20-21.

[2] –الأشعرية في المغرب دخولها، رجالها، تطورها وموقف الناس منها: إبراهيم التهامي، دار قرطبة للنشر والتوزيع-الجزائر-، الطبعة الأولى 1427هـ-2006م، ص12.

[3] – الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي (المتوفى: 1315هـ)، المحقق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب -الدار البيضاء-ج1، ص196-197

مَذْهَب الشَّيْخ أَبِي الْحسن الْأَشْعَرِيّ ومتأخري أَصْحَابه من الْجَزْم بعقيدة السّلف مَعَ تَأْوِيل الْمُتَشَابه من الْكتاب وَالسّنة وتخريجه على مَا عرف فِي كَلَام الْعَرَب من فنون مجازاتها وضروب بلاغاتها مِمَّا يُوَافق عَلَيْهِ النَّقْل وَالشَّرْع ويسلمه الْعقل والطبع"[1] وبعودته إلى "الْمغرب دعا النَّاس إِلَى سلوك هَذِه الطَّرِيقَة وَجزم بتضليل من خالفها بل بتكفيره، وسمى أَتْبَاعه الْمُوَحِّدين تعريضا بِأَن من خَالف طَرِيقَته لَيْسَ بموحد، وَجعل ذَلِك ذَرِيعَة إِلَى الِاسْتِيلَاء على ملك الْمغرب .... وَمن ذَلِك الْوَقْت أقبل عُلَمَاء الْمغرب على تعاطي مَذْهَب الْأَشْعَرِيّ وَتَقْرِيره وتحريره درسا وتأليفا إِلَى الْآن وَإِن كَانَ قد ظهر بالمغرب قبل ابْن تومرت فظهورا مَا[2]"

وعلى هذا، يكون لابن تومرت الدور الكبير في تحويل المغرب إلى مناهج المتكلمين من الأشاعرة في الاعتقاد"[3]

كما كان للباقلاني الدور البارز في انتشار الأشعرية في المغرب العربي ذلك أنّ طلاب المغرب العربي كانوا يقصدونه لأخذ المذهب المالكي لأنه كان مالكيا في الفروع أشعريا في العقائد. وممن أخذ عن الباقلاني وكان له الدور البارز في نشر الأشعرية في المغرب أبو عمران الفاسي(ت430هـ)[4]

" ابتداء من القرن التاسع الهجري إلى اليوم يدخل علم الكلام الأشعري بالمغرب مرحلة جديدة ، تميزت بالتراكم الكبير في المؤلفات العقدية، يمكن أن نطلق عليها المرحلة السنوسية نسبة إلى العالم التلمساني الشهير أبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي (ت.895هـ) الذي هيمنت كتبه في العقيدة وشروحها على الساحة الفكرية، وشهدت إقبالاً منقطع النظير من قبل طلبة العلم والحفاظ والشراح والمعلقين، وطغت على حلقات الدرس ومجالس العلم

---

[1] – الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى: المصدر نفسه، ج1، ص196-197

[2] – الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى: المصدر نفسه، ج1، ص196-197.

[3] – الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى: المصدر نفسه، ج1، ص245.

[4] –الأشعرية في المغرب دخولها، رجالها، تطورها، وموقف الناس منها: إبراهيم التهامي، دار قرطبة للنشر والتوزيع-الجزائر-الطبعة الأولى 1427-2006م، ص17.

في حواضر والبوادي المغربية. وأصبحت معتمداً في أخذ الإجازات على قراءتها، مما دفع البعض إلى اعتبارها مرحلة مستقلة بذاتها في تاريخ المذهب الأشعري بالمغرب"[1]

ومن المعلوم أنّ السنوسي أهم العلماء البارزين في الجزائر، والذي كان مرجعا للكثير من علماء العقائد في مختلف أنحاء البلد، و منها منطقة توات التي اعتنى عُلماؤها" بالمحافظة على تدريس ونشر وتأصيل هذه العقائد عند عامّة سكّانها، وعند طلبةِ العِلم خاصّةً، ممّا جعلهم مستقرّين، بعيدين عن الدّعوات الفاسدة التي أصابت كثيرًا من الأقطار غيرها، وهذا ما جعل الشّيخ مولاي أحمد الطّاهري يقول في كتابه نسيم التفحات" :وعقيدتهم الأشعريّة، ومذهبهم المالكيّ، وطريقتهم الجنيديّة، واتّحاد مذاهبهم كان ممّا ساعدهم على توحيد صفّهم، وبعدهم عن الخلافات والصّراعات الاجتماعيّة والدّينيّة[2]"

وعلى هذا الدرب ووفق هذا المنهج الأشعري سار الشيخ سيدي محمد بلكبير [3]كما يؤكده أحد تلامذته وهو الإمام محمد الطاهر بن التواتي السايحي، الذي ألف كتابا حول حياة الشيخ ومنهجه في العقيدة والتصوف.

وقد ساق أبياتا أظنها للشيخ تلخص عقيدته المترجمة عمليا في منهجه المعيشي، صيغت بلغة وأسلوب بسيطين جاء فيها ما يلي:

ألم تري قـــــد خلقت كما ترى ... بأخـــلاق أحرار الورى أتخلق.

وإني لصبـــــار شكور وحامد ... وإني إذا أمـــــــلقت لا أتملق.

وإن عرضت لي حاجة من حوائج ... فإني غـــــــير الله لا أتعلق

وإني راض عـــــنه في كل حالة ... وإني مـــــن المقدور لا أتقلق.

---

[1] -تطور المذهب الأشعري: ص114.

[2] – مساهمات علماء توات في نشر وتأصيل العقيدة: ورقة بحثية منجزة للمشاركة ضمن ملتقى "إسهامات وجهود علماء الجزائر في أصول الدين مدرسة الأمير عبد القادر للعلوم الشرعية للزاوية اليعقوبية، فرع الكميل، وهران بتاريخ:5جمادى الثانية 1436هـ، الموافق ل:25مارس 2015، ص7.

[3] -شيخنا كما عرفته: محمد الطاهر بن التواتي السايحي، نشر ابن خلدون–تلمسان– ص97.

وإن كنت ذا دين وقدت منه ... إلى لكانت بالشلاث تطلق.
ولست بحمد الله ذا طمع به ... إلى نيل جدوى منعم أتملق.
ولا خابطا في ظلمات من ضلالة ... ونور الهدى لي ظاهر يتألق.
نظرة إلى الدنيا ونعمة آلها ... فما هي إلا كالشعور تحلق.
وقد فتحت أبواب شهوتها ولو ... أمدتهم الألطاف كانت تغلق.
وكم بت مسرورا لعمري بتركها ... وبات على النار الذي يحلق.

حيث عرض أن منهجه هو التخلق بأخلاق أحرار الورى وهم فيما يبدو أئمة الأشعرية، موحدا لله لا يشرك في حاجته إليه أحدا، متحليا بالرضى بالقضاء والقدر في كل الأحوال. أما وقد عرف منهجه في العقيدة فما هو منهجه في التصوف؟

2-منهجه في التصوف:

يذكر تلميذه محمد الطاهر بن التواتي السايحي أن منهجه في التصوف منهج سني، "تأثر فيه الإمام الجنيد إمام الصوفية وقدوتهم علما وعملا، والذي يعتبره منشأ التصوف، جمع فيه بين توحيد ليس فيه تمثيل ولا تعطيل وعرفوا ما هو حق القدم، وتحققوا بما هو نعت الوجود عن العدم، وهو ما أجمله سيد هذه الطريقة الجنيد رحمه الله في قوله التوحيد إفراد القدم من الحدث، وقد سئل عن التوحيد فَقَالَ: إفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بكمال أحديته أَنَّهُ الْوَاحِدُ الَّذِي قال: لم يلد ولم يولد. الإخلاص: ٣، بنفي الأضداد والأنداد والأشباه بلا تشبيه، ولا تكييف، ولا تصوير، ولا تمثيل، قال تعالى: **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**.الشورى: [1] ١١.

وقد أجمل القشيري منهج الجنيد في التوحيد في ما يلي:" التوحيد: أن الحق سبحانه وتعالى موجود قديم واحد حكيم قادر عليم قاهر رحيم مريد سميع مجيد رفيع متكلم بصير متكبر قدير حي أحد باق صمد، وأنه عالم بعلم , قادر بقدرة , مريد بإرادة , سميع بسمع , بصير

[1] – الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف-القاهرة-ج ١، ص30.

ببصر , متكلم بكلام , حي بحياة , باق ببقاء , وَلَهُ يدان هما صفتان يخلق بهما مَا يشاء سبحانه عَلَى التخصيص، وَلَهُ الوجه الجميل وصفات ذاته مختصة بذاته، لا يقال هِيَ وَهُوَ ولا هِيَ أغيار لَهُ بَل هِيَ صفات لَهُ أزلية ونعوت سرمدية، وأنه أحدي الذات لَيْسَ يشبهه شَيْئًا من المصنوعات ولا يشبهه شَيْء من المخلوقات، لَيْسَ بجسم , ولا جوهر , ولا عرض , ولا صفاته أعراض، ولا يتصور فِي الأوهام ولا يتقدر فِي العقول، ولا لَهُ جهة ولا مكان ولا يجري عَلَيْهِ وقت وزمان، ولا يَجُوز فِي وصفه زيادة ولا نقصان، ولا يخصه هيئة وَقَدْ، ولا يقطعه نهاية وحد، ولا يحله حادث ولا يحمله عَلَى الفعل باعث، ولا يَجُوز عَلَيْهِ لون ولا كون ولا ينصره مدد ولا عون، ولا يخرج عَن قدرته مقدور ولا ينفك عَن حكمه مقطور، ولا يعذب عَن علمه معلوم ولا هُوَ عَلَى فعله كَيْفَ يصنع وَمَا يصنع ملوم، لا يقال لَهُ أين ولا حيث ولا كَيْفَ ولا يستفتح لَهُ وجود فيقال: مَتَى كَانَ ولا ينتهي لَهُ بقاء فيقال: استوفي الأجل والزمان، ولا يقال: لَمْ فعل مَا فعل إذ لا علة لأفعاله، ولا يقال: مَا هُوَ إذ لا جنس لَهُ فيتميز بأمارة عَن أشكاله، يرى لا عَن مقابلة ويرى غيره لا عَن مماثلة، ويصنع لا عَن مباشرة ومزاولة، لَهُ الأسماء الحسنى والصفات العلا يفعل مَا يريد ويذل لحكمه العبيد، لا يجري فِي سلطانه إلا مَا يشاء , ولا يحصل فِي ملكه غَيْر مَا سبق بِهِ الْقَضَاء، مَا علم أَنَّهُ يكُون من الحادثات أراد أَن يكُون وَمَا علم أَنَّهُ لا يكُون مِمَّا جاز أَن يكُون أراد أَن لا يكُون، خالق أكساب الْعِبَاد خيرها وشرها , مبدع مَا فِي العالم من الأعيان والآثار قلها وكثرها ومرسل الرسل إِلَى الأمم من غَيْر وجوب عَلَيْهِ، ومتعبد الأنام عَلَى لسان الأنبياء عَلَيْهِم الصلاة والسلام بِمَا لا سبيل لأحد باللوم والاعتراض عَلَيْهِ، ومؤيد نبينا مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمعجزات الظاهرة والآيات الزاهرة بِمَا أزاح بِهِ العذر وأوضح بِهِ اليقين والنكر وحافظ ببيضة الإسْلام بَعْد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخلفائه الراشدين ثُمَّ حارس الحق وناصره بِمَا يوضحه من حجج الدين عَلَى ألسنة أوليائه عصم الأمة الحنيفية عَنِ الاجتماع عَلَى الضلالة وحسم مادة الباطل بِمَا نصب من الدلالة وأنجز مَا وعد من نصرة الدين بقوله: ... **ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**.التوبة: ٣٣، فَهَذِهِ فصول تشير إِلَى أصول المشايخ عَلَى وجه الإيجاز"[1]

---

[1] -الرسالة القشيرية: المصدر السابق، ج1، ص33.

والتصوف على هذا عند الشيخ كما يقول تلميذه محمد الطاهر بن التواتي " ترك الاختيار وإدامة الفكر في عمل الفرائض والاشتغال بذكر الله ورسوله، كما هو سلوك وأخلاق وليس مزمارا أو حداء"[1]، وهو وإن كان يمثل طائفة من المتصوفة ينكرون السماع مثل ما أورده القشيري " إذا رأيت المريد يحسب السماع فأعلم أن فيه بقية من البطالة."[2]، فهو بهذا ينتقد بعض الممارسات التي يقرها الكثير من الصوفية كأبي حامد الغزالي الذي يقول في كتاب الإحياء :"إن القلوب والسرائر خزائن الأسرار ومعادن الجواهر وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد والحجر كما أخفى الماء تحت التراب والمدر ولا سبيل إلى استثارة خفاياها إلا بقوادح السماع ولا منفذ إلى القلوب إلى من دهليز الأسماع فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها أو مساويها فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه كما لا يرشح الإناء إلا بما فيه فالسماع للقلب محك صادق ومعيار ناطق.."[3]

والتصوف يقوم عنده على شروط أساسية أهمها:

-العلم بالكتاب والسنة مع العمل بهما.

-السعي إلى معرفة الله حق المعرفة بواسطة التأمل الدقيق والنظر العميق، والتفكر في مخلوقاته.

-التقى والزهد والورع والتجرد من هوى النفس وحب الدنيا، ومغريات السياسة والسلطة وعدم التعاون مع الظلمة والمتجبرين.[4]

وهو بالتالي "رفض للقيود المادية المكبلة للنفس، ومزيل للغشاوة المادية التي ربما رانت على القلب فغطته، وحالت دون تلقيه المفاهيم الربانية في نقاوتها وصفائها، ليكتمل العقل والقلب

---

[1] -شيخنا كما عرفته: المرجع السابق، ص99.

[2] – الرسالة القشيرية: المصدر نفسه، ج1، ص69.

[3] – إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، دار المعرفة – بيروت– ج2، ص268.

[4] -شيخنا كما عرفته: المرجع السابق، ص99.

من التحليق عاليا، وبكل حرية عبر المحطات العليا التي ينشد ارتقاءها كل صادق صف فصوفي حتى سمي الصوفي "[1]

وكان شعاره ما نقل الشاطبي في الاعتصام عن الصوفية (حب الرياسة آخر ما يخرج من قلوب إلا الصديقين)[2] وهكذا كان الشيخ يرى في الدخول على الحكام والمسؤولين ومجالستهم "يعود بالتطبع، وبالكبر والرياء، وقد كان طلابه يكتبون عنه في كناش الفوائد مجالس الدنيا ثمانية كل مجلس ينال منه شيئان:

مجلس العلماء ينال منه العلم والحكمة.

مجلس الفقراء ينال منه الصبر والقناعة

-مجلس السفهاء ينال منه الكبر والرياء.

مجلس الأغنياء ينال منه الحص والطمع.

-مجلس النساء ينال منه الذل والمعصية.

مجلس الصبيان ينال منه الحماقة والضحك."[3]

الأذكار والأوراد:

يذكر طلبة الشيخ أن سفره إلى تلمسان كان من أجل اعتناق الطريقة الكرزازية الموساوية، وتسمى الأحمدية نسبة إلى مسميها سيدي أحمد بن موسى الحسيني مولى كرزاز صاحب الرموز، وقد انجذب في آخر أمره (والجذب مصطلح صوفي يقصد به ملاحظة العناية الإلهية للعبد باجتذابه إلى حضرة القُرب)، وقد اختار العامية كلغة لإفهام العامة من المريدين وغيرهم.

---

[1] شيخنا كما عرفته: المرجع نفسه، ص99.

[2] – الاعتصام: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي

الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، 1412هـ -1992م، ج1، ص197.

[3] شيخنا كما عرفته: المرجع السابق، ص102.

الخاتمة:

وهكذا نصل إلى أن الشيخ سيدي محمد بلكبير كان وفيا لمرجعيته العقدية الجزائرية حيث اعتمد الأشعرية عقيدة والمالكية مذهبا والجندية مسلكا صوفيا.

ويكفي إن لم يترك المؤلفات والكتب أن كون الرجال الذين ألفوا فيه ما يخلد ذكره بين الناس، وما المرجع الذي بين أيدينا والذي اعتمدناه كمصدر للدراسة .

قائمة المصادر والمراجع:

1 - بدوس صالح: حياة الشيخ سيدي محمد بلكبير

2 -الفتوى في الجزائر تاريخها، رجالاتها، مدارسها، وآفاقها من 1962 إلى 1990: مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية تخصص الفقه وأصوله، إعداد الطالب: محمد بغداد، السنة الجامعية 1432هـ/1433هـ/2011م/2012م، جامعة الجزائر 1، كلية العلوم الإسلامية.

3 -الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)، المحقق: د. فوقية حسين محمود، دار الأنصار – القاهرة-الطبعة: الأولى، 1397.

4 -الأشعرية في المغرب دخولها، رجالها، تطورها وموقف الناس منها: إبراهيم التهامي، دار قرطبة للنشر والتوزيع-الجزائر-، الطبعة الأولى 1427هـ-2006م.

5 -الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي (المتوفى: 1315هـ)، المحقق: جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب -الدار البيضاء-.

6 -مساهمات علماء توات في نشر وتأصيل العقيدة: ورقة بحثية منجزة للمشاركة ضمن ملتقى "إسهامات وجهود علماء الجزائر في أصول الدين مدرسة الأمير عبد القادر للعلوم الشرعية للزاوية اليعقوبية، فرع الكميل، وهران بتاريخ:5-جمادى الثانية 1436هـ، الموافق ل:25مارس 2015.

7 -شيخنا كما عرفته: محمد الطاهر بن التواتي السايحي، نشر ابن خلدون-تلمسان-ص97.

8 -الرسالة القشيرية: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود، الدكتور محمود بن الشريف، دار المعارف-القاهرة-.

9 -إحياء علوم الدين: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)، دار المعرفة بيروت-ج2.

10 -الاعتصام: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، 1412هـ -1992م، ج1.

نشاطه الإصلاحي

دعائم الإصلاح والنهضة

في فكر الشيخ العلامة محمد بلكبير

أ.د. رابح طبجون

أستاذ بالمدرسة العليا للأساتذة، قسنطينة

ملخص:

خاض الشيخ محمد بلكبير معارك ضارية في الجنوب الكبير من أجل ترسيخ قيم الهوية والانتماء، وجدد النقاش حول طبيعة المعرفة ودلالاتها الابستمولوجية، وأفنى زهرة شبابه من أجل مشروعه الفكري والتربوي وما جنح إليه من خيارات كانت المحرك الجدلي الذي يتجدد بتجدد شروطه ومهماته في سبيل إعداد جيل متعلم ومثقف تحضيرا ليوم النصر المنشود.

وأدرك بفطنته أن الحصانة الثقافة للشعب كفيلة بردع أعتى الجيوش الغازية وأقوى الأيديولوجيات المؤثرة. هذه الأفكار الإصلاحية كانت السياق الفكري المشترك بين جل المصلحين الجزائريين، وكان لها الدور العميق في بناء الإنسان الجزائري وتشكيل تصوراته الجديدة ورصد الاحتمالات والتوقعات واستشراف آفاق المستقبل.

وإذا كان تعريف المثقف العضوي، أنه الإنسان الفاعل والمؤثر في مجتمعه، والذي يحدث تغييرا ما مفيدا للناس ممن حوله، فإن هذا التعريف أكثر ما ينطبق على الشيخ محمد بلكبير، بل هو المثقف النموذجي حقا.

وقد حان الأوان للتعريف بهذا الإرث الثقافي الزاخر والالتفات إليه واستثماره معرفيا ورمزيا، ولتوثيق واحدة من أهم التجارب الفكرية نضجا وثراء واقتدارا، وهذا ما ستحاول هذه المقاربة رصده إنصافا لهذا المصلح الديني والاجتماعي الكبير، وتقديرا لرسوخ علمه ودوره في حركة الإصلاح والنهضة.

أولا: حياته وجهوده

الشيخ محمد بلكبير (1911-2000) رمز من الرموز العلمية والتربوية في الجزائر، ورائد من رواد التحرر النضالي والثقافي، نشأ بقصر (لغمارة)، نواحي منطقة بودة (غرب أدرار) في جو علمي بحت حيث حفظ القرآن الكريم وأتقن مبادئ العربية في سن مبكرة، وكان مزاجه مدفوعا لقراءة الكتب والاستزادة منها واكتساب مهارات دقيقة تنمي فيه هذه الملكة، مما حفزه على الإقبال على المعارف في مختلف المجالات كالفقه والأصول والتوحيد والتفسير والقراءات والتصوف، حتى نبغ في فنون كثيرة وأصبح راسخا ضليعا تشد إليه الرحال، ويرهن على قوة عقلية نفاذة وسعة إطلاع معتمدا على الفهم الدقيق وفحص القضايا، وقد حافظ الشيخ على زهده ونكران ذاته وغزارة علمه وتواضعه.

من أساتذته الذين ساهموا في رسم ملامحه الفكرية وأثروا في تكوينه الثقافي والديني؛ الشيخ محمد بن عبد الرحمن، والشيخ العلامة سيدي أحمد ديدي، والشيخ عبد الرحمان بن بوقلجة، وفي أسفاره ورحلاته استفاد من علماء جامع الزيتونة وجامع القرويين بفاس والأزهر بمصر وجالسهم وأخذ عنهم وأورثه ذلك علاقة حسنة معهم وتواصلا مستمرا، وكذلك كان الأمر أثناء رحلته إلى الحج سنة 1952. وعموما "فقد كانت الرحلة العلمية من المغرب إلى المشرق إحدى السمات البارزة التي طبعت الاتجاه العلمي المغربي منذ الفتح الإسلامي، فقد كان العلماء المغاربة بحكم تشوقهم للتفقه في أمر الدين يتشوقون لشد الرحال قصد الأخذ عن العلماء المشارقة الذين نالوا شهرة واسعة"[1].

وكان يجلب مع كل رحلة من رحلاته مجموعة من أمهات المتون في الفقه المالكي يستعين بها في دروسه ومحاضراته ويوزعها على طلابه ومريديه، أو يساهم في تكوين بعض المكتبات العامة والخاصة "التي تعد منطقة توات الخزان الحقيقي للتراث المخطوط في

---

[1] -- خير الدين شترة: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة ما بين الأعوام 1900 –1956، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص900.

الجزائر، كما تشير آخر الإحصاءات في هذا المجال"[1]، بفضله، وبفضل جهود أبناء المنطقة عبر العصور.

تعرض رحمه الله للرقابة الاستعمارية الصارمة والتضييق على نشاطه الدعوي وحيكت ضده الدسائس المغرضة التي سرعان ما تحولت إلى هجوم ضار وحملة شعواء بمبررات مختلفة حتى اضطر إلى الارتحال وتغيير مضاربه، وقد شهد له قادة الثورة من جيش التحرير الوطني في الولاية الخامسة والسادسة بأدواره الحاسمة في السبق والنضال والتأثير في جموع الموطنين وبطاقته التعبوية الخارقة، وقدرته على إيقاظ الإحساس بالقيم السامية التي كان وقعها سيدا وأثرها كبيرا، وتكفي ملاحظة هذه الأصداء لندرك عمق ارتباطه بالوطن وحجم إقدامه وتضحيته.

وبعد الاستقلال واصل رسالته في التعليم والوعظ والإرشاد والأعمال الخيرية بمساعدة سكان المنطقة وأعيانها بكل سماحتهم ونجدتهم ونبلهم، في معركة طويلة النفس لانجاز استراتيجيات أعمق، وجعل على رأس أولوياته الاهتمام بقضايا بناء الإنسان وترسيخ قيم حضارته لمواجهة مختلف التحديات، لأن "مفهوم الحضارة هي مجموعة القيم الثقافية المحققة"[2].

لم يترك الشيخ كتبا مؤلفة إلا دروسه العلمية وخطبه المسموعة وبعض الرسائل بينه وبين شيوخه ومجايليه إضافة إلى أوراده وأدعيته ومناجاته، ولكنه ترك جيلا حيا من العلماء يشهدون على رسوخ قدمه في العلم وبراعته التربوية وبعد نظره في أحكامه الفقهية، وحكمته وقيادته الروحية وحياته الحافلة بالكفاح والأمجاد، ويكفيه فخرا شهادة من عاصروه من الطلبة والعلماء والمحبين المخلصين في رحلة التأسيس والإنجاز والريادة، خاصة من أولئك الذين أتيحت لهم فرصة أن يكونوا قريبين منه وأطلوا على تجربته الحياتية والتربوية.

---

[1]- أحمد أبا الصافي جعفري: تاريخ توات أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2011، ص189.

[2]- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت 2000، ص101.

ـ: أسس الإصلاح والنهضة عند الشيخ محمد بلكبير:

عاش مجتمع توات[1] الذي احتضن حياة الشيخ محمد بلكبير واستغرق طفولته وشبابه تحت تأثير تراكمات الضغط الاستعماري ومخططاته التي ترمي إلى طمس هويته وموروثاته وتقاليده، وتكبيل طاقاته ومواهبه "فقد تمحور الصراع الاستعماري حول شخصية الجزائر الدولية الاستقلالية، وهويتها الثقافية تاريخا ولغة وعادات اجتماعية"[2]، مما دفع الشيخ إلى تحديد أولوياته في الإصلاح والنهضة والتي انبثقت عنها سلسلة من المواقف في سياق التحديات واستشعار ما ترهص به من توترات ومؤشرات بمحاربة هذا الفكر والحفر في أنساقه وتمثلاته، حيث لم يبق جامدا أو محايدا أو سلبيا.

ومن هذا المنطلق صدرت توجهات الشيخ "عن مرجعية فكرية هي امتداد لحركات الإصلاح المتعاقبة، واستلهاما لتلك الروح التي كانت مصدر قوة هذا الشعب وإشعاعه طول تاريخه الممتد"[3]، فإزاء الوطن أو الدين لا توجد عنده مساحة للحياد.

1- في المجال التعليمي:

نشأ الشيخ محمد بلكبير في جو تعليمي خالص، مشبع بالعلم والمعرفة وعاش حياته في هذه الأجواء، وقد تمكن من تزويد المساجد والكتاتيب بخزان من الطلبة والعلماء الذين ينشرون العلم والهدى في ربوع البلاد، وكان يرى أن التعليم أداة مهمة للنضال السياسي

- منطقة توات: عاصمتها تمنطيط تتميز بموقعها الاستراتيجي وقصورها العجيبة في هندستها وعمارتها، تعد من أهم الأسواق التجارية خلال العصور الوسطى، ولذا كانت مقصدا لمجموعة من العلماء الذين أقاموا بها زوايا لتدريس القرآن وعلوم الشريعة ومن هؤلاء محمد بن عبد الله الكريم المغيلي، والشيخ العصنوني، والشيخ الكنتي، للتوسع، أنظر: بشار قويدر وحساني مختار: فهرس مخطوطات ولاية أدرار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر، 1999، ص9.

- عمر بن قينة: المشكلة الثقافية في الجزائر التفاعلات، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2000، ص45.

- زواو الخطاب: التغيير رؤية متجددة، مطبعة أوريبس، قصر السعيد، تونس، (د.ت)، ص7.

والاجتماعي، حيث يشكل بحق مؤسسة متكاملة في التأطير والإعداد والتكوين على نحو أوسع وتأثير أشمل وأرحب. فقد احتضن مسجده وزاويته عددا معتبرا من الجاليات الإسلامية وخاصة من الدول المجاورة مثل: (ليبيا وتونس ومالي والنيجر وموريتانيا والسودان).

وقد وضع الشيخ خطة تربوية محكمة تغذيها الروح العلمية والتنسيق المنهجي في محاولة منه لتلمس العناصر البناءة لصناعة الوعي العام ونشر ثقافة الإيمان الصادق والعقيدة السمحاء، تتمثل في: مجالس مداومة قراءة القرآن بطريقة جماعية أو ما يسمى (الحزب الراتب) مرتبطة بأوقات معينة وخاصة بعد صلاة المغرب، إضافة إلى دروس موجهة مباشرة إلى الطلاب ومجموع الحاضرين في السيرة النبوية، أو في علم التجويد وعلم الضبط، أو علم التفسير، أو علم السلوك وتزكية النفوس، أو تخصيص دروس الفقه للتجار والطلبة الصغار الداخليين.

وترسيخا للاستيعاب وتنشيط الذاكرة يتم قراءة المتون في الألواح بشكل جماعي كل يوم أربعاء.

ومن المتون التي كان الشيخ يلقي فيها دروسه ويحث طلبته على حفظها وفهمها:

– **متون التوحيد:** حيث تتركز فيها إشاراته التي تحيل على معتقد الأشاعرة وتلقين معانيه بكثافة وعمق كالسنوسية للشيخ بن يوسف السنوسي الحسني، وجوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقاني، ومتن الشيخ محمد الصالح الأوجلي، والخريدة البهية للشيخ أحمد الدردير، وإضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة لأحمد المقري.

– **متون الفقه:** التي تحرص على تعزيز ودعم الالتزام بالمذهب المالكي المتأصل منذ القديم في شمال إفريقيا وفي عموم منطقة المغرب العربي وجنوب الصحراء كالمرشد المعين في الضروري من أمور الدين لعبد الواحد بن عاشر، وأسهل المسالك في مذهب الإمام مالك، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل وشروحه، وقد يحدث أن يجري الشيخ في شرح المسألة الواحدة مسحا دقيقا شاملا لكل ما قيل في مصادر الفقه المالكي.

– **متون اللغة:** التي تعزز تدريس العربية من مصادرها لتكون هي المعيار الأساسي في التكوين، مثل مصنفات: الآجرومية مع شرح الكفراوي، وقطر الندى وبل الصدى.

ومنحة الإعراب للإمام الحريري البصري، وألفية ابن مالك والأخذ ببعض شروحها مثل شرح ابن عقيل وحاشية الخضري على شرح ابن عقيل والانتقال في بعض الأحيان إلى شرح المكودي، ولامية الأفعال لابن مالك والتعرض لبعض شروحها كحاشية أحمد الرفاعي.

متون الأدب: وهي تشكل منفذا حيويا للثقافة العربية الإسلامية، حيث خصص لها الشيخ اهتماما كبيرا وشغفا في الإقبال عليها رغبة منه في إبقاء جذوتها حية في نفوس الناشئة، مثل: سراج طلاب العلوم للشيخ العربي المساري وبعض شروحها كالابتهاج بنور السراج لأحمد بن المأمون البلغيثي، ونصيحة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي، ومنظومة نصيحة الشباب للشيخ الطاهر العبيدي المالكي، وهدية الألباب في جوهرة الآداب، وغيرها.

كما كان الشيخ يحب الأجواء الإنشادية للمدائح النبوية ويحرص على تحفيظ طلبته البردة والهمزية للإمام البوصيري، وحكم ابن عطاء الله السكندري، وكان يردد من مقولاته "أنت تطلب منه الكرامة وهو يطلب منك الاستقامة، والاستقامة خير من ألف كرامة".

ورغم صرامته العلمية فإن مجالسه تحتفي بالتسامح وتتمتع بالسخاء والأريحية فهو يقبل حوارات طلابه ومناقشاتهم وردودهم بمودة كبيرة مخالفا في ذلك ما كان معمولا به في الأنظمة التربوية التقليدية ذات القوالب النمطية التي تقوم على الحدود الفاصلة بين المعلم والمتعلم وعلى الرتابة والتلقين، "وكان يوصي الطلبة في حلقات الدرس حتى يعرفوا قيمة العلم، ويجعلوا هدفهم الأكبر هو نشر ذلك العلم بعد نجاحهم وتخرجهم"[1].

– منهج تعليم الكبار:

خصص الشيخ وقتا معتبرا لتعليم الكبار على أمل تقوية رصيدهم المعرفي والانتقال بهم إلى عوالم معرفية أرحب وأوسع مع رعاية ظروف عملهم وارتباطاتهم الاجتماعية، واستثمار أوقات فراغهم لرفع مستواهم الثقافي ودرجة وعيهم وتعزيز قدرتهم على متابعة تعليم أبنائهم، خاصة "وأن الكبار يملكون دوافع كبيرة للتعلم وتطوير مهاراتهم الحياتية لأنهم يشعرون

---

[1] – محمد عبد الحق بكراوي: المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بلكبير، رسالة دكتوراه العلوم، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، الجزائر 2017، ص 99.

بالحاجة إلى المعرفة ويتفهمون فائدتها التي تنعكس بطريقة مباشرة على تطوير أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية"[1].

إن الفرصة التي منحها الشيخ للكبار هي استراتيجية تربوية في سبيل إبقاء هذه الشريحة الأساسية في المجتمع تعايش القرآن الكريم وأجوائه الروحانية، وتدور في فلك المسجد وجنباته.

- **منهج تعليم الصغار:**

نظرا لاحتفاء التربية الحديثة بالطفولة حيث "أصبح الاستثمار في التعليم على كافة مستوياته ضرورة تنموية وأمنية ملحة لإرساء الاستقرار والسلام"[2]، فقد حرص الشيخ محمد بلكبير على منح الصغار أكبر الحصص من وقته والعناية بهم لإيمانه بأهميتهم في صناعة المستقبل، وتوفير المناخ العام المساعد على التحصيل وفق ضوابط ومحددات، وكان تعليم القرآن من الأساسيات في منهجه التربوي بحيث فتح شهيتهم للبحث عن عوالم جديدة "يعلم كل صبي عن طريق الكتابة له في لوحه الخاص به ما يستطيع استيعابه وحفظه"[3]، مع محاولة التقصي البالغة التي يبذلها، والمتابعة الدقيقة لكل طالب لإيمانه بضرورة مراعاة الفروق الفردية، كما كان يمنح الوقت الكافي لرفع قدرات الاستيعاب وصولا لقياس أفضل الأداءات "في تحصيل ما يستطيعون من القرآن على حسب قدراتهم، فيتعلم كل شخص على حسب قدراته الإدراكية واجتهاداته الذاتية"[4].

---

[1]- كاترين دينيس: تعليم الكبار والتغير الاجتماعي، مؤسسة التعاون الدولي التابعة للجمعية الألمانية لتعليم الكبار، بون، ألمانيا 2013، ص7.

[2]- غاتم بيبي ورنا إسماعيل: الدعم النفسي الاجتماعي والتعلم في ظروف الأزمات، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، بيروت 2018، ص3.

[3] - محمد عبد الحق بكراوي: المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بلكبير، ص94.

[4] - المرجع نفسه، ص95.

2- في المجال الديني:

حاول الشيخ محمد بلكبير تخليص الفكر الديني من الأوهام المضللة والسلبيات وتحرير الممارسات من الخرافات التي كانت مشحونة في ذهنية تلك الربوع بوصفها أوضاعا معلوطة وخطيرة في المقام الأول، وأسس لجيل جديد من الكفاءات الوطنية المسلحة بالتصيغ والتصورات العلمية الجديدة والتفاؤل والثقة.

وساهم في ازدهار العلوم الدينية والمناظرات والفتوى، فأعطى وجودها مساحة من التأثير، وكان حريصا على الالتزام بالمذهب المالكي ولم يكن يتجاوزه "إلا لحاجة ملحة أو مصلحة راجحة"[1]، وقد عرف بالتيسير على الناس وعدم التضييق عليهم ومراعاة ظروفهم بالإضافة إلى الذكاء الحر في التعامل مع النصوص، وهو في ذلك "يعد بحق مدرسة في الفقه والفتوى، قامت على التسامح ونبذ التعصب وسفاسف الأمور"[2].

وقد أعاد الشيخ للمسجد مكانته الحيوية من حيث هو ملتقى كل أفراد الشعب تقام فيه حلقات الذكر والقرآن ويتم فيه قضاء حوائج الناس ورعايتهم والتقريب بينهم وتفقد شؤونهم. وفي ذلك يقول الشيخ محمد باي بلعالم[3]:

وكم من مسجد في الشعب أدى *** شـــــهادته لشيخنا الهمام
كذلك المـــــدارس في الجنوب *** وفي شرق الجـــــزائر بالتمام
وفي غـــرب البلاد وفي الشمال *** تفيض بعـــــلمه بلا كلام

---

[1] – مبارك جعفري: أعلام الفتوى والنوازل في منطقة توات بالجنوب الغربي للجزائر بين القرنين 12و14 الهجريين، مجلة البحوث والأبحاث، العدد 15، السنة 10، 2013، ص332. www.asjp.cerist.dz/en/article/25442

[2] – المرجع نفسه، ص327.

[3] – محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر 2005: ص343.

وكان الشيخ رحمه الله يجيب على الأسئلة التي توجه إليه، بعضها يرجع إلى الاعتقادات وبعضها إلى المعاملات وبعضها إلى العبادات ولم يكن يتأخر أبدا في أن يستنفر كامل جهده في الرد عليها، بل يعمل على فرزها وتمييز سياقاتها، واضعا قوة حجته وبراهينه وعدته المفاهيمية على المحك مع التزامه بمبدأ الواقعية ضمانا لعدم انسياق الجمهور مع الأوهام أو تضييع الوقت في التساؤلات المحيرة والوقائع التي لا تحدث مطلقا أو نادرة الوقوع، وكان يجيب على المفترض الممكن ويعرض عن الإجابة عن المفترض المستحيل.

3- في المجال الاجتماعي:

حرص الشيخ محمد بلكبير على تنمية كيان المجتمع وإيقاظ حسه وإنقاذه من اليأس والدفع به إلى الانصهار بين أفراده على أساس نشر التآخي والتكافل الاجتماعي بخصوصياته التقليدية الموروثة في سعي حثيث متواصل، ومحاربة كل مظاهر الانقسام والتشرذم ووأدها في مهدها.

وبرهن على قدرته المثالية في تجسيد القيم الايجابية في المجتمع، وسعيه إلى توطيد المحبة وتقوية روح التآخي بين الناس، ونبذ العزلة والانكفاء على الذات والحرص على الانفتاح على الآخرين، وتحقيق المجتمع المتآلف المحقق للمرامي والأبعاد الحضارية الخالدة للإسلام بعيدا عن التشدد والإقصاء والاستبداد.

وحارب الواقع المأساوي الذي حاصر الفقراء والمحتاجين بعدما أضعف الاستعمار النسيج الاجتماعي وأثقل كاهل الشعب بالضرائب والغرامات والقمع المادي والمعنوي، واقترب من المعيش اليومي بكل تعقيداته وتناقضاته، ورفض حياة القهر والمهانة والإقصاء.

كما كان الشيخ مقصدا للراغبين في المساعدة من المحتاجين أو عابري السبيل، وقد أحاطت بحياته ككل الأولياء أسرار وكرامات، وكانت مجالس توحيد الكلمة وإصلاح ذات البين وفك المنازعات التي يقيمها سببا أساسيا في السلم الاجتماعي والرحمة والمودة بين الناس.

خاتمة:

أكد الشيخ محمد بلكبير بما لا يدع مجالا للشك أنه من حراس القيم والهوية الدينية المتأصلة في مجتمع توات بشكل عام، فقد حرص على المقاومة الثقافية وحول طموحاته إلى حقائق ملموسة مستندا إلى العمق التاريخي والفكري والنضالي للجزائر واستطاع أن يحقق الانتصار على الجهل والعجز والسلبية، وأن يصون للمجتمع الجزائري في الجنوب وحدته وسلامة أهله من حملات التنصير والمسخ والتشويه.

وإن كان من شيء ينبغي الحرص عليه فهو بعث صوت الشيخ محمد بلكبير وحضوره المضيء، وقراءة مساراته بتمعن، وترميم ما أحدثه المشروع الاستعماري في ذاكرتنا الثقافية من شروخ.

كما قادتنا مسيرته الريادية وانجازاته الموثقة إلى أن الدينامية التي أحدثها كانت متعددة الأبعاد في التأسيس لعالم جديد رغم ما واجهه من تحديات كبيرة وشاقة على عدة مستويات، فقد اتخذ منها أداة رفض ووسيلة نقد وظفها في حفز الهمم وشرح مفاهيم التحرر والانعتاق، وكان له حضور قوي في الساحة العلمية والفكرية والتربوية، وجعل من منطقة توات معلما ثقافيا بارزا وعاصمة للنور وللمفاخر والمآثر ومركزا للعبور الكبير.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد أبا الصافي جعفري: تاريخ توات أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2011.

2- بشار قويدر وحساني مختار: فهرس مخطوطات ولاية أدرار، أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، وزارة الثقافة والاتصال، الجزائر 1999.

3-خير الدين شترة: الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة ما بين الأعوام 1900 –1956، ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

4- فؤاد الفخفاخ: التغيير رؤية متجددة، مطبعة أوربيس، قصر السعيد، تونس، (د،ت).

5-كاترين دينيس: تعليم الكبار والتغيير الاجتماعي، مؤسسة التعاون الدولي التابعة للجمعية الألمانية لتعليم الكبار، بون، ألمانيا 2013.

6-عبد الحميد بكري: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر هجري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر 2005.

7- عمر بن قينة: المشكلة الثقافية في الجزائر التفاعلات، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2000.

8-غانم بيبي ورنا إسماعيل: الدعم النفسي الاجتماعي والتعلم في ظروف الأزمات، مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية، بيروت 2018.

9- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت 2000.

10- مبارك جعفري: أعلام الفتوى والنوازل في منطقة توات بالجنوب الغربي للجزائر بين القرنين 12و14 الهجريين، مجلة البحوث والأبحاث، العدد 15، السنة 10، 2013.
www.asjp.cerist.dz/en/article/25442

11- محفوظ بن ساعد بوكراع السطيفي: الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر، دار الكتب العلمية، الجزائر 2016.

12- محمد باي بلعالم: الرحلة العلمية إلى منطقة توات للذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر 2005.
13- محمد عبد الحق بكراوي: المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بلكبير، رسالة دكتوراه العلوم بكلية العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر 2017.
14- مولاي التهامي: "ترجمة العلامة محمد بلكبير الجزائري"، أنظر المقالة على موقع الشملة، shamela-dz.net
15- مولاي التهامي: الإشراق الكبير في ذكر جملة من فضائل ومآثر ومواقف وكرامات الشيخ سيدي محمد بن الكبير، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر 2002.

مقام المحبة عند الشيخ محمد بلكبير وأبعاده الإصلاحية

أ.د. الزهرة لحلح د. فاطمة سوالمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من أكبر النعم على الأوطان امتلاكها لعلماء أفذاذ جمعوا بين العلم والتطبيق والدعوة إلى الله ومحاربة الفساد، ومن بين هؤلاء العلماء الشيخ محمد بلكبير الذي جمع بين هذه المضامين التي كان محركها الأساس تحققه بمقام المحبة كما تنبئ عن ذلك كلماته وتسفر عنه النقولات. فمن هو الشيخ محمد بن الكبير؟ وما هو المسلك الذي اتبعه في رحلة الارتقاء بالروح إلى أسمى المقامات مقام المحبة؟ وكيف ترسخت تلك الأذواق في حقل السلوك والعرفان من خلال مجالات الإصلاح وأذواق المحبة المجتحة في أحوال الأمة وما تعيشه الأمة من فرقة واختلال؟

ولغرض معالجة هذا الإشكال قسمنا هذه الورقة إلى:

مقدمة

المبحث الأول: ترجمة الشيخ محمد بلكبير

المبحث الثاني: مقام المحبة في منازل السير عند الشيخ محمد بلكبير

المبحث الثالث: الأبعاد الإصلاحية لمقام المحبة عند الشيخ محمد بلكبير

خاتمة

المبحث الأول: ترجمة الشيخ محمد بلكبير:

1-المولد والنشأة:

هو الشيخ أبو محمد عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الكبير، يمتد نسبه بجده الأكبر بجده الأكبر الحاج عبد الله دفين الغمارة ببودة، وهو الموصول نسبه إلى إبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعا[1].

ولد الشيخ ببلدة الغمارة من قرى بودة الواقعة في الجنوب الغربي من مدينة أدرار سنة 1330هـ/1911م سليل حسب ونسب من أسرة شريفة، تعرف بالعلم والصلاح حيث نشأ في أحضانها ينهل من صنوف العلم وفضائل الخلق، فقد كان أبوه من حفظة كتاب الله يشهد له الجميع بالاستقامة والخيرية وكان عمه إماما بالمسجد ومعلما بمسجد القرية التي نشأ بها الشيخ وهو محمد التمنطيطي الذي تعهد الشيخ بحفظ القرآن الكريم والمبادئ الأولية من متون الفقه والنحو والتوحيد.

أما من جهة أخواله فالشرف والصلاح موصول أيضا فقد كان خاله محمد بن المهدي فقيها وصوفيا وقد كان لهؤلاء جميعا لأثر الكبير في نشأته المتميزة وتوجهه نحو الحياة الروحية فيما بعد[2].

---

(1) -ابراهيم بن ساسي، من أعلام الجنوب الجزائري، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية-الجزائر-، 2014م، ص157-158.

- أحمد الطاهر الإدريسي الحسني، نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء والثقات، تحقيق: ابن المؤلف عبد الله الطاهري، أدرار-الجزائر-، 2010م، ص103-104.

(2) -مولاي التهامي غيتاوي، الضوء المستنير في معرفة الشيخ سيدي محمد بن الكبير، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2002م، ص10-11-12.

-محمد الطاهر بن التواتي السايحي، شيخنا الإمام كما عرفته سيدي محمد بن الكبير رحمه الله، نشر ابن خلدون، تلمسان -الجزائر-، ص40-41-42.

2-رحلته التعليمية والعلمية:

ولما بلغ الشيخ محمد بلكبير سن الثالثة عشر انتقل به والده إلى بلدة تمنطيط عاصمة المعارف بإقليم توات لينهل من منابع الفكر بها، حيث تتلمذ على أيدي علمائها أمثال الشيخ أحمد بن ديدي [1] الذي لازمه ثلاث سنوات " فدرس الفقه المالكي وعلم التوحيد والنحو والصرف واللغة مع سرد وشرح صحيح البخاري"[2]

ولما انقضت المدة وجاء والده لأخذه إلى بلدته ليعينه على مصاعب الحياة فبكى الشيخ على فراق تلك الحلقات العلمية المحفوفة بالرحمات والتي كانت له المفاتيح لكل ما أغلق عليه من العلوم.

كما استفاد شيخنا من رحلة روحية شدّ الرحال فيها لملاقاة الشيخ بن عبد الرحمن بوقلجة شيخ الطريقة الكرزازية في تلمسان لأخذ أوراد الطريقة والسلوك إلى الله تعالى، ومما يذكر في هذه الرحلة المباركة أن الشيوخ في هذه الطريقة اعتادوا على أن لا يلقنوا المريد أكثر من خمسة أسماء من أسماء الله الحسنى مخافة التشويش على ذهنه، ولكن اللافت في أمر شيخنا هو:" أن الشيخ بوقلجة حينما طلب من الشيخ محمد بن الكبير أن يعيد الأسماء الخمسة أعاد 17 اسما فسأله من لقنك هذا الزائد من الورد فقال له: لا أدري فتعجب وقال في نفسه أن لهذا المريد ابن الكبير شان في المستقبل عظيم"[3]

---

(1) -الشيخ أحمد ديدي: نور توات وكوكبها الساطع، العلامة الفقيه الجليل الملقب بأحمد التمنطيطي نسبه إلى تمنطيط، صاحب مدرسة شهيرة بالفتح المبين، كانت محط لاستقطاب العلماء والطلاب ومنبر لنشر العلم والفضيلة والخير وقد استنار بعلمه خلق كثير من أمثال الشيخ بن الكبير.

انظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلميّة إلى منطقة توات، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ج1، ص 364.

(2) -ابراهيم بن ساسي، مرجع سابق، ص158.

(3) -محمد إدريسي السبع، ذكر شيء من رحلات الشيخ العلامة محمد بن الكبير الغمارتي،

أقام الشيخ بتلمسان مدة خمس سنوات استغلها في طلب العلم والاغتراف من معين الشيخ بوفلجة، كما قام بزيارة جامع القرويين في المغرب الأقصى واتصل بعلمائه واستفاد منهم، كما زار جامع الأزهر حيث تعرف على زمرة من علمائه في بداية الخمسينات وقد عرض عليه العلامة الشيخ الخضر حسين الطولقي التدريس بالأزهر فأبى.[1]

ومن أوائل السبعينات استقر الشيخ بمدينة أدرار وبها فتح مدرسته الكبيرة التي تعد منارة للعلم والفكر فكانت مقصدا للطلاب والزوار من كل الجهات، وتخرج منها العديد من العلماء والفقهاء، والكثير من الأئمة ومعلمي القرآن الذين التحقوا بالمساجد والمدارس القرآنية في ربوع الجزائر وأفريقيا بل وصلوا إلى جنوب شرق آسيا في إندونيسيا وماليزيا وسنغافورة.[2]

3-وفاته:

بعد حياة مكللة بالجد والاجتهاد وعمر أبلاه في خدمة الدين والوطن والإنسان جاء اليوم الموعود لينتقل إلى بارئه رحمه الله في يوم الجمعة 16 جمادى الثانية 1421هـ الموافق 15 سبتمبر 2000م فبكاه الناس شيبا وشبابا لأنهم فقدوا بوفاته الأب العطوف والمربي الشفوق للمتعلمين، والمعطاء الكريم للفقراء والأيتام والمساكين، وحضر جنازته أكثر من مليون ونصف المليون شخص، صلوا عليه في الطرقات، وفوق أسطح المنازل والشوارع[3].

المبحث الثاني: مقام المحبة في منازل السير عند الشيخ محمد بلكبير

يعد مقام المحبة أصل جميع المقامات والأحوال لأن مبدأها يكون من الأحوال التي ما إن ترسخت صارت مقاما منشودا من قبل السالكين بتجشم شتى أنواع المجاهدات،

دط، غرداية-الجزائر-ص24.-

(1) -ابراهيم بن ساسي، مرجع سابق، ص159.

(2) -مولاي عبد الله الطاهري، مرجع سابق، ص107.

(3) -محمد الطاهر بن التواتي السايحي، مرجع سابق، ص122.

يقول ابن القيم الجوزية: "وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون وإلى علمها شمر السابقون وعليها تفانى المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام واللذة من التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال"[1]

بل إن مقام المحبة ليعدّ عند المتصوفة شرطا أساسا للتحقق بالولاية[2] وهذا تماما ما يتحقق به أبو الحسن الشاذلي[1]

---

[1] -ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر الحليل، دط، دار طيبة، دت، ج7، ص7.

[2] -الولاية: معنى كلمة الولي في اللغة هو القريب، والمراد بأولياء الله الذين فازوا بالقرب من الله سبحانه وتعالى بطاعته واجتناب معصيته وهم فئة قليلة من المؤمنين كما في قوله تعالى: "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون" سورة يونس، الآية: 22-23 ويميّز الشاذلي بين نوعين من الولاية:هما ولاية كبرى: وهي ولاية الله للعبد، قال تعالى: " وهو يتولى الصالحين" سورة الأعراف، الآية:196 -ولاية صغرى: وهي ولاية العبد لله ولرسوله وللمؤمنين قال تعالى: (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) سورة المائدة، الآية: 56.

والولاية الكبرى تخرج من خزائن المنن على بساط المحبة، أما الصغرى فتخرج من خزائن الأعمال على بساط المجاهدة، يقول الشاذلي: "من أجل مواهب الله الرضا بمواقع القضاء، والصبر عند نزول البلاء، والتوكل على الله عند الشدائد، والرجوع إليه عند النوائب، فمن خرجت له هذه الأربعة من خزائن الأعمال على بساط المجاهدة ومتابعة السنة، والاقتداء بالأئمة فقد صحت ولايته لله ولرسوله وللمؤمنين، ومن خرجت له هذه من خزائن المنن على بساط المحبة فقد تمت ولاية الله له" ابن عطاء الله السكندري، لطائف المنن، ص24.

وبهذا فهو يتفق مع أبي حامد الغزالي في اعتبار المحبة أعلى منازل ومراتب السير إلى الله تعالى وما يصل إليه السالك بعد تحققه بها هو من ثمارها وتابع من توابعها كالشوق والأنس والرضا لأن ما قبلها من المقامات هو مقدمة من مقدماتها كالتوبة والصبر والزهد[2].

وكل هذه الأحوال والمقامات كانت منازل ارتقاء عاشها الشيخ محمد بن الكبير متحققا بالشريعة والحقيقة[3].

منذ بدايات تشوقه لحياة الصفو والبعد عن كدر المادة وعوائق الروح في معراجها إلى فضاءات الطهر والصفاء، وقد كان هذا بعد أن انتهى إلى دراية واسعة بالنوازل

---

(1) –أبو الحسن الشاذلي: هو علي بن عبد الله، يكنى بأبي الحسن، ويلقب بتقي الدين. ولد بقرية غمارة قرب سبتة بالمغرب سنة 593هـ.

وكانت وفاته في 656هـ أثناء سفره لآداء فريضة الحج، وقبره بقرية حميثرا بصحراء عيذاب بصعيد مصر، كان على قدر كبير من العلم والمعرفة، وكان يحضر مجلسه بعض علماء مصر مثل العز بن عبد السلام وابن دقيق العيد وابن الصلاح، شارك في حرب مصر ضد الصليبيين وكان يدعو أتباعه إلى السعي للرزق وإلى العمل، كما كان الغني الشاكر على الفقير الصابر. أنظر:ابن عطاء الله السكندري: لطائف المنن في مناقب الشيخ أبيالعباس المرسي، دط، دد، القاهرة، 1322هـ، ص165

(2) –أبو حامد الغزالي، إحياء ع لوم الدين، ط3، دار القلم، دب، دت، ج4، ص272.

(3) –الشريعة والحقيقة: علم الحقيقة أو علم الباطن أو علم الوراثة أو علم الدراية هي مصطلحات أطلقها الصوفية ليميّزوا بها علومهم عن بقية العلوم الأخرى، وكان ذلك في القرن الثالث الهجري حينما بدأ التصنيف في علم التصوف، والمقصود عندهم بعلم الباطن العلم الذي تجري أحكامه على الجارحة الباطنة في الإنسان وهي القلب، ولا علاقة لهذا العلم بمذاهب الباطنية من الشيعة، في مقابل علم الشريعة أو علم الظاهر وهو الفقه الذي تجري أحكامه على جوارح الإنسان الظاهرة،أنظر: **الطوسي**: اللمع في التصوف، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دط، دار الكتب الحديثة بمصر، القاهرة، 1960م، ص43–44.

والفتوى الواقعة في الإقليم (إقليم توات) مع تمكن واسع في الأحوال والأذواق والسير في معارج الروح ورياضة النفوس إلى أن صار طودا شامخا جامعا بين الشريعة والحقيقة سائرا في كل مقام أعلاه بعد أن أخذ أوراد الطريقة الكرزازية[1]

بتلمسان على يد الشيخ بوقلجة بن عبد الرحمان وقد كان شيخا فقيها صوفيا يجمع بين الشريعة والحقيقة، فصحبه صحبة الأبرار لشيوخهم إلى أن أخذ عنه أوراد الطريقة الكرزازية التي يتصل نسبها حسب من ألف حول سيرة الشيخ إلى العلامة أبي حامد الغزالي[2]

وقد كانت طريقته ومنهجه في الحياة الروحية مستجمعة للمرجعية المتزنة التي رسمت طبيعة التصوف في الجزائر وعملت على توطين التوازن العقدي والسلوكي لدى الفرد والمجتمع

---

[1] -الطريقة الكرزازية: ظهرت في الجنوب الجزائري وتنسب لمؤسسها الشيخ أحمد بن موسى الحسني، وكرزاز هي مقر زاوية الشيخ وتوجد على بعد 250كلم عن مدينة أدرار. ولد الشيخ أحمد بن موسى الحسني سنة 907هـ وعاش إلى أن تجاوز المئة فقد توفي سنة1016هـ.وتوجد الزاوية الأم جنوب القنادسة في الطريق المؤدي إلى توات.ويعتبر الشيخ أحمد من أشراف المنطقة اشتهر بالعلم والورع إلى أن أصبح مقدما للشاذلية. أخذ التصوف عن الشيخ أحمد بن يوسف الملياني وأحمد بن عبد الرحمان السجيني. واتجه بعد ذلك إلى قرية سيدي موسى حيث أسس زاوية لطلاب العلم. وتعرف الطريقة الكرزازية بالأحمدية أيضا نسبة إلى مؤسسها.وتعتمد الكرزازية السلسلة الشاذلية، وذكر الكرزازية أسضا هو نفسه ذكر الشاذلية من حيث المبدأ. لكن أحمد الكرزازي أضاف البسملة إلى أذكار الصبح حيث تتكرر خمسمائة مرة.انظر:أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م. ج4، ص88.

-مولاي التهامي غيتاوي، الدرر النفيسة في ذكر جملة من حياة الشيخ سيدي احمد بن موسى، دط، دت، ص39.

[2] -مولاي التهامي، مرجع سابق، ص17-18.

المغربي عامة والجزائري خاصة، حيث نقل عن الشيخ محمد بلكبير عقيدته الأشعرية نسبة إلى أبي الحسن الأشعري.

أما تصوفه فقد كان على نهج الإمام الجنيد[1] إمام الصوفية وقدوتهم علما وعملا.

ويرى الشيخ أن التصوف إنما يكون بترك الاختيار وإدامة الفكر والإخلاص في العمل دون إهمال الفرائض إذ المعول عليها في سير السالك مع دوام الاشتغال بذكر الله عز وجل، وهذا يعني أنه يقيم علاقة متينة بين السلوك والأخلاق، والمستفاد من تصوف الشيخ محمد بن الكبير هو الاستناد إلى مبدأ المعرفة والعمل بالكتاب والسنة مع العروج نحو معرفة الله عز وجل حق معرفته بطريق ترويض النفس على كمالاتها وتنقيتها نقائصها وهذا بطريق التأمل الدقيق والنظر العميق تدبرا وتفكرا فيما يحيط بملكاته من كائنات يرى بها دلائل الوجود والقدرة مع حرص شديد على التقى والزهد والورع والتجرد من عوالق المادة وحب الدنيا خاصة ما تعلق منها بمغريات السياسة والسلطة، لذا لم يكن لأحد من الطبقة السياسية الحاكمة يد عليه تكسر له عينا أو تلجم لسانه عن ذكر عوراتهم وتنصح لهم كما لم تقف صداقته لبعضهم من هم من أهل الصلاح والعدل، أداء واجب النصح

---

[1] – الجنيد: هو أبو القاسم الجنيد بن محمد، من أئمة القوم وسادتهم، ولد ونشأ بالعراق، كان أبوه يبيع الزجاج فلذلك يقال له القواريري. صحب خاله السري السقطي والحارث المحاسبي، توفي سنة 297هـ، هو القائل: "ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، ولكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات، لأن التصوف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى" أنظر: السلمي أبو عبد الرحمان: طبقات الصوفية، تحقيق نور الدين شريبة، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1406هـ-1986م، ص155.

-القشيري، **القشيري**: الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، ط1، دار الكتب الحديثة، دب، 1972م. دط، دار المعارف، القاهرة، 1995م، ص18.

والجهر بالحق ومحاربة البدع لذا التفت حوله الجموع وسرت كلماته سريان الماء في عروق الظامئين[1].

ولصنوف جميل خلقه وصفاء سريرته توالت عليه المقامات السنية والمواهب اللدنية والمواجد الربانية والصفوة من أحوال ومقامات كالصحو والفناء والبقاء والغيبة والجذب إلى الحضرة الإلهية فنال أعلى المقامات وأرفع الدرجات عند من طرق بابه بالتذلل لأنه خرج من سجن نفسه وفارق مادة الإنكار من أصلها.

ولقد ذاق الشيخ محمد بلكبير مقام المحبة وصفت ذاته بحبه تعالى فرقت نفسه وفاضت تلك المحبة بكل خير على من حوله لأنها تمكنت منه بإسقاط التدبير والأخذ بكثرة الأذكار ومداومة الدعاء آناء الليل وأطراف النهار في تجرد جميل وتحقق كامل بعبوديته لله تعالى مخالفا كل أهواء النفس، بل كان سعيدا لما ثقل عليها لأنه يعتقد بأن كل ما ثقل عليها كان حقا لذا زاد من المواظبة على النوافل الشاقة والصعبة على النفس، فنالت النفس من المراتب العليا، ولم تزل تتقرب إلى الله تعالى بها وبغيرها من جميل القربات حتى نال الاجتباء في زمرة المحبين الذين أكرمهم الله تعالى بحبه وزانهم بصنوف العلم فكان آية في المعرفة بالله والعمل والزهد والورع فآنست روحه بالله واستقر به المسير بمقام المحبة منها بأحوال العشق والشوق والعزم والنية وصدق الهمة فولجت نفسه بحور الحقيقة أين حار القوة والتمكين والرسوخ في المعرفة واليقين فقويت أنواره وفاضت في الآفاق بياناته وأسراره فسلك من السنة منهاجا تلمس به دروب الإصلاح والصلاح، ولذلك تفقد الواقع المؤلم الذي تعيشه أمته من تمزق وتباغض على مستوى الأفراد والجماعات[2] لأنهم انصرفوا عن قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ)[3]

---

[1] –محمد الطاهر بن التواتي السايحي، مرجع سابق، ص98.

[2] –مولاي التهامي غيناوي، مرجع سابق، ص84.

[3] –سورة الممتحنة الآية: 01.

تأسى الشيخ محمد بلكبير بالمنهج القويم وتحقق بمقام المحبة وعمل على جبر كسر الأمة وإشاعة القوة بأوصالها بماله ووقته وعمله، حبا لهم وفيهم ورغبة في رأب صدعهم بصنوف الود والرفق وإن قويا ذلك بالنكران والجحود، ومما يروى عنه أن له جار من جيرانه أقام عرسا وكانت مكبرات الصوت بالغناء والآلات الموسيقية تشوش عليه وعلى الحضور الاستماع فطلبوا منه الدعاء عليه، غير أنه تعامل مع الوضع بمقتضيات المحبة قائلا: "بأن له ولتلامذته جميع ليالي السنة ولجاره تلك الليلة فقط وبلغ الخبر إلى جاره صاحب العرس فأبطل السهرة"[1]

وهذا ما يبين عن قلب لزم مقام الحب وطعم منه ففاض رفقا بالخلق وجبرا لخواطرهم متأسيا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم:" والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم"[2]

ولذلك كان أحب الناس إليه العلماء الصالحون وآل بيت النبي –عليه الصلاة والسلام-وكله يقين بأن المحبة تلحق المقصر في الأعمال بدرجات المجتهدين لمحبته إياهم[3].

ولذا بالغ الشيخ في محبته لهم وتشبه بهم في الأعمال الصالحات والاجتهاد في تحصيل الكمالات فأحب الصالحين وهو منهم، وأحب الكرماء وكان أجودهم من عين المحبة والكرم حتى ارتقت عنده إلى حد الفرائض، من حيث الصدقة كل يوم وليلة أكثر مما هو معتاد عليه من إطعام وإحسان للخاص والعام مع الإقبال على الفضائل في كل وقت حتى مع من كان له خلاف معه يجالسه ويواسيه ويرفع عنه الغبن لأن مقام المحبة ألزمه القيام بأمر الله وبالله وفي الله عز وجل مع شديد المداومة والمراقبة لمولاه تعالى في السر

---

(1) –مولاي التهامي غبتاوي، مرجع سابق، ص84.

(2) –رواه مسلم وبخاري

(3) –مولاي التهامي غبتاوي، مرجع سابق، ص85.

والعلانية، والخوف منه في جميع السكنات والحركات والأقوال والأفعال، ظهيره في كل ذلك ما منح من الفهوم والهبات مستشعرا قوله تعالى: (بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ).

وهذا الاستحفاظ من الشيخ بمورد المحبة والعطاء بما فتح الله عليه من باب المال والعلم حيث كانت ترده الخيرات يوميا غير آبه ولا مكترث، بل كان لها بادلا لفائدة الطلبة الذين يربو عددهم عن الألف والضيوف الذين تجاوز عددهم المئة يوميا، بالإضافة للمتسولين وعابري السبيل الذين انقطع بهم حبل الوصال، كما نهلوا جميعا من معين علم وحكمة الشيخ محمد بن الكبير[1]

ومما يروى عن الشيخ أن رجلا أثنى عليه في حضرته فقال له: "ما أنا إلا كموزع البريد المال مال الله ونحن مستخلفون فيه"[2].

فكان تعامل الشيخ مع الناس بوازع المحبة والإنسانية التي أقام قواعدها على نصوص القرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى: (وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)[3]

ولذا كان ديدنه الشفقة على الطلبة فيجريهم مجرى أولاده دون تكسب منهم أو أجر مقابل تعليمهم، ولا يقصد جزاء ولا شكورا لأنه لا يرى في بره بهم مزية منه، بل إن مقام الحب ومقاصده بقلبه يستهدف مرآة قلوبهم لترى فيهم كل الفضل إذ هيأوا قلوبهم للتقرب إلى الله عز وجل لزراعة العلم فيها فكان فيض الحب لديه مانعا من توبيخهم لأنه يهتك حجاب الهيبة.

وتتعدد مسالك المحبة عند الشيخ فتمتزج بكل ما هو إنساني فيتعبد بتلاوة القرآن ويغدق على من حوله من فيوضات مقام الحب حفظا للعهد ووفاء بالبر فكان له في آخر

---

[1] -مولاي التهامي غيتاوي، مرجع سابق، ص73-74.

[2] -المرجع نفسه، ص74.

[3] -سورة البقرة، الآية: 272.

كل أسبوع ثلاث ختمات الأولى ملكات الأولى وتكون يوم الأربعاء مساء بضريح شيخه أحمد بن دبدي، أما يوم الخميس صباحا فيهدي الختمة إلى مشايخ وأولياء توات، والثالثة في يوم الجمعة يهديها لوالديه وكل هذه الختمات يحضرها معه طلبته ويختمها بالدعاء لكل المؤمنين[1].

ولفرط مشارق أنوار المحبة بذات الشيخ كان إذا أحزنه أمر ترك الدروس واشتغل بالقرآن مع طلبته وأحيانا أخرى ينقطع إلى قراءة القرآن أكثر من أسبوع وبخاصة إذا توفي شيخ من شيوخ الوطن، أو وقوع نكبة في جهة من جهات التراب الوطني، أو حروب أو موت رئيس[2].

الخاتمة

في نهاية هذا المنحى الذوقي لمسيرة الشيخ محمد بلكبير يتجلى لنا مقام المحبة في السير العرفاني للشيخ كتوجه سلوكي إصلاحي تعامل مع كسر الأمة وضعف أحوالها بفيض المحبة وأبعادها الإصلاحية فبذل الحب والمال لمساندة احتياجاته، ورأب الصدع ولم الشمل بداعي الحب والإخلاص لأمته فكان مثال العارف المحبب لأبناء وطنه.

---

(1) -محمد الطاهر بن التواتي السايحي، مرجع سابق، ص88.

(2) -المرجع نفسه.

قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم بن ساسي، من أعلام الجنوب الجزائري، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية-الجزائر-، 2014م.

2. أحمد الطاهر الإدريسي الحسني، نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من الصالحين والعلماء والثقات، تحقيق: ابن المؤلف عبد الله الطاهري، أدرار-الجزائر-، 2010م.

3. أبو حامد الغزالي، إحياء ع لوم الدين، ط3، دار القلم، دب، دت، ج4.

4. **الطوسي**: اللمع في التصوف، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، دط، دار الكتب الحديثة بمصر، القاهرة، 1960م.

5. ابن عطاء الله السكندري: لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي، دط، دد، القاهرة، 1322هـ.

6. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.

7. القشيري، **القشيري**: الرسالة القشيرية، تحقيق: عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، ط1، دار الكتب الحديثة، دب، 1972م. دط، دار المعارف، القاهرة، 1995م.

8. ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر الحليل، دط، دار طيبة، دت.

9. محمد إدريسي السبع، ذكر شيء من رحلات الشيخ العلامة محمد بن الكبير الغماري، دط، غرداية-الجزائر.

10. محمد الطاهر بن التواتي السايحي، شيخنا الإمام كما عرفته سيدي محمد بلكبير رحمه الله، نشر ابن خلدون، تلمسان –الجزائر.

11. محمد باي بلعالم، الرحلة العلمية إلى منطقة توات، المعرفة الدولية للنشر

والتوزيع، الجزائر، 2015م.
12. مولاي التهامي غيتاوي، الدرر النفيسة في ذكر جملة من حياة الشيخ سيدي احمد بن موسى، دط، دت.
13. مولاي التهامي غيتاوي، الضوء المستنير في معرفة الشيخ سيدي محمد بلكبير، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 2002م.
14. نور الدين شريبة، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1406هـ-1986م.

ملاحق

1-الساحة الداخلية لمسجد وزاوية الشيخ سيدي محمد بلكبير بأدرار

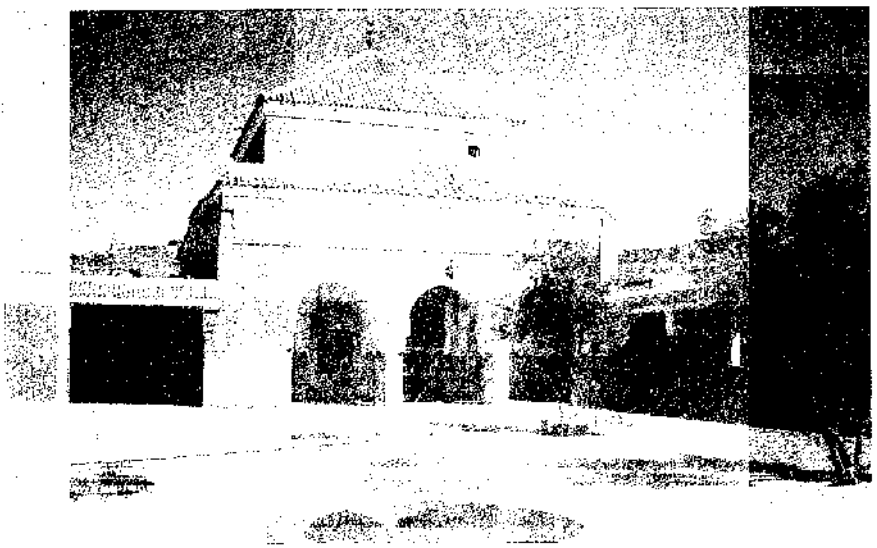

2-الواجهة الأمامية لمسجد وزاوية الشيخ سيدي محمد بلكبير بأدرار

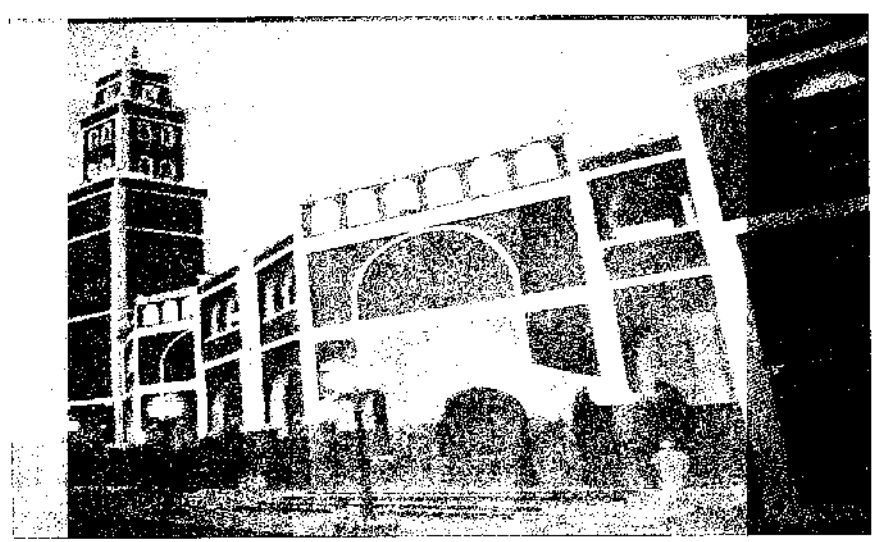

3–من داخل مسجد الشيخ سيدي محمد بلكبير بأدرار

4– طلبة مدرسة الشيخ محمد سيدي بلكبير

ثالثا: صور الشيخ سيدي محمد بن ا

الشيخ سيدي محمد بن

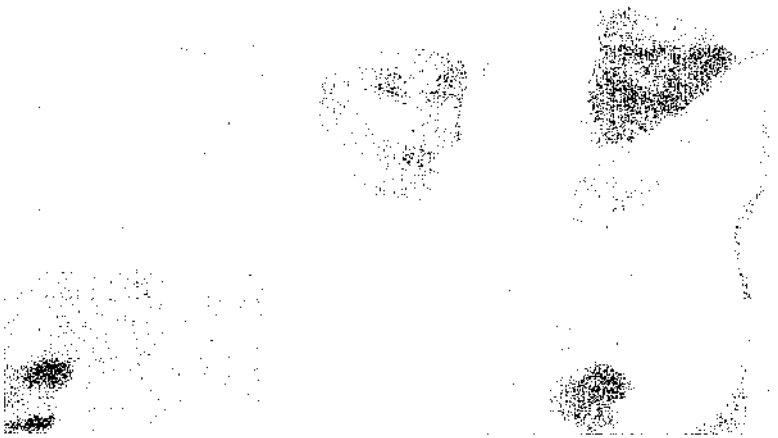

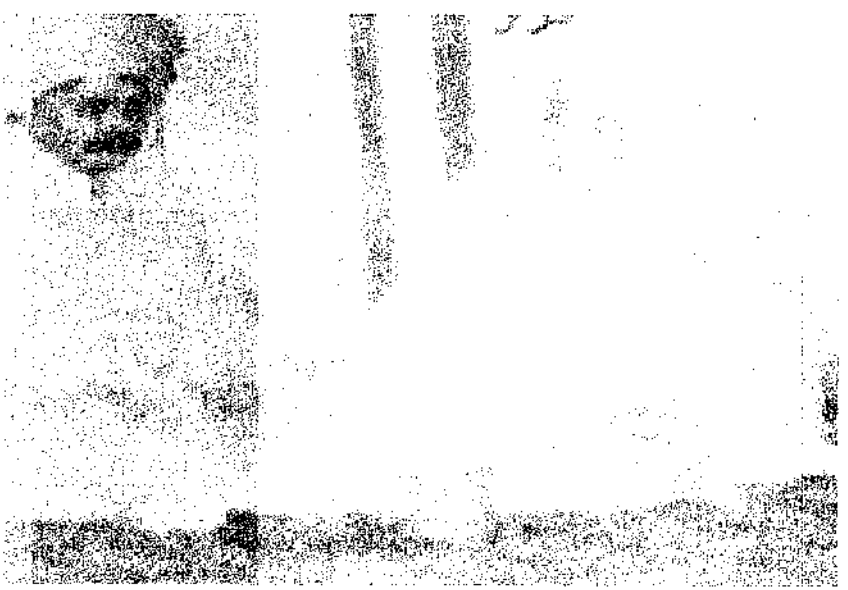

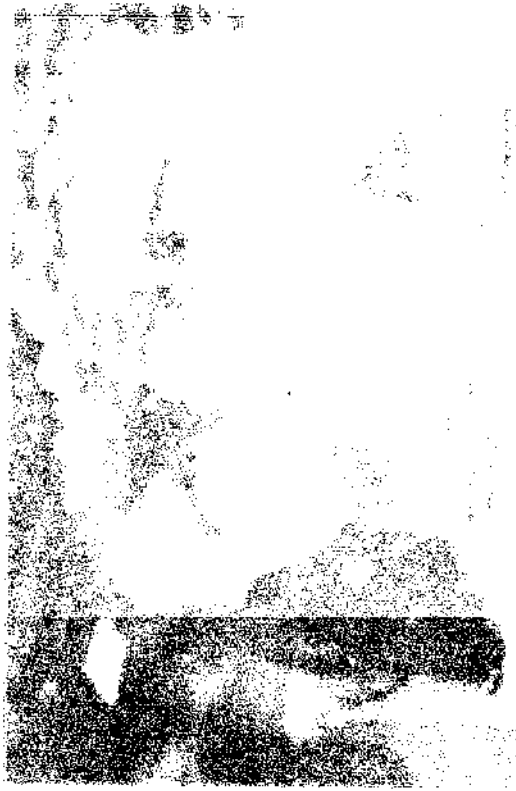

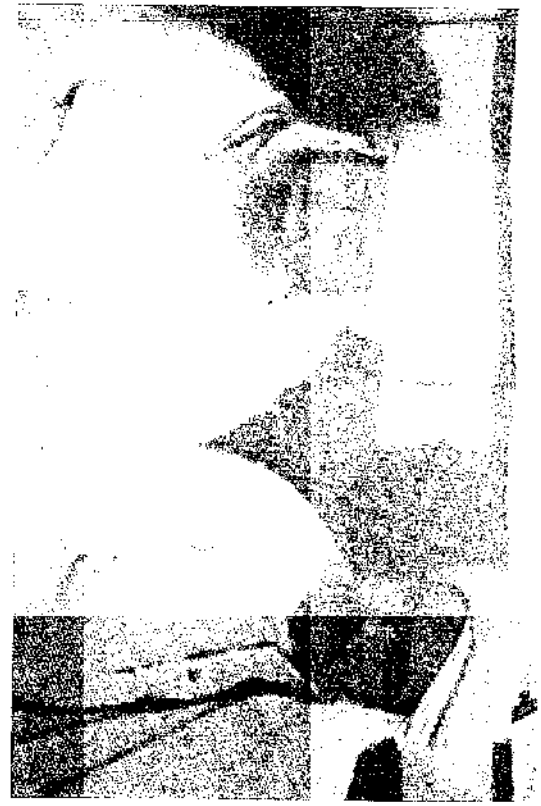

ABDELDJALIL TARMOU

أحد طلبة الشيخ سيدي محمد بلكبير
فوانيس الجزائر

سادسا: مقتطفات من مشاركة الشيخ في نشاطات علمية وفكرية

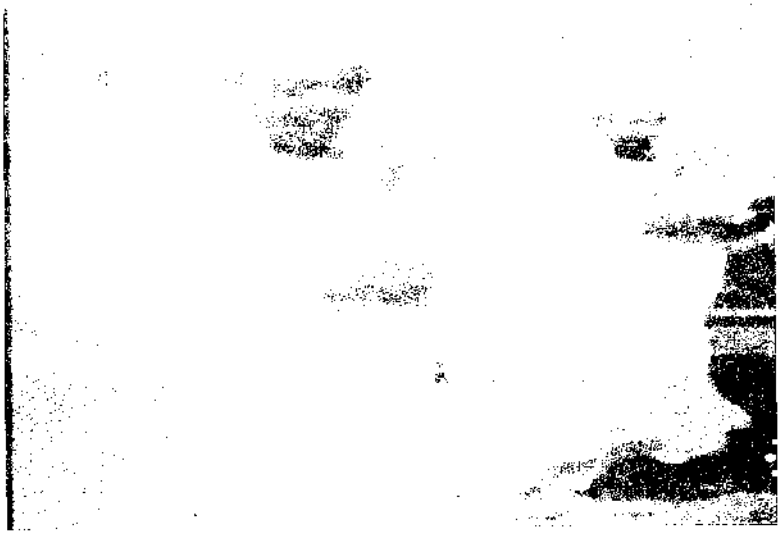

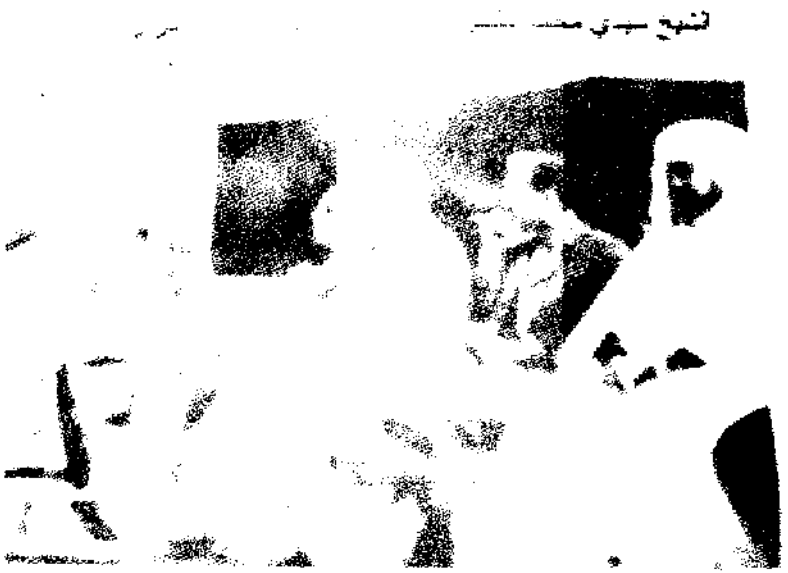

سابعا : ملتقيات وندوات حول سيرة ومسيرة الشيخ سيدي محمد بلكبير

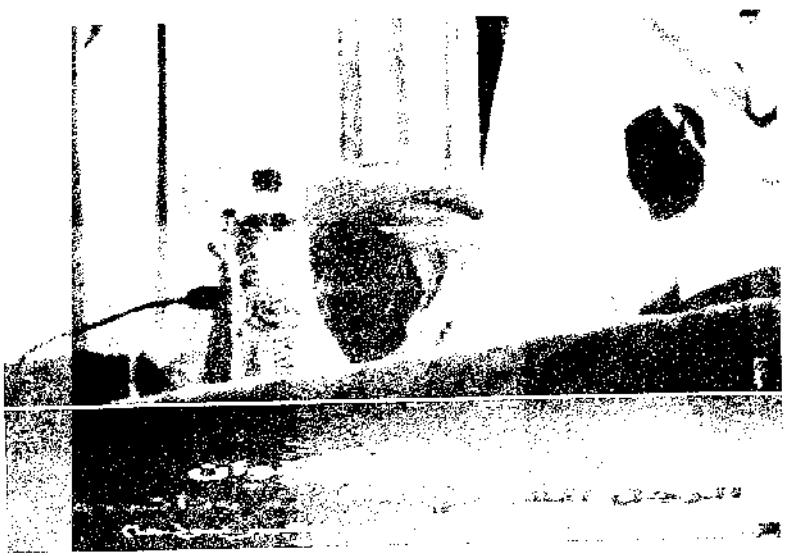

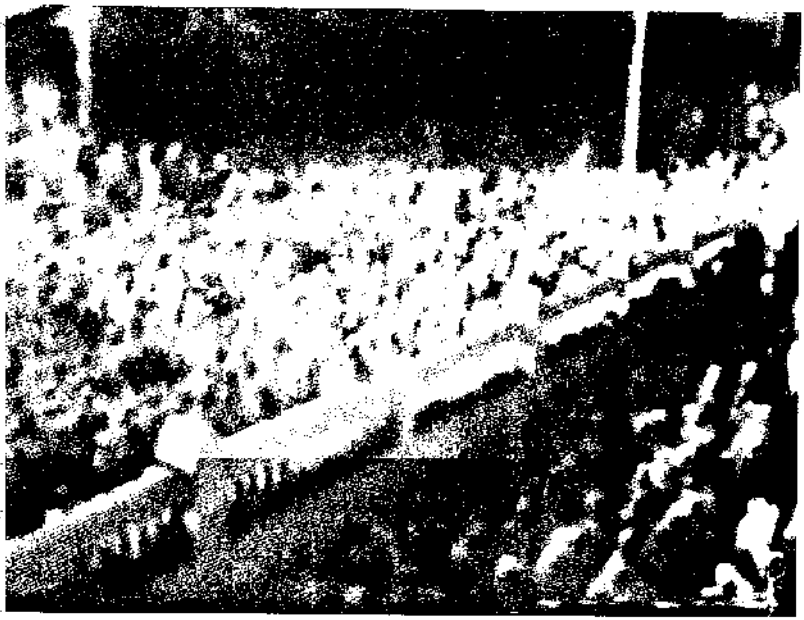

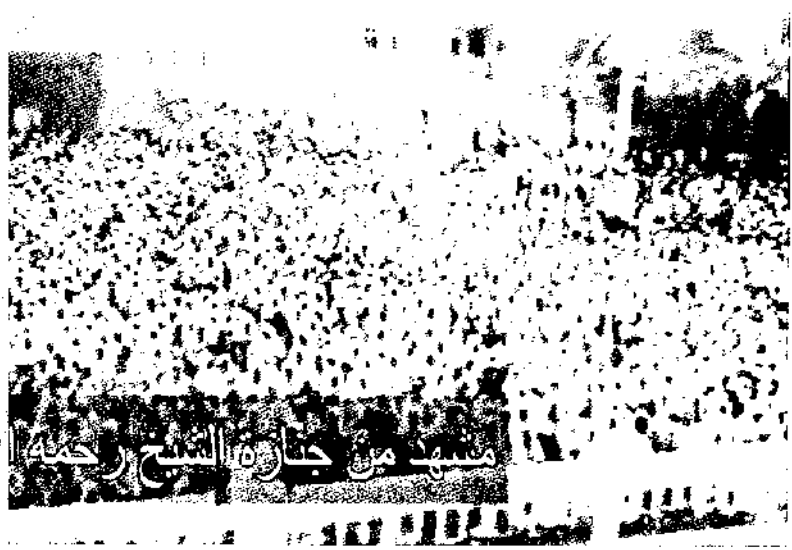

مشهد من جنازة الشيخ رحمه ا

دعاء

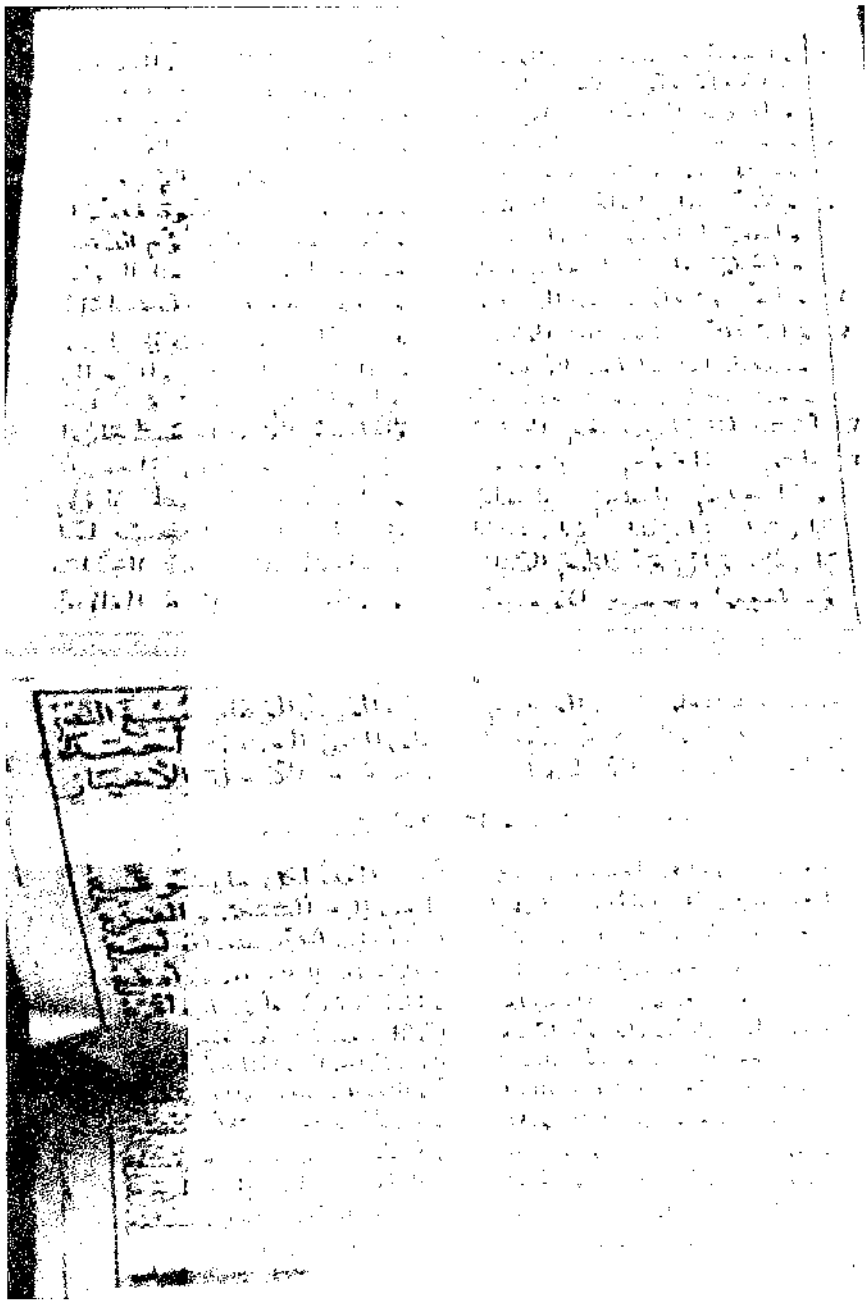

فهـــــرس الكتاب

عنوان المقال أو البحث	صفحة
كلمة مدير الجامعة..... أ.د. السعيد دراجي	05
كلمة نائب مدير الجامعة للبيداغوجيا ..... أ. عزيز حداد	07
الشيخ الإمام سيدي محمد بلكبير – الفقيه الورع والمعلم المربي– ..... أ.د. كمال لدرع	11
دور المواقع الالكترونية عبر الانترنت في التعريف بالشيخ محمد بلكبير ..... أ.د. زكية منزل غرابة	33
رحلات الشّيخ سيدي محمد بلكبير بين طلب العلم ونشره –دراسة وصفية– ..... أ.د. مراد مزعاش	53
منهج الشيخ سيدي محمد بلكبير في التعليم القرآني والعلوم الشرعية ..... نجوى مناع: طالبة دكتوراه	75
عوامل نجاح الشيخ محمد بلكبير وجهوده في الحفاظ على المرجعية الدينية الجزائرية ..... أ.د وسيلة شريبط / أحمد عوماري: طالب دكتوراه	93
جهود علماء توات في ترسيخ المذهب المالكي–الشيخ بلكبير أنموذجا – ..... د. سعاد رباح	119
منهج الشيخ سيدي محمد بلكبير في العقيدة والتصوف ..... د. نورة رجاتي	141
دعائم الإصلاح والنهضة في فكر الشيخ العلامة محمد بلكبير ..... أ.د. رابح طبجون	155
مقام المحبة عند الشيخ محمد بن الكبير وأبعاده الإصلاحية ..... أ.د. الزهرة لحلح / د. فاطمة سوالمي	167
فهرس الكتاب	203